القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الأسبوعي
Weekly
السنة الثالثة والثلاثون العدد 10432 الأحد 31 تشرين الأول (أكتوبر) 2021 – 25 ربيع الأول 1443 هـ
Volume 33 - Issue 10432 Sunday 31 October 2021

حوار: دلال سلامة
عضو مركزية «فتح»

النبطية اللبنانية:
غارقة في أسرار التاريخ

محرز: أوان الهروب
من قيود الفيلسوف؟

لبنان: عزلة عربية
إذا لم يصحح المسار
02

أفغانستان: مجاعة في بلد
المعادن النفيسة
28

نايلا إيليا: «الكوميديا الإلهية»
كُتبت لزماننا
46

السودان:
بين انتفاضة متجددة وثورة مضادة

ليس واضحاً أن الأيام القليلة التي انصرمت بعد قرارات البرهان الاستثنائية، التي ترقى إلى مستوى انقلاب واضح على الشراكة بين العسكر والمدنيين، قد بدّلت أي عنصر ملموس في المشهد الداخلي، أو أدخلت أي تحسن على أوضاع البلاد الاقتصادية والمعيشية والتأزم مع الشرق. تدابير الجناح العسكري كشفت عن مزيج من الارتباك في مواجهة حراك الشارع الشعبي والتظاهرات المليونية في الخرطوم وأم درمان بصفة خاصة، والسعي إلى رشوة هذا الشارع بتقديم بعض التنازلات الرمزية مثل الإفراج عن رئيس الوزراء وإعادته إلى بيته، وهذا إلى جانب الحرج إزاء الضغوطات التي تعكسها مواقف دولية تطالب بعودة الحياة المدنية. وبين انتفاضة شعبية متجددة وثورة مضادة يقودها العسكر، تتزايد أخطار انجرار السودان إلى استعصاء مدني شامل ومواجهات عنيفة.

(حدث الأسبوع، ص 8 ـ 15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

لبنان مهدّد بعزلة عربية واستقالة قرداحي مدخل للحل واستعلاء حزب الله والعهد يقود البلد إلى الانهيار

وزير الخارجية اللبناني في اجتماع لبحث الأزمة الدبلوماسية مع دول الخليج

ارتأى الرئيس ميقاتي السفر إلى غلاسكو، للمشاركة في قمة تغيّر المناخ، لتكون المشاركة فرصة للقاء عدد من رؤساء الدول وكبار المسؤولين أملاً بالتوسّط مع السعودية ودول الخليج لحل الأزمة الدبلوماسية.

بيروت ـ «القدس العربي»: سعد الياس

فيما الحكومة اللبنانية تتخبّط على وقع امتناع وزراء الثنائي الشيعي عن المشاركة في جلساتها إلى حين البت بموضوع إقالة المحقق العدلي في قضية تفجير مرفأ بيروت القاضي طارق البيطار، فقد جاءت ضربة وزير الإعلام جورج قرداحي لتزيد من تخبّط الحكومة وتضع رئيسها نجيب ميقاتي أمام مطب كبير يتمثل بكيفية ترميم علاقات لبنان العربية وخصوصاً مع الدول الخليجية وفي طليعتها المملكة العربية السعودية التي اتخذت أقسى قرار بطرد السفير اللبناني لديها ووقف الواردات من لبنان واستدعت سفيرها في بيروت وليد البخاري للتشاور ولجوء دول أخرى كالبحرين والكويت إلى إتخاذ قرارات مماثلة، في وقت أعربت جامعة الدول العربية عن «قلقها من تدهور العلاقات اللبنانية الخليجية» ورأت أنه «كان على لبنان نزع فتيل الأزمة بعد تصريحات وزير الإعلام وليس تزكية النار، إذ كان ينبغي أن تعالج لبنانيًا بشكل مختلف» معتبرة أن «هناك أطرافًا لديها مصلحة في تفكيك علاقات لبنان بالدول العربية».

وتفاقمت المشكلة بعد بيان لحزب الله داعم للوزير قرداحي حيث وصف موقفه بـ«الشجاع والشريف» ورفض إقالته، الأمر الذي أسفر عن مزيد من التعقيدات وتسبّب بحرب بيانات مع «تيار المستقبل» ورئيسه سعد الحريري الذي كان نأى بنفسه عن الدخول في سجالات سياسية مع الحزب منذ استقالة حكومته إثر انتفاضة 17 تشرين الأول/أكتوبر مروراً بإعادة تكليفه بتشكيل الحكومة واصطدامه بالعهد وتياره، حيث أخذ حلفاء سابقون للحريري عليه تقرّبه من الثنائي الشيعي وصولاً إلى أحداث الطيونة عين الرمانة حيث كان موقف سعد الحريري عمومياً، واكتفى برفض إعادتنا إلى صور الحرب الأهلية البغيضة من دون أن يأتي على ذكر حزب الله أو يدين اقتحام عين الرمانة بالسلاح كما حصل في اجتياح بيروت في 7 ايار/مايو.

طفح الكيل

وكان لافتاً أن الرئيس سعد الحريري خرج عن صمته في هذه الأزمة المستجدة مع السعودية وأطاح بالهدنة بينه وبين حزب الله بعد وصول الأوضاع إلى هذا الدرك من إنعدام المسؤولية وتعريض علاقات لبنان بأشقائه العرب ومواصلة سياسة الاستقواء. وبدا الحريري غاضباً مما وصفها «سياسات رعناء واستعلاء باسم السيادة والشعارات الفارغة التي قرّرت ان تقود لبنان إلى عزلة عربية غير مسبوقة في تاريخه».

ولم يتورّع الحريري عن تحميل المسؤولية أولاً وأخيراً لحزب الله الذي اتهمه «بشهر العداء للعرب ودول الخليج العربي» من دون أن يوفّر العهد الذي «يسلّم مقادير الأمور لأقزام السياسة والإعلام والمتطاولين على كرامة القيادات العربية» على حد تعبيره.

أكثر من ذلك، توجّه الحريري بانتقاد ضمني لاذع للأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله الذي اشتهر بالتهديد برفع الأصبع فقال «تريدون دولة ذات سيادة وكرامة وطنية، ارفعوا يد إيران عن لبنان ، واوقفوا سياسات الاستكبار ورفع الأصابع وتهديد اللبنانيين بوجود جيش يفوق عدة وعدداً جيش الدولة ومؤسساتها الامنية والعسكرية «

وهكذا ومع سقوط الهدنة على جبهة «المستقبل» حزب الله وعودة الاشتباك السياسي بعدما «طفح كيل» التيار الأزرق من «السياسات العشوائية للحزب كرمى لسياسات إيران» فهذا الاشتباك مضافاً إليه القرار السعودي وقرار دولتي البحرين والكويت والخوف من عزلة لبنان العربية سيترك تداعياته الكبيرة على الحكومة الميقاتية التي باتت مترنّحة وأمام خيارين أحلاهما مرّ: فإما يلجأ رئيسها لممارسة كامل الضغط لفرض استقالة أو إقالة وزير الإعلام وما يخلّفه هذا القرار من تداعيات على علاقاته بحزب الله و«تيار المردة» وإما تتحوّل الحكومة إلى حكومة شبه مستقيلة أو معزولة عربياً ودولياً، وتتم الإطاحة بكل الآمال على خطة التعافي للخروج من المأزق الاقتصادي والمالي والحد من الازمة الحياتية والمعيشية ويتم الهرولة نحو جهنّم التي بشّر بها الرئيس ميشال عون.

عن ربح وخسارة بل عن كرامة»، وقال «أنا ملتزم بما يقرّره قرداحي سواء بالاستقالة أو عدمها وإذا استقال لن نسمي خلفاً له في هذه الحكومة».

الانقلاب على إعلان بعبدا

وبهذا يكون حزب الله، الذي دأب منذ فترة طويلة في خطابات علنية لأمينه العام وفي إرساله مقاتلين إلى اليمن وسوريا والعراق والتدخل في شؤون بعض الدول الخليجية وإنشاء خلايا أمنية كما حصل في الكويت والبحرين، قد تسبّب مرة جديدة في إدخال البلد في أزمة تاريخية غير مسبوقة مع محيطه العربي ومع المجتمع الدولي، في وقت كان يراهن رئيس الحكومة على الدعم العربي والدولي في عملية الانقاذ. وبهذا السلوك مع الخارج وبغزواته الأمنية والتهويلية في الداخل، يضع حزب الله الحكومة في مهب الريح والبلد على كف عفريت، بعدما وضع حليفه التيار الوطني الحر الانتخابات في مهبّ التطيير أيضاً تحت ذرائع مختلفة تارة لوجستية وجوية وطوراً دستورية وقانونية.

فطرفا تفاهم مار مخايل باتا مسؤولين عن الانهيار الذي بلغه الوضع اللبناني بإصرارهما على خرق مبدأ النأي بالنفس بعد الانقلاب على «إعلان بعبدا» الذي وضع في عهد الرئيس السابق ميشال سليمان والذي يقضي بتحييد لبنان عن المحاور والدخول في صراعات المنطقة. وبسبب هذه السياسات يشعر طرفا التفاهم بارتياب من نتائج الانتخابات النيابية المقبلة كشعور الحزب من الارتياب من التحقيق العدلي في قضية تفجير مرفأ بيروت، وبات الطرفان على يقين أن هذه الانتخابات لن تتيح لهما الاحتفاظ بالأغلبية داخل المجلس النيابي وأن المغتربين وخصوصاً الجاليات اللبنانية في دول الخليج يتحيّنون الفرصة للتصويت ضد العهد وحزب الله اللذين ساهما في تهجيرهم وما زالا يهددان حضورهم في الدول العربية وأعمالهم لولا اعتبار هذه الدول اللبنانيين على أراضيها جزءاً من النسيج الشعبي ورفض القيام بأي ردّات فعل غير مستحبة بحق أي لبناني مقيم على تلك الأراضي. لذلك يتوزّع كل طرف من طرفي تفاهم مار مخايل الأدوار لخلط الأوراق ويرفعان سقف مواقفهما إلى أقصى حدود في محاولة مكشوفة للاطاحة بالاستحقاق النيابي أولاً وربما بالاستحقاق الرئاسي ثانياً من خلال دفع الأمور إلى تأزيم كبير تماماً كما ذهب حزب الله إلى حرب تموز في عام 2006 للتهرّب من تطبيق مقررات الحوار الوطني حول الاستراتيجية الدفاعية وتنظيم السلاح غير الشرعي.

تطيير الانتخابات

وفي سياق الخطوات الآيلة إلى تطيير الانتخابات جاء ردّ رئيس الجمهورية ميشال عون التعديلات التي أقرّها المجلس على قانون الانتخاب، حيث عادت الجلسة التشريعية لتؤكد عليها وترد الرد، الأمر الذي أسفر عن انسحاب نواب التيار الوطني الحر من الجلسة وتطيير النصاب وتحضيرهم الطعن بالقانون مرة جديدة أمام المجلس الدستوري بحجة وجود مخالفة دستورية

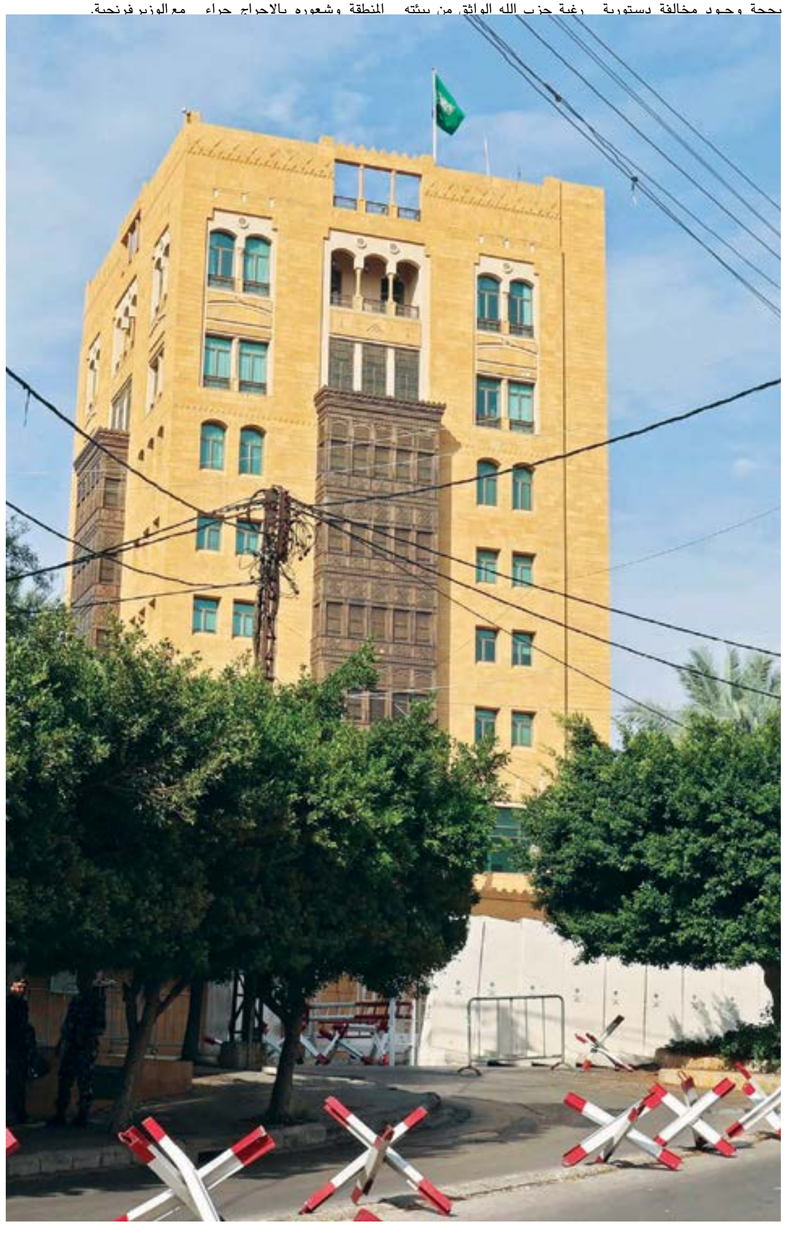

نتيجة عدم احتساب الأغلبية وفق عدد أعضاء المجلس الذي يتألف منهم قانوناً أي 128 نائباً، فيما اعتمد الرئيس نبيه بري والكتل الباقية التفسير الذي اعتمد سابقاً لدى انتخاب الرئيسين بشير الجميل ورينه معوض لجهة احتساب الأغلبية وفق المقاعد المملوءة أي 117 نائباً من دون احتساب مقاعد النواب المستقيلين الثمانية والنواب المتوفين الثلاثة.

إلا أن رغبة التيار العوني بتطيير الانتخابات النيابية تبدو أقوى من رغبة حزب الله الواثق من بيئته الحاضنة وبإعادته بقوته إلى البرلمان بالتحالف مع «حركة أمل» فيما التيار الوطني الحر سيخوض المعركة من دون حلفاء بإستثناء حزب الله في دائرة بعبدا وربما في دائرة جبيل كسروان، فلا «حركة أمل» معه ولا «المستقبل» ولا «الاشتراكي» بسبب النفور في العلاقة بين جمهور الحزبين، فيما القوات اللبنانية تبدو متقدمة مسيحياً عليه بأشواط ولاسيما بعد أحداث عين الرمانة وظهور التيار كحليف للمعتدي على أبناء المنطقة وشعوره بالاحراج جراء هذه الأحداث التي كرّست رئيس القوات سمير جعجع زعيماً لدى المسيحيين، وهو ما يفسّر الهجوم المتكرر للنائب جبران باسيل عليه الذي لم يجاره به سوى بعض نواب التيار وليس جميعهم.

وفي ضوء كل هذه المعطيات يبدو لبنان أمام اعصار سياسي وعلى مفترق خطير بين الانزلاق إلى الهاوية أو معالجة الأزمة من خلال استقالة سريعة للوزير جورج قرداحي شجّع عليها البطريرك الراعي في خلال لقائه مع الوزير فرنجية.

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10432 الأحد 31 تشرين الأول (أكتوبر) 2021 – 25 ربيع الأول 1443 هـ

هيئة «تحرير الشام» ودرس الجهاد العالمي في إدلب

يستمر الجولاني بحل عقدة المقاتلين الأجانب على طريقته الخاصة، باعتبارها أصعب عقد الحرب السورية، على أمل أن تؤدي هذه الخدمات إلى تغيير تصنيفه على القوائم السوداء.

منهل باريش

في مسار قضائها على الفصائل، فككت هيئة «تحرير الشام» جماعة «جند الله» الجهادية الصغيرة في منطقة جبل التركمان أقصى شمال غرب محافظة اللاذقية، قرب الحدود مع تركيا.

وشهدت المنطقة الجبلية ثلاثة أيام من الاشتباكات، بدأت يوم الاثنين الماضي، 25 تشرين الأول (أكتوبر) الجاري، سقط خلالها نحو 25 قتيلا من الجانبين، ووقع عدد من عناصر الهيئة المهاجمة أسرى بيد «جند الله». ونشرت الجماعة أشرطة مصورة لخمسة أسرى قال أحدهم «انهم سحبوا من نقاط الرباط ضد النظام ودفعوا إلى المنطقة لقتال الخوارج» وينسب الأخير إلى مؤسسه الذي هو أبو فاطمة التركي، وباتت الجماعة تكنى باسمه «جماعة أبو فاطمة التركي» ويعتقد انه قتل بغارة أمريكية قبل سنوات.

وفي تصاعد الخلاف في غرب سوريا، رفض موسى الشيشاني التفاهم الذي أبرمه شقيقه مسلم قائد كتيبة «جنود الإسلام» الشيشانية بالخروج من نقاط الرباط في جبل التركمان حسب طلب هيئة «تحرير الشام». وتوسط الحزب الإسلامي التركستاني لحل الخلاف وضمان أمن المقاتلين الشيشان وعدم الاعتداء عليهم. وشارك موسى في صد الهجوم على الجماعة الأخرى «جند الله» لكن مع اقتحام مقاتلي «تحرير الشام» المنطقة والسيطرة على مقرات الجماعة وبعض الموالين المحليين لها في ناحية اليمضية وبداما وجسر الشغور، هرب موسى الشيشاني باتجاه الحدود التركية مع مقاتلين آخرين هما، أبوعبدالله الشيشاني عبدالله البنكيشي، واعتقلتهم الجندرمة التركية وأعادتهم إلى سوريا وسلمتهما إلى معبر خربة الجوز، فقاموا بتسليم انفسهم إلى «تحرير الشام» كونها الجهة المسيطرة على المعبر. وتداول نشطاء في شمال غرب سوريا تسجيلا صوتيا لموسى الشيشاني في أول أيام الهجوم يحاول بلغة عربية مكسرة شرح انقلاب الهيئة على تفاهماتها مع الكتيبة الشيشانية، وانهم يبدأون التحشيد في المنطقة بعد كل هدنة واتفاق.

في مجريات القتال خلال ثلاثة أيام، يبدو أن «تحرير الشام» تعثرت في القضاء على الجماعة التي لا يتجاوز عدد مقاتليها 70 مقاتلا في أحسن الأحوال، بسبب صعوبة المنطقة الجبلية ووعورتها، كما أن الطريق الواصل بين جسر الشغور وجبل التركمان مرصود من قبل قوات النظام بصواريخ مضادة للدروع م/د، وهو يعيق إرسال التعزيزات والآليات ويعرض مقاتلي الهيئة إلى خطر الاستهداف المباشر. كما يتحصن مقاتلو الجماعة في منطقة مرتفعة للغاية وهم أخبر بها من مقاتلي الهيئة المستقدمين من مناطق أخرى، ما يفسر وقوع عناصر الهيئة بالأسر في عمليات التفاف عليهم خلف السواتر التي رفعوها حسب تحليل الأشرطة المصورة والأحاديث التي دارت بين مقاتلي «جند الله» وأسرى الهيئة. وفي اليوم الثاني من القتال نجح المهاجمون بالسيطرة على عدة نقاط بينها المستشفى والسلور والأبراج.

في التفاصيل، لعب الحزب الإسلامي التركستاني دورا أساسيا في التوصل إلى اتفاق يقضي بخروج «جند الله» وكتيبة «جنود الإسلام» الشيشانية، خرجت الأخيرة في أول يوم فيما تعثر التوصل إلى اتفاق مع «جنود الله» حتى يوم الجمعة، حيث انسحبت الجماعة من جبل التركمان وانتشر مقاتلو «تحرير الشام» عوضا عنها. ونص الاتفاق على خروج الجماعة الصغيرة مع كامل سلاحها، والإفراج عن الأسرى من الطرفين، وتسليم عناصر محددين بالاسم إلى «تحرير الشام» للتحقيق معهم بقضايا، سلب وسرقة، أو ما بات يعرف «الاحتطاب» أو «السرقة الحلال» حسب الاصطلاح الشرعي الذي أصبح شائعا في شمال غرب سوريا بين الجماعات الجهادية و«تحرير الشام». واعتمدت تلك الجماعات بشكل رئيسي على خطف الأطباء والتجار والصرافين والصناعيين والتجار الميسورين وإطلاق سراحهم مقابل فِدىً مالية كبيرة، ومع أن جبهة النصرة هي من سَنت تلك السُنة، بداية الأمر، إلا أنها تراجعت عنها بعد أن أصبحت مهنة باقي الجماعات الجهادية وفوضى أمنية كبيرة هددت بانفجار المنطقة ومغادرة الأطباء، في ظل شكوى من نقص الكوادر الطبية أساسا، حيث قتل العشرات منهم بسبب القصف الجوي الروسي واستهداف المراكز الطبية والحيوية من قبل قوات النظام.

مقاتلو هيئة تحرير الشام

بالتزامن مع خروج «جند الله» من جبل التركمان وتسليم المطلوبين انفسهم، استنفر «الجيش الوطني» في منطقة عفرين، تحسبا من تسلل أي من أولئك العناصر.

ونشرت غرفة القيادة الموحدة «عزم» المشكلة من تحالف عدة فصائل في ريف حلب الشمالي– تعزيزات عسكرية ونصبت حواجز عسكرية في المنطقة الفاصلة بين إدلب وعفرين. وقالت إدارة «التوجيه المعنوي» في الجيش الوطني السوري المعارض في بيان لها: «لا صحة البتة لما يتم تداوله على وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي حول وجود تفاهمات أو تنسيق مع الجيش الوطني، لإدخال مجموعات جند الله وما شابهها إلى مناطق غصن الزيتون». وأشار البيان أن هدف هذه الشائعات هو «النيل من سمعة الجيش الوطني السوري ودوره في حماية شعبنا» وختمت الإدارة «الجيش الوطني سيتخذ كل الإجراءات التي من شأنها حماية المناطق المحررة».

من الواضح أن هدف قيادة «تحرير الشام» هو تفكيك الجماعة بأي شكل، مهما بغت الخسائر، وهو ما اختبره المراقبون في أغلب جولات اعتدائها على فصائل الجيش الحر والفصائل الإسلامية الأخرى منذ نهاية عام 2014 وحتى الوقت الراهن.

وتسعى «تحرير الشام» إلى السيطرة على منطقة غرب جسر الشغور وما تبقى من مناطق تتبع إداريا لمحافظة اللاذقية، خصوصا وانها تتحصن في جبل الكبانة (تلة الكبينة) وهو أهم المناطق الاستراتيجية غرب محافظة إدلب. أما بقية المنطقة فتتقاسمها عدة فصائل إسلامية غير موالية لقائد «تحرير الشام» أبا محمد الجولاني الذي ينظر إلى المنطقة أنها خاصرة رخوة بالنسبة له ومن الأفضل بسط قوته هناك لعدة أسباب، أولهما يتعلق بتحطيم الفصائل الجهادية الصغيرة التي حاولت الانقلاب عليه عندما شكلت غرفة عمليات فاثبتوا، في حزيران (يونيو) 2020. وأبرزهم في غرب إدلب جماعة «أنصار الإسلام» إما السبب الثاني يتعلق بتطورات سياسية مرتقبة بخصوص مسألة تشغيل طريق الترانزيت حلب– اللاذقية /M4، والممتد في مناطق لا تسيطر عليها الهيئة، ما يعني أن أي اتفاق لا يجعل الجولاني الوكيل الحصري في تنفيذه. فيما يعتبر تسويق الهيئة نفسها على أنها تحارب الفصائل الجهادية هو رسالة مزدوجة لأمريكا وروسيا في آن معا، فقائد «جند الله» أبو فاطمة التركي كان مبايعا لتنظيم «الدولة الإسلامية» هو وعدد من جماعته. إما «جنود الله» الشيشان فهم جماعة ملاحقة روسيا. والحرب ضد الجماعتين يحسن في صورة التنظيم كما يعتقد قادة الهيئة.

عمليا، تنظر قيادة «تحرير الشام» إلى أن القضاء على الفصيل بشكل نهائي هو محرج للغاية، وإنهاء أي قوة يكفي بإخراجها من مناطق تحصنها ضد قوات النظام، ويؤدي نهاية إلى التخلص من أفراده بطرق متعددة منها ضم عناصره فرادى إلى الهيئة، أو إفساح المجال له لمغادرة إدلب بعدة طرق وترتيبات.

فعليا، يستمر الجولاني بحل عقدة المقاتلين الأجانب على طريقته الخاصة، باعتبارها أصعب عقد الحرب السورية، على أمل أن تؤدي هذه الخدمات المقدمة مسبقاً إلى الاعتراف به وتغيير تصنيفه على القوائم السوداء. على الأرجح ذلك أمر مستبعد وصعب للغاية على الأقل روسيا وصينياً ولا يكفي الموقف الأمريكي لحسمه.

الأكيد في تحرك الجولاني للقضاء على الفصائل الجهادية أنه شكل سابقة في طعن المهاجرين في ظهورهم، رغم انه كان منهم يوما في العراق عندما كان جنديا في تنظيم دولة «العراق الإسلامية» مواليا للبغدادي. وتعتبر فكرة القضاء على المهاجرين سابقة خطيرة في مفهوم الجهاد العالمي نفسه. فالتجربة السورية المريرة هذه ستكون عبرة ودرسا قاسياً لكل الراغبين في «نصرة المسلمين المظلومين» عبر التاريخ.

Volume 33 - Issue 10432 Sunday 31 October 2021

تونس بعد ثلاثة أشهر على الإجراءات الاستثنائية: إشراك المنظمات الوطنية والأحزاب ضرورة لتحصين الجبهة الداخلية

المماطلة في الخروج من الوضع الاستثنائي، والضبابية وعدم الوضوح في الرؤية، جعلت الأوروبيين يغيرون موقفهم بشأن ما يحصل في تونس منذ 25 تموز/يوليو وإلى اليوم.

تونس–«القدس العربي»: روعة قاسم

بعد مضي ثلاثة أشهر على الإجراءات التي اتخذها الرئيس التونسي قيس سعيد والتي جمّد بموجبها البرلمان وقام بحل الحكومة، بدأ البعض بتقييم المرحلة بعيدا عن الحماس الذي طغى في الأيام الأولى لدى الموالين، وأيضا التشنجات التي رافقت اتخاذ تلك الإجراءات من قبل المعارضين. واختلفت التقييمات وتراوحت بين التأييد المطلق لما قام به ساكن قرطاج والرفض القطعي لما حصل، وبين من يقفون على مسافة واحدة من الطرفين ويرون أن قرارات 25 تموز/يوليو كانت ضرورية بعد أن وصلت البلاد إلى الحضيض على كافة المستويات، لكنهم يرفضون أيضا ما قام به قيس سعيد لاحقا من جمع للسلطات بيده من دون تحديد آجال لنهاية هذا الوضع الإستثنائي.

ويشعر عدد من التونسيين أن لا شيء تغير بين الأمس واليوم خاصة على المستويين الاقتصادي والاجتماعي. فالتركة ثقيلة جدا في هذا المجال، كما أن وضع الحريات ما زال في أسوأ حالاته ولم يتمكن قيس سعيد خلال هذه الفترة القصيرة من تحقيق إنجازات تجعل التونسيين يتفاءلون خيرا في هذا المجال. فالمحاكمات العسكرية للمدنيين والتي كانت سائدة قبل 25 تموز/يوليو وساهمت في تشويه صورة القضاء التونسي دوليا لم تتوقف بعد رغم أن المحاكم العسكرية تضم في تونس قضاة مدنيين من خريجي كليات الحقوق وليس عسكريين مثلما يحصل في الأنظمة القمعية. واستهداف وسائل الإعلام والصحافيين سواء من قبل الهيئات التعديلية أو المواطنين المتحزبين أو عناصر الأمن ما زال مستمرا وكأنه لم يحصل تغيير في البلد جعل سقف الإنتظارات يرتفع في البداية لكنه سرعان ما تراجع بمرور الأيام.

أما على المستوى الخارجي فقد حصل تدهور ملحوظ في العلاقات مع الأطراف الدولية الفاعلة على غرار الولايات المتحدة الأمريكية . وتكمن أهمية واشنطن بالنسبة لتونس باعتبارها كانت ومنذ استقلال تونس داعما سياسيا واقتصاديا للخضراء وضامنا في السنوات الأخيرة لحصول تونس على السيولات المالية من المؤسسات النقدية الدولية.

لقد قام قيس سعيد بدعوة السفير الأمريكي وعبر له عن رفضه إدراج الكونغرس للأزمة التونسية في جدول أعماله وهو ما يبدو أنه أغضب واشنطن فتم تخفيض التمثيل الدبلوماسي الأمريكي في تونس وذلك بإنهاء مهام السفير بدون تعيين سفير جديد. وهو ما جعل أطرافا عديدة تدعو ساكن قرطاج إلى فتح قنوات حوار مع الأمريكيين من أجل مصلحة الاقتصاد الوطني باعتبار حاجة الخضراء لكل أصدقائها في هذه المرحلة الصعبة والدقيقة من تاريخها والتي تمر فيها بأزمة اجتماعية غير مسبوقة.

ورغم أن الاتحاد الأوروبي هو الشريك الاقتصادي الأول لتونس فإن الرئيس سعيد يبدو أنه لا يتواصل كما يجب مع عواصم القارة العجوز التي بدأ الفاعلون في اتحادها بغرض شروطهم على التونسيين وذلك من خلال ربطهم بين الدعم المالي للخضراء والاعتراف بأشياء لا تتماشى والتقاليد المحافظة للمجتمع التونسي. فرغم الانفتاح البادي على سلوك كثير من التونسيين إلا أن الشعب ما زال في عمومه وفي أعماقه شرقيا محافظا لا يستسيغ بعض الحريات التي لا تتماشى مع عاداته وتقاليده ويرفضها الدين الإسلامي كما المثلية الجنسية.

لذلك يرى البعض أن تونس بحاجة إلى محاور جيد مع الأوروبيين يحسن إدارة الحوار ويبلغ كما يجب للأوروبيين ما مفاده أن استقرار تونس أمنيا واقتصاديا هو استقرار لدول القارة العجوز وخصوصا بلدان الضفة الشمالية للمتوسط.

إن ماهو أكيد أن خصوم قيس سعيد السياسيين متمرسون أكثر منه على التواصل مع الخارج وتبليغ وجهات نظرهم إلى الشركاء والداعمين، وهو ما يرى فيه رئيس الجمهورية استقواء من هؤلاء بالأجنبي على بلدهم. ولعل ما يؤكد هذا التمرس هو الموقف الأوروبي عموما مما حصل في تونس، فبعد الدعم المقترن بضرورة الحفاظ على الديمقراطية الوليدة، تطور هذا الموقف في بيان البرلمان الأوروبي الأخير الذي بدا فيه نزوع إلى الابتعاد عن الرئيس قيس سعيد والاقتراب أكثر من أصحاب نظرية الانقلاب بدون أن تتبنى رؤيتهم بالكامل.

بالمقابل يرجع البعض أسباب هذا التغير في الموقف الأوروبي إلى تأخر قيس سعيد في تكليف رئيسة الحكومة الجديدة نجلاء بودن بتشكيل حكومتها، وإلى عدم إعلانه عن مواعيد دقيقة للانتهاء من هذه التدابير الاستثنائية واستكمال تعديل الدستور وتنقيح القانون الانتخابي والاستفتاء حولهما. كما أن المطلوب من الرئيس أيضا أن يحدد مواعيد الاستحقاقات الانتخابية في أسرع وقت ممكن باعتبار أن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لم تعد تحتمل المزيد من التأخير في هذا الإطار.

وبالتالي فإن «المماطلة» في الخروج من هذا الوضع الاستثنائي، وهذه الضبابية وعدم الوضوح في الرؤية، يبدو أنها هي التي جعلت الأوروبيين يغيرون موقفهم بشأن ما يحصل في تونس منذ 25 تموز/يوليو وإلى اليوم. ولا مجال بالتالي للحديث عن المعارضة ودورها في تأليب الخارج ولا عن عمالة البعض وانخراطهم في مؤامرات تدميرية باعتبار المساهمة الفعالة لمن هم في الحكم في هذا التغير في مواقف الشركاء الاقتصاديين الذين اعتادوا على مد يد العون في السراء والضراء.

انفراج ولكن..

إن العلامة المضيئة الوحيدة الحاصلة في تونس منذ 25 تموز/يوليو هي التحسن في الوضع الصحي في محاربة فيروس كورونا، حيث توفرت التلاقيح اللازمة وتم تطعيم عدد لا بأس من التونسيين وخرجت البلاد من دائرة الخطر وهي التي وصلت قبل هذا التاريخ إلى تسجيل كارثة صحية بكل ما للكلمة من معنى. فقد عجزت حكومة المشيشي عن توفير التلاقيح اللازمة وانتشر الفيروس بشكل لافت في مختلف مدن البلاد وحصد أرواح عشرات الآلاف من التونسيين.

ولعل فرض جواز التلقيح بالنسبة إلى التونسيين الراغبين في السفر إلى خارج البلاد وعلى كل من سيرتاد الفضاءات العامة والخاصة سيزيد من نسبة الإقبال على التلقيح وسيمكن تونس من تخطي هذه الأزمة الصحية بسلام. ويبدو أن الحكومة ماضية قدما في هذا التوجه غير مبالية بانتقادات كثير من الحقوقيين الرافضين لهذا الجواز باعتبار أن التلقيح بالنسبة إليهم اختياري ولا يجب فرضه فرضا والمس من حق التنقل لأي كان.

إن تحسن الوضع الصحي من شأنه أن يساهم في عودة النشاط السياحي إلى سالف عهده وكذا الحركة التجارية وهو ما سيمكن حكومة نجلاء بودن من بعض الأموال التي تحتاجها الحكومة خارج إطار التداين. وإذا لم يتم استغلال هذا الأمر الاستغلال الأمثل، خلافا لما حصل في السابق، فإن الأمور ستزداد صعوبة على هذه الحكومة التي ورثت تركة ثقيلة جدا في كافة المجالات.

ويرى البعض أن تونس لن تمر إلى بر الأمان من دون تحصين جبهتها الداخلية من خلال إشراك المنظمات الوطنية والأحزاب السياسية في التخطيط للمرحلة المقبلة في حوار وطني يشمل الجميع ومن دون إقصاء لأي طرف إلا من أثبت القضاء تورطه. فالإصرار من قبل الرئيس على عدم الاستماع إلى المنظمات الوطنية الكبرى مثل الاتحاد العام التونسي للشغل وعدم إشراكها في صياغة القرارات قد يؤدي بالبلاد إلى ما لا يحمد عقباه خاصة وأن تونس لم تعد تحتمل كثرة الاضرابات التي أنهكت الاقتصاد والتي كان الاتحاد فاعلا فيها ومحركا رئيسيا لها.

كما أن اقتصار الحوار الوطني على فئة الشباب بدون سواها لا يمكن أن يساهم في عبور البلاد إلى بر الأمان باعتبار أن هذه الشريحة وعلى أهميتها لا تمثل كل التونسيين. ولعل السؤال الذي يطرح من هم الشباب الذين سيشاركون في الحوار الوطني الذي أعلن عنه الرئيس قيس سعيد وعلى أي أساس سيتم اختيارهم؟ أليس الاستماع إلى فئة منهم دون الآخرين هو إقصاء للبقية؟ في حين أن مشاركتهم جميعا هو أمر هلامي يصعب تحقيقه على غرار النظام السياسي الذي يبشر به محسوبون على الرئيس والمستوحى من الديمقراطية المباشرة التي تصلح فقط للمجتمعات قليلة العدد؟

الرئيس التونسي والممثل السامي للاتحاد الأوروبي للشؤون الخارجية

مجزرة ديالى ومحاولات إحياء الفتنة الطائفية في العراق

عد المراقبون المجزرة الجديدة في ديالى، بانها التنفيذ العملي لتهديد الرافضين لنتائج الانتخابات، وهي رسالة من الفصائل بانها على استعداد لإحياء الفتنة الطائفية، إذا لم تتحقق رغباتها السياسية.

بغداد–«القدس العربي»: مصطفى العبيدي

الهجوم الإرهابي الأخير على قرية شيعية في محافظة ديالى العراقية، والرد عليها بهجوم ميليشيات على قرى سنية في المحافظة، أعاد للعراقيين ذكريات مؤلمة عن الفتنة الطائفية التي عاشتها هذه المحافظة والعراق، منذ الاحتلال الأمريكي 2003.

وقبل أيام وعقب ظهور نتائج الانتخابات التشريعية، وخسارة الفصائل المسلحة أغلب مقاعدها في البرلمان المقبل، نتيجة رفض الشارع لها، هدد بعض قادتها مفوضية الانتخابات والحكومة، بان عدم تغيير نتائج الانتخابات لصالح الفصائل ستكون له «تداعيات على السلم الأهلي في العراق» وحينها لم يتوقع الكثيرون ان تهديد الفصائل سينفذ بهذه السرعة.

وكان الهجوم الإرهابي على قرية الرشاد الشيعية في ديالى وسقوط نحو 30 قتيلا وجريحا، من قبل مسلحين مجهولين، الحجة التي اتخذتها بعض الفصائل، لتشن هجوما على قرية نهر الإمام السنية القريبة منها، ولتعيث بها فسادا وتدميرا، حيث أعلنت منظمات حقوقية وشهود عيان، إعدام ثمانية من رجالها وتدمير البيوت والسيارات وجامع القرية ومزارعها، حسب الفيديوهات التي تناقلتها وسائل التواصل الاجتماعي والتي أظهرت وصول هادي العامري قائد منظمة بدر مع قوة عسكرية كبيرة، إلى قرية الرشاد وتوعدهم بالرد على الهجوم، حيث أعقب ذلك شن هجوم واسع منظم على العديد من القرى ذات الأغلبية السنية للانتقام لقتلى الهجوم الأول رغم عدم علاقتها بالأمر، فيما تعرضت العديد من القرى إلى قصف بالهاونات، إضافة إلى وقوع عدة عمليات خطف لمواطنين، مما يدل على وجود النية المبيتة للتصعيد.

وكان أمرا مؤلما للعراقيين عندما وقفت القوات الحكومية تتفرج على هجوم الميليشيات على قرية نهر الإمام وقرى أخرى من دون ان تحاول منع المهاجمين أو حماية السكان، وهو سيناريو سبق ان تكرر خلال الفتنة الطائفية في الأعوام 2005 – 2007 في عدة محافظات ومنها ديالى التي تتحكم بها ميليشيات أبرزها بدر والعصائب.

ومع ان رئيس مجلس الوزراء مصطفى الكاظمي، توعد بملاحقة منفذي جريمة ديالى، التي نسبتها الحكومة إلى تنظيم داعش، مشددا على رفض «أي محاولة لبث الفرقة الطائفية التي لن نسمح بعودتها» كما قام بإقالة مدير شرطة ديالى لتقصيره في حماية المواطنين، مع فرض حظر التجوال لبعض الوقت، إلا ان «العمليات المشتركة» أصرت على نفي «وقوع أعمال انتقامية» عقب الهجوم على قرية الرشاد، رغم ان العديد من الوقائع أكدت وقوع هجمات منظمة من قبل جماعات مسلحة، ضد العديد من القرى السنية ووقوع ضحايا وحرق بيوت وتدمير للممتلكات، ما أسفر عن حركة نزوح كبيرة فرارا من عمليات الانتقام.

وكانت الفيديوهات المتداولة على وسائل التواصل الاجتماعي وبعض القنوات الفضائية، دليلا واضحا، حيث تحدث الناجون من المجازر بأن الميليشيات هاجمتهم بوجود قوات حكومية اكتفت بمراقبة الاعتداءات من دون تدخل إلا في حالات محدودة جدا. فيما كشفت وزيرة الهجرة والمهجرين العراقية إيفان فائق، بعد زيارة القرية المنكوبة، انها تفاجأت من العدد الكبير للنازحين من قرية نهر الإمام في المقدادية نتيجة استمرار الهجمات الإرهابية. وأكدت بان ما لا يقل عن 227 عائلة نزحت من القرية خلال الساعات القليلة عقب الهجوم. وقالت فائق «إن الوزارة تبحث نقل هذه العائلات إلى مخيم خانقين للنازحين بصورة مؤقتة لحين حلحلة أوضاعهم».

كما أعلن الوقف السني في ديالى، عن فتح أبواب المساجد والمرافق التابعة للمديرية لإيواء العوائل الهاربة وتقديم المساعدات العاجلة لهم، مؤكدا ان «تدفق النازحين ما زال مستمرا، وان هناك منهم جرحى، وآخرون قُتلوا، تم دفن بعضهم، بينما تنتظر جثث آخرين في المستشفيات».

وجاءت ردود الأفعال الرافضة لمجزرة ديالى سريعة، ومنها بيان «المجمع الفقهي لعلماء أهل السنة» الذي طالب فيه الحكومة بـ «ردع الإرهابيين والخارجين عن القانون وضرورة المعالجة الميدانية العاجلة لوأد الفتنة وأطفاء شرارتها، وفتح تحقيق بالخرق الأمني وتهاون الأجهزة الأمنية في منع وقوع حالات الإعدام والحرق والتجريف». وبدورها أدانت بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق «يونامي» بشدة الهجوم الإرهابي في ديالى، داعية السلطات إلى «إجراء تحقيق كامل في الهجمات وبذل كل جهد ممكن لضمان سلامة وأمن جميع المواطنين، من أجل محاربة تهديدات الإرهاب والعنف المستمرة التي تقوض استقرار العراق».

والملاحظ ان هجمات ديالى تزامن وقوعها، مع العديد من المواقف والتحركات لفصائل وأحزاب شيعية خاسرة في الانتخابات، بغية الضغط على مفوضية الانتخابات والحكومة لتعديل النتائج لصالحها بحجة وجود تزوير، حيث حذرت الميليشيات «ليس لدى المفوضية والحكومة خيار سوى تصحيح المسار، وإلا سيدخل البلد في نفق مظلم ومشاكل لا يحمد عقباها».

وضمن هذا السياق، جاءت تصريحات قائد ميليشيا العصائب قيس الخزعلي في تغريدة قال فيها «أتمنى ان تكون مجزرة ديالى لوحدها كافية دون الحاجة لمجازر أخرى، ليعلم من يطالب بحل الحشد أو دمجه انه جانب الصواب» وهو ما عده المراقبون إقرارا بمسؤولية بعض الفصائل عن تنفيذ تلك المجزرة للضغط على المفوضية والحكومة.

وقد عد المراقبون المجزرة الجديدة في ديالى، بانها التنفيذ العملي لتهديد الرافضين لنتائج الانتخابات، وهي رسالة من الفصائل بانها على استعداد لإحياء الفتنة الطائفية وتخريب البلد، إذا لم تتحقق رغباتها السياسية. وهو ما عزز قناعة معظم العراقيين بان الفتنة الطائفية هي صناعة بعض الفصائل والقوى السياسية في العراق، وان تنظيم «داعش» ليس هو الخطر الوحيد على أمن البلد. فيما يرى آخرون، أن إحياء الفتنة الطائفية وخلق الفوضى في العراق، قد لا يكون بعيدا عن مخطط إقليمي، مرتبط بالمفاوضات الإيرانية الغربية حول الملف النووي والعقوبات.

نزاع الصحراء يدخل غرب البحر الأبيض المتوسط في حرب باردة

التطورات المتسارعة التي يشهدها ملف الصحراء مؤشر على تحول النزاع إلى عنوان لحرب باردة إقليمية يشهدها غرب البحر الأبيض المتوسط.

لندن – «القدس العربي»: حسين مجدوبي

رفضت تونس يوم الجمعة 29 تشرين الأول/أكتوبر 2021 التصويت على قرار مجلس الأمن الخاص بتمديد مهام عمل بعثة المينورسو في نزاع الصحراء 2602. وتوجد شكوك حول حضور ومشاركة موريتانيا في الموائد المستديرة حول البحث عن حل لهذا النزاع، وأصبحت قضية الصحراء محددا للعلاقات بين باريس الجزائر. كل هذه المعطيات ضمن أخرى تبرز كيف حولت الجزائر هذا الملف إلى عامل رئيسي لتحديد تطورات العلاقة في غرب البحر الأبيض المتوسط:

بعد رحيل محمد عبد العزيز منذ سنوات وهو الذي قاد جبهة البوليساريو لمدة عقود بما فيها الحرب واتفاقية الهدنة، ثم نجاح الحراك الشعبي في الجزائر طرد الرئيس عبد العزيز بوتفليقة الذي يفترض أنه كان مهووسا بإضعاف المغرب، انتشرت التحاليل السياسية التي تتحدث عن قرب انفراج في نزاع الصحراء واقتراب تعزيز عمل الاتحاد المغربي العربي. واعتمدت هذه التحاليل على معطى مفاده تأثير أحداث الماضي على هذه الشخصيات مثل حرب الرمال سنة 1963 بالنسبة لبوتفليقة وحروب الصحراء ما بين 1975 إلى 1991 في حالة محمد عبد العزيز. وحدث العكس، فقد شهد ملف الصحراء توترا خطيرا يتجلى في عودة البوليساريو إلى الحرب التي لا تتعدى الآن مناوشات عسكرية، وفشل مجلس الأمن في التوصل إلى وقف هذه المناوشات كما جاء في القرار المصادق عليه مؤخرا. ويبقى الجديد في هذا الملف بل المقلق بدرجة «الخطورة» هو قرار الجزائر تحويله إلى ملف رئيسي في أجندتها السياسية والعسكرية الخارجية أساسا. وعلاقة بهذا، اتخذت الجزائر خطوات ملفتة ذات الطابع الجيوسياسي بسبب النتائج التي تترتب عنها. وتبقى أبرز الخطوات هي:

في المقام الأول، تبنت الجزائر ملف الصحراء منذ السبعينات، فهي التي تسلح البوليساريو وتمده بالدعم الدبلوماسي، لكنها وخلال الأسابيع الأخيرة، رفعت الملف إلى مستوى أعلى بتعيينها مسؤول دبلوماسي عن الملف وهو عمار بلاني الذي أصبح يتولى مهام الترويج مجددا للملف أمام دول أفريقية وأوروبية وآسيوية. واعترفت الجزائر بتراجع ملف الصحراء خلال حقبة بوتفليقة وتريد الآن استعادة المبادرة والزمن الضائع.

في المقام الثاني، اعتبرت منطقة الصحراء الغربية امتدادا لأمنها القومي، كما جاء في تصريحات رئيس أركان الحرب شنقريحة في خطاب له منذ شهرين. وأقدمت على توقيع اتفاقية حدود مع جبهة البوليساريو كممثل للجمهورية التي أعلنتها. وتحاول من خلال هذه المواقف الجديدة اكتساب شرعية التدخل وأساسا الدعم العسكري المعلن للجبهة. ويبقى الملفت هو اعتبار الصحراء امتدادا لأمنها القومي، وهو مبرر مقلق في أنظار الخبراء لأنه قد يدفع إلى اندلاع حرب في أي وقت بين المغرب والجزائر. ويضاف هذا إلى الاتهامات التي توجهها الجزائر إلى المغرب بالتآمر عليها مع دول أجنبية منها إسرائيل ودعم حركة القبايل التي تصنفها بالانفصالية.

في المقام الثالث، أعلنت الحرب الدبلوماسية والاقتصادية ضد فرنسا بسبب دعمها للمغرب في نزاع الصحراء. وتضع هذا البلد الأوروبي أمام اختيارين، التقليل من دعم المغرب وتحقيق توازن في علاقات باريس مع كل من الرباط والجزائر بما في ذلك في نزاع الصحراء أو التهميش المطلق لقوى اقتصادية أخرى مثل الصين وتركيا. واتخذت الجزائر عددا من الإجراءات في هذا الشأن منها تقليص إشراف الشركات الفرنسية على مرافق عمومية مثل الميترو وخدمات الماء والكهرباء. وانتقدت الجزائر فرنسا خلال المباحثات حول القرار الأخير بسبب معارضة باريس تضمين القرار أي إشارة إلى تكليف المينورسو بمراقبة حقوق الإنسان.

في المقام الرابع، يسود الاعتقاد في تبني إسبانيا موقفا حياديا أكثر من الماضي بسبب ورقة الغاز الجزائري، إذ تستورد إسبانيا 50 في المئة من احتياجاتها من الغاز من هذا البلد المغاربي. وأصبحت مدريد الآن قلقة بعدما قررت الجزائر إغلاق أنبوب الغاز «المغرب العربي–أوروبا» الذي يمر عبر المغرب. وفي ظل أزمة الغاز في السوق الدولية وارتفاع أسعاره، ستكون مدريد أكثر حذرا في سياستها المغاربية وخاصة تجاه الجزائر. ولهذا، وخلال أقل من شهر، توجه وزير الخارجية الإسباني ألفاريس يوم 30 ايلول/سبتمبر الماضي إلى الجزائر ثم النائبة الثالثة لرئيس الحكومة تيريسا ريغيرا إلى الجزائر الخميس من الأسبوع الجاري لضمان التوصل بالغاز. وكانت تصريحات وزير الخارجية السابقة غونثالث الصحافة الموريتانية منذ أسبوعين، وذلك بهدف تعزيز البحث عن آليات جديدة للبحث عن الحل يشمل فقط مفاوضات بين المغرب والجزائر. ويعد الموقف التونسي في مجلس الأمن ثم فرضية انسحاب موريتانيا بمثابة إعلان لتجميد كلي لاتحاد المغرب العربي بحكم أن المغرب يعتبر قضية الصحراء مصيرية ولن يشارك في أي اجتماعات مع دول يعتبرها غير ودية.

في المقام السادس والأخير، هو تولي روسيا الدفاع عن مواقف الجزائر في مجلس الأمن، فقد عادت للتركيز على استفتاء تقرير المصير والتحذير من الدفع نحو حل أحادي غربي. وكان ملف الصحراء في الماضي قد شهد تراجعا في أجندة روسيا، ولكن سعي موسكو إلى صياغة نفوذها في العالم سواء العسكري والسياسي، يجعلها تنسق مع المتحدة وكرد على المغرب الذي يعتبرها طرفا مباشرا في النزاع.

في المقام الخامس، وعلاقة بهذا الموضوع، لقد نجحت الجزائر في جر تونس إلى صفها في هذا النزاع، ولعل رفض تونس التصويت على القرار يوم 29 تشرين الأول/أكتوبر 2021 خير دليل. لقد شكل الموقف التونسي مفاجأة للجميع وخاصة المغرب. في الوقت ذاته، تحاول إقناع موريتانيا بالانسحاب من الموائد المستديرة التي تشرف عليها الأمم المتحدة، حسبما أوردت الصحافة الموريتانية منذ أسبوعين، وذلك بهدف تعزيز البحث عن آليات جديدة للبحث عن الحل يشمل فقط مفاوضات بين المغرب والجزائر. وبعد الموقف التونسي في مجلس الأمن ثم فرضية انسحاب موريتانيا بمثابة إعلان لتجميد كلي لاتحاد المغرب العربي بحكم أن المغرب يعتبر قضية الصحراء مصيرية ولن يشارك في أي اجتماعات مع دول يعتبرها غير ودية.

في المقام السادس والأخير، هو تولي روسيا الدفاع عن مواقف الجزائر في مجلس الأمن، فقد عادت للتركيز على استفتاء تقرير المصير والتحذير من الدفع نحو حل أحادي غربي. وكان ملف الصحراء في الماضي قد شهد تراجعا في أجندة روسيا، ولكن سعي موسكو إلى صياغة نفوذها في العالم سواء العسكري والسياسي، يجعلها تنسق مع المتوسط في حرب باردة جديدة.

«الحليف الجزائري» بشكل مكثف في هذا النزاع. ورغم تصويت الصين على القرار الأممي 2602 فخلال المباحثات حول القرار انضمت إلى أطروحة روسيا.

وبهذا، كل التطورات المتسارعة التي يشهدها ملف الصحراء هي مؤشر على تحول النزاع إلى عنوان لحرب باردة إقليمية يشهدها غرب البحر الأبيض المتوسط وستؤثر في بعض أحداثه وعلاقات بعض الدول ببعضها البعض. ولعل المثال هو: بعد قرار تونس رفض القرار الأممي، والذي فسره المغاربة بانحياز هذا البلد إلى أطروحة الجزائر، هل ستبقى علاقات الرباط وتونس مثلما كانت حتى الأمس القريب. وإذا انسحبت موريتانيا من مائدة المفاوضات هل ستبقى علاقاتها جيدة مع الرباط وإذا بقيت هل ستبقى علاقاتها جيدة الجزائر. وإذا لمست فرنسا طردا اقتصاديا من الجزائر ورفع هذا البلد الأخير للتنسيق مع روسيا عسكريا في غرب البحر المتوسط هل ستعيد النظر في سياستها المغاربية أم لا؟ علما أن التوتر الفرنسي–الجزائري من ضمن أسبابه إضافة إلى الذاكرة الاستعمارية ملف الصحراء.

كل قرار حول الصحراء يترتب عنه نتيجة في هذا الاتجاه أو ذاك. ولهذا فنزاع الصحراء أدخل غرب البحر الأبيض المتوسط في حرب باردة جديدة.

ليبيا تدخل مرحلة المنافسات على الرئاسة

أحاديث تدور في الكواليس تؤكد احتمال إرجاء الانتخابات إلى فبراير المقبل لأسباب بينها رفض رئيس مجلس النواب تعديل المادة 12 من القانون الانتخابي لإجبار حفتر على الاستقالة من مناصبه.

رشيد خشانة

حمي وطيس السباق إلى رئاسة ليبيا، بعدما التزم المُرشحون المُحتملون صمتا كاملا حول نواياهم، طيلة أسابيع. وبرز في الأيام الأخيرة تأكيد لترشُحات كانت متوقعة، مثل فتحي باشاغا وعارف النايض، فيما ظهرت أسماء أخرى أبرزها فتحي بن شتوان وزير الصناعة في عهد معمر القذافي، وابراهيم دباشي مندوب ليبيا الدائم لدى الأمم المتحدة سابقا. وستظهر بالتأكيد وجوه أخرى في الفترة المقبلة، استعدادا للانتخابات التي ستُجرى في الرابع والعشرين من كانون الأول/ديسمبر المقبل. وسيكون هذا المسار منفصلا عن مسار الانتخابات النيابية، التي تقرر إجراؤها بعد ثلاثين يوما من الرئاسية.

تأتي بداية تشكل المشهد الانتخابي، بعد عام على وقف إطلاق النار، الذي أنهى هجوم قوات الجنرال المتقاعد خليفة حفتر (78 عاما) على العاصمة طرابلس، وانطلاق العمل بخارطة الطريق التي صيغت في مؤتمري برلين1 وبرلين2. ولم يُعرف حتى اليوم ما إذا كان الجنرال حفتر سيشارك في المنافسة على رئاسة ليبيا أم لا، وإن كان اتخذ سلسلة من الخطوات التي تُظهر نيته خوض السباق الرئاسي. ويلف الغموض أيضا موقف رئيس مجلس النواب عقيلة صالح (77 عاما) الذي يُعتبر من حلفاء وزير الداخلية الأسبق فتحي باشاغا (59 عاما) إذ ترشحا معا في قائمة موحدة لتشكيل الحكومة المؤقتة، في منافسة مع عبد الحميد الدبيبة، لكن الأخير هو الذي فاز في المنافسة.

مع ذلك يحتفظ باشاغا، المنحدر من مدينة مصراتة، ذات الثقل السكاني والاقتصادي والعسكري الكبير، بعلاقات متينة مع عدة عواصم مؤثرة في الصراع الليبي، وخاصة تركيا وفرنسا وأمريكا وإيطاليا. ويوصف باشاغا بالرجل القوي في مصراتة، وهو من تصدى للميليشيات في العاصمة طرابلس، ما جعلها تستهدفه في محاولة اغتيال فاشلة العام الماضي. كما يُعرف بأنه من تحدى خصومه، لدى استدعاء القضاء له للاستماع إليه، بمثوله وهو وزير للداخلية أمام القضاة، ثم انتهت الدعوى بتبرئته. ويُعرف باشاغا بأسطول السيارات المصفحة الذي يُرافق موكبه. أما برنامجه الانتخابي فيتألف من ثلاثة أعمدة هي «الأمن ووحدة الوطن والمصالحة الوطنية». لكن يمكن اعتباره الأكثر ليبرالية، إذ أنه يولي أهمية خاصة لتعزيز القطاع الخاص كي يحل محل القطاع العام. ويعتقد أن تحقيق الاستقرار سيفتح المجال أمام عودة الشركات الدولية والمستثمرين للعمل من جديد في ليبيا خصوصا في مجال البنية التحتية. وتطرق باشاغا في حوارات صحافية إلى الميليشيات مُعتبرا أن تفكيكها يتطلب إمكانات كبيرة من الدولة، وهو يقترح صيغة بديلة تتمثل في إعادة تأهيل عناصرها وإدماج تلك العناصر تحت السلطة الحصرية للدولة.

استبعاد مرتكبي الانتهاكات

ويُعتبر إعلان فتحي بن شتوان (70عاما) ترشُحه للرئاسة مفاجأة، لكثرة ما تم تداوله من فرضيات حول ترشيح سيف الإسلام، النجل الثاني لمعمر القذافي، للرئاسة وهو أمر غير ممكن التحقيق بالنظر لكونه مطلوبا للقضاءين الدولي والمحلي. وشكل اختيار بن شتوان ليكون مرشح رجال النظام السابق، تعبيرا عن الحرص على النأي بالأشخاص الموروطين في جرائم مالية أو الملطخة أياديهم بدماء الليبيين، عن الحزب الجديد الذي أسسه تحت اسم حزب «تيار المشروع الوطني». وكان بن شتوان، المنحدر من أسرة مصراتية خرجت سياسيين بارزين، شغل منصبي وزير الصناعة ووزير النفط (2004–2006) ويُعتبر خبيرا في هذا القطاع. وقد انشق عن النظام السابق، لدى اندلاع انتفاضة 2011 مع وزراء آخرين، ولجأ إلى مالطا، ثم فرنسا. وهو يعتزم خوض الحملة الانتخابية تحت شعار «بالعلم والعزم نبنيها» (ليبيا). ومن المستبعد أن يكون بن شتوان مرشح سيف الإسلام بعدما اتهمه في تصريحات صحافية سابقة، بكونه المسؤول عن تهريب ما بين مئتين ومئتين وخمسين مليار دولار إلى الخارج في شكل استثمارات وغيرها من الأشكال.

ثلاثة محاور

أما مندوب ليبيا الدائم لدى الأمم المتحدة سابقا ابراهيم الدباشي (71 عاما) المنحدر من مدينة صبراتة (غرب) فأعلن هو الآخر ترشُحه للرئاسة، مؤكدا أنه سينشر قريبا برنامجه الانتخابي، مُستبقا بذلك المواقيت القانونية لاطلاق الحملة الانتخابية وانتهائها. وركز الدباشي، الذي انشق على النظام السابق في 2011 برنامجه الانتخابي على ثلاثة محاور، وهي استعادة هيبة الدولة، ومكافحة الفساد واسترجاع الثقة، واستعادة السيادة الوطنية. وعُرف المندوب الدائم السابق بعدائه للحركات المتشددة، وحذر لدى سيطرة عناصر من تنظيم «داعش» على مدينته صبراتة، في العام 2016 من أنه سيناريو مصغر لما سيحدث في طرابلس، «إذا لم يستيقظ مسؤولوها» مُحذرا من أن التنظيم الإرهابي الآتي من رحم «الجماعة الليبية المقاتلة» (المُتفرعة من تنظيم القاعدة) سيُسيطر على العاصمة طرابلس وبقية المدن الليبية إذا لم يُجهض في وقت مبكر.

دولة مدنية

ومن الترشُحات الأولى، التي كانت منتظرة، إعلان السفير الليبي السابق لدى الإمارات الأكاديمي عارف النايض (59 عاما) ترشُحه للرئاسة دفاعا عن برنامجه «إحياء ليبيا». ويرتبط الدكتور النايض، المنتمي لقبيلة ورفلة ذات الثقل السكاني الكبير، بعلاقات متينة مع الجنرال المتقاعد حفتر. وهو مولود في بنغازي، لكنه نشأ وترعرع في طرابلس، ويرأس حاليا مجمع ليبيا للدراسات المتقدمة. ويعتبر النايض أن ثلاثة بلدان «تُهدد الأمن الوطني الليبي وتُشكل خطرا على المنطقة بأسرها» هي تركيا وإيران وقطر على ما قال. كما أكد في تصريحات صحافية أنه «في صراع مع تنظيم الإخوان المسلمين والتنظيمات الأخرى المسلحة» في ليبيا، وأن «معركته الحقيقية تستهدف بناء دولة مدنية تحترم الأصول الإسلامية».

يبقى الغائب الأكبر حتى الآن هو حزب «تحالف القوى الوطنية» الذي فقد زعيمه الراحل محمود جبريل، متأثرا بجائحة كوفيد-19. ويُعتبر الحزب أكبر تجمع للأحزاب الليبرالية في ليبيا، إذ فاز بغالبية الأصوات، في الانتخابات العامة التي جرت في 7 تموز/يوليو 2012 إلا أنه لم يحصد غالبية المقاعد المخصصة للأحزاب، واقتصرت حصته على 39 مقعدا من أصل 200 مقعد. ويُعتبر «التحالف» المؤلف من عدة أحزاب صغيرة وشخصيات عامة، أهم حزب ليبرالي، في مقابل غريمه «حزب العدالة والبناء» الذي ينتمي إلى الفكر الاخواني. ويدعو «التحالف» إلى مجتمع وسط، وينادي بـ«إسلام معتدل ودولة مدنية ديمقراطية».

إقبال مُتوقع يوم الاقتراع

ويتطلع الليبيون إلى الانتخابات المقبلة، على أمل أن تؤدي إلى طي صفحة القتال، وتُبعد عن بلدهم شبح التقسيم. وهم لا يُخفون سأمهم من استمرار الصراعات، وسعيهم لتكريس الأمان والاستقرار في بلدهم، ما يشكل حافزا على الاقبال على مراكز الاقتراع، بحسب توقعات المراقبين. وأجازت أخيرا لجنة شؤون الأحزاب، التابعة لوزارة العدل، ثمانية أحزاب جديدة، من بينها «تكتل إحياء ليبيا» بزعامة عارف النايض، ورفضت الموافقة على ملفات خمسة أحزاب أخرى، لعدم مراعاتها الشروط المنصوص عليها في القانون، بحسب الوزارة.

لكن الأحزاب الليبية، التي ما زال بعضها جنينيا وبعضها الآخر ضعيف الخبرة بالانتخابات، لن تقدر على تحفيز الناخبين وعلى تنظيم الحملات الدعائية، مثلما هو الشأن في الأنظمة الديمقراطية، وذلك لسببين أولهما أن التقاليد الانتخابية ضعيفة أصلا، وثانيا لأن المناخ الذي ستُجرى فيه الانتخابات ما زال متوترا، جراء بقاء قوات أجنبية في البلد، واستمرار تدفق الأسلحة على ليبيا، بالرغم من القرارات الأممية في هذا المضمار.

بين الولاء للمدينة والانتماء للقبيلة

ويُرجح محللون أن يُفضي ضمور الكيانات الحزبية إلى بروز الانتماءات القبلية والمناطقية، بوصفها درعا لمنافسة المنافسين. ولمزيد من التدقيق، يتوقع بعض الخبراء أن تظهر هذه الولاءات الجماعية في المنطقة الشرقية أكثر منها في الغربية، حيث تفككت عُرى الانتماء القبلي، وذابت بدرجة كبيرة العصبيات ما قبل الوطنية.

ولذلك تسعى أطراف داخلية وخارجية عدة إلى تقريب الشقة بين الفرقاء الليبيين، خصوصا في مسائل دقيقة تتعلق بدعم العملية السياسية والانتخابية. وإلى جانب بعثة الأمم المتحدة، تعمل جمعيات غير حكومية من بينها «مركز الحوار الإنساني» (مقره في جنيف) على تحقيق تلك الأهداف. وكان المركز ساهم، بعيدا عن أضواء الإعلام، وباتفاق مع البعثة الأممية، في الدعوة لاجتماعات بوزنيقة (في المغرب) وتونس وجنيف، لتيسير الاتفاق على تشكيل حكومة انتقالية، تُمهد لإجراء الانتخابات. ولوحظ أن نائب المجلس الرئاسي عبد الله اللافي، أكد لدى استقباله وفدا من المركز، الأربعاء، أن المجلس متمسك بإجراء الانتخابات في ميقاتها، فيما أكد المركز، من جانبه، أنه ماض في الوساطة وفض النزاعات عبر الحوار والدبلوماسية.

لكن بعض الأحاديث التي تدور في الكواليس تؤكد احتمال إرجاء الانتخابات الرئاسية أو النيابية إلى شباط/فبراير المقبل، لأسباب عدة بينها رفض رئيس مجلس النواب عقيلة صالح تعديل المادة 12 من القانون الانتخابي لإجبار الجنرال حفتر على الاستقالة من مناصبه وليس تعليقها، إذا ما كان متمسكا بالترشُح للانتخابات الرئاسية، وهذا صعب التحقيق بالرغم من الجهود التي يبذلها الموفد الأممي يان كوبيش، عن طريق مصر، في هذا الاتجاه.

يبقى موضوع القوات الأجنبية، الذي يشكل تهديدا للعملية الانتخابية، حتى لو تم إبعاد هؤلاء المسلحين عن المدن والمناطق المأهولة بالسكان، وكذلك ملف المصالحة الوطنية، الذي دافع عنه رئيس المجلس الرئاسي محمد المنفي، لكنه لم يُحرز أي تقدم حتى اليوم.

وكان هذا المشروع انطلق مع إعلان المجلس الرئاسي، بوصفه رئيسا للدولة، عن إنشاء المفوضية العليا للمصالحة في بداية نيسان/ابريل الماضي، إيذانًا بانطلاق المشروع. ثم أعقبت ذلك الإعلان لقاءات في عدد من المدن الليبية، لمناقشة المشروع. واستفاد الليبيون بالسلب من التجربة التونسية في العدالة الانتقالية، التي استثمرها طرف سياسي واحد، معتبرين أن القضية ينبغي أن تشمل جميع الليبيين، ولا تستثني أحدا من ضحايا الاستبداد في ظل النظام السابق.

«بدنا نبطل نفكر بأصل الناس» الهوية

التشكيكات على الأرجح بأطروحة المعشر وبمخرجات لجنة تحديث المنظومة وبالعبارة نفسها التي تثير الجدل ستتواصل حيث اصطياد إصلاحي في غير مكانه.

عمان – «القدس العربي» بسام البدارين

«بدنا نبطل نفكر بأصل الناس».

تلك عبارة تختصر وتقول الكثير في المشهد السياسي الأردني وخصوصا في الجزء المتعلق فيه بالكيفية التي اثيرت فيها النقاشات والتجاذبات بعد ورود مصطلح أو عبارة «الهوية الوطنية الجامعة» في بند الأسباب الموجبة لوثيقة تحديث المنظومة السياسية التي حظيت بمصادقة ملكية بالتوازي.

العبارة الأولى اقترحها بصيغة سؤال استنكاري وعبر برنامج خاص في فضائية «رؤيا» المحلية وزير البلاط الأردني الأسبق الدكتور مروان المعشر، وهو يرد على سلسلة من الاتهامات والتحرشات التي طالته شخصيا بطرح إطاره الفكري السياسي الجديد وتحت عنوان يقول إن الهوية الوطنية الجامعة للأردنيين هي الرد الأكثر نجاعة على سيناريوهات التوطين ومشروعات الكيان الإسرائيلي.

في محاولة منه لهز الغربال قليلا حاول الدكتور المعشر مناقشة مخاوف عند بعض الأردنيين ظهرت مؤخرا بعد استعمال عبارة الهوية الجامعة في ديباجة تحديث المنظومة، مقترحا بان الشعب الأردني إذا أراد مجابهة المشروع الإسرائيلي فسلاحه الأهم هو الهوية الجامعة، لأن الطريق الوحيد ليس فقط نحو الإصلاح بكل تعبيراته لكن أيضا نحو تحصين الجبهة الداخلية.

اقترح المعشر أيضا عدم تحميل كلمتي الهوية الجامعة أكثر مما تحتملان خلافا لأن إسرائيل طول الوقت لديها مشروع لحل القضية الفلسطينية على حساب الشعب الأردني والمصطلحات بالتالي لا تهمها، والاعتماد على قدرة الأردنيين فقط على حماية الالتزام الدستوري وتحصين الجبهة الداخلية باعتبارهما خطوتين في الاتجاه اللازم كسلاح ضد مشاريع التسوية التوطينية.

عمليا ثمة أسباب ومبررات ومسوغات دفعت الدكتور المعشر، وهو مفكر سياسي معروف لتقديم هذا الشرح على أمل تخفيف حدة المخاوف الاجتماعية من مكونات في المجتمع الأردني ارتابت بمصطلح الهوية الوطنية الجامعة.

وهي حزمة ارتياب قد مسبقا وزير التنمية السياسية موسى المعايطة ورئيس اللجنة الفرعية للانتخابات في تحديث المنظومة السياسية خالد البكار وخلال نقاشات مباشرة مع «القدس العربي» بانها ينبغي ان تشرح للأردنيين وتدعو للطمأنينة وليس التوقف عندها مجددا لإعاقة المسيرة وعلى أساس ضرورة تجاوز المخاوف والمضي قدما نحو تحديث حقيقي للمنظومة السياسية.

قبل ذلك فوجئ المعشر نفسه بالمكان الذي ذهبت إليه بعض التعليقات والنقاشات عندما امتدت قليلا تفكير لجنة المنظومة بهوية وطنية جامعة للأردنيين، وأبلغ عضو اللجنة الملكية جميل النمري آنذاك «القدس العربي» بان المرتاب والمشكك ومن يحاول إعاقة المضي قدما لا يقدم بديلا لنا بل يسترسل في عرض المخاوف فقط.

آنذاك وفي نقاش مباشر مع «القدس العربي» قبل إطلالته التلفزيونية الأخيرة عبر المعشر عن استغرابه الشديد وهو يطرح سؤالا: لا أفهم كيف يمكن لأي عقل راشد ان يعتبر الحديث عن هوية جامعة للأردنيين خطوة نحو التوطين أو الوطن البديل؟

بدلا من الجلوس مطولا في مساحة الاستغراب قرر المعشر الاشتباك وبجرأة تحسب له عندما اعتبر بان الهوية الوطنية الجامعة هي السلاح الأمضى والأهم في مواجهة التوطين وليس العكس.

في كل حال حتى تلك التوضيحات قد لا تنجح بأكثر من تقديم رواية مختلفة في الشارع والتشكيكات على الأرجح بأطروحة المعشر وبمخرجات لجنة تحديث المنظومة وبالعبارة نفسها التي تثير الجدل ستتواصل حيث اصطياد إصلاحي في غير مكانه برأي المراقبين. وحيث إخفاق يشعر به بعض النشطاء في تفسير ظروف ولادة المصطلح وسط الغصرار على وجود هوية وطنية متأصلة عند الأردنيين منذ مئة عام على الأقل وعلى ان الحاجة غير ملحة لاصطلاحات جديدة تثير مخاوف المواطنين ومكونات المجتمع الأردني.

المتحمسون لعبارة «هوية وطنية جامعة» يخفقون حتى اللحظة بالمقابل في الإجابة على سؤال يرتاب بالتوقيت والتنميط، فالأزمة الاقتصادية خانقة والإقليم مفتوح على الاحتمالات والمرحلة الإبراهيمية بين إسرائيل وبعض دول الخليج تقلق الشعب الأردني، وثقة الناس باللجنة الملكية ومؤسسات الدولة تتراجع وتكاد تلامس حافة الانهيار والظروف معقدة وأسئلة الفساد معلقة، الأمر الذي يجعل الاصرار على الاصطلاح الجديد مثيرا للريبة في رأي تيار عقلاني راشد موجود في الأردن.

ذلك لا يعني إلا حقيقة واقعية موازية تبدأ بالاستمرار بما فعله المعشر قبل ثلاثة أيام حيث أعضاء اللجنة الملكية والمتحمسون من خارجها لفكرة وعبارة الهوية الوطنية الجامعة يطالبون بالمزيد من الجهد والشرح والاشتباك وتقديم الأدلة والبراهين لا بل الضمانات أيضا للخائفين والقلقين في أوصال المجتمع الأردني وعلى أساس ابتكار صيغة أو معادلة توقف حالة الخلط بين أوراق تحديث المنظومة والإصلاح السياسي وأوراق المشاريع الإبراهيمية التي يشتبه بها الأردنيون بكل مكوناتهم.

حدث الأسبوع

السودان: الشعب يرفض ويقاوم الانقلاب العسكري

سيداحمد علي بلال

لم يكن التكهن بمحتوى البيان الذي سيلقيه الفريق البرهان صباح 25 تشرين الأول/اكتوبر يحتاج لإجتهاد كبير. فقد توقع كثيرون أن يقدم الجنرال البرهان على وصف ما سيفعله بانه ليس انقلابا، وانه سيشكل «حكومة كفاءات مستقلة» وسيعتمد في ذلك على (حاضنة) جديدة من حلفاء يقولون إن الحاضنة الأولى «إعلان قوى الحرية والتغيير» قد أقصتهم منها؛ لكن كان من الصعب تصوّر ما سيفعله البرهان بالوثيقة الدستورية التي ظلت تستند عليها شرعيّة الحكم منذ خلع البشير في نيسان/ابريل 2019.

بقراءة البرهان لبيانه الهام اتضح انه يعلن عن إقدامه على القيام بفعل كل ما يفعله أسلافه من الانقلابيين الذين مَرّوا قبله على البلاد، فأعلن عن حل مجالس الحكم المشتركة بين المدنيين والعسكريين: مجلس السيادة ومجلس الوزراء، وإعلان حالة الطوارئ، وقام بتعديل الوثيقة الدستورية فأزال منها المواد التي ظن انها ستسمح له باتخاذ ما يشاء من خطوات.

بعد ان حل البرهان المجلسين، الذين يشكلان معاً السلطة التشريعيّة والتنفيذيّة، يكون قد فقد وظيفته القديمة فيهما (رئيس مجلس السيادة) ولم يتبق له سوى وظيفة قائد جيش يقوم بتنفيذ انقلاب عسكري.

وبإلقاء نظرة سريعة على المواد التي أزالها من الوثيقة الدستوريّة نجدها تحتوي على الآتي:

المادة 15 وتتعلق بلجنة تفكيك تمكين نظام الثلاثين من حزيران/يونيو 1989 (نظام البشير).

المادة 16 وتتعلق بلجنة التحقيق في فض الاعتصام أمام قيادة القوات المسلحة في 3 حزيران/يونيو 2020 .

المادة 24/3 وتتعلق بالمجلس التشريعي وتكوينه.

المادة 71 وتتعلّق باحكام الوثيقة الدستورية المستمدة من أحكام الاتفاق السياسي بين المجلس العسكري وقوى إعلان الحرية والتغيير.

المادة 72 وتتعلق بحل المجلس العسكري بموجب الوثيقة.

تبرز تعديلات الوثيقة الدستوريّة:

تعطيل عمل لجنة تفكيك نظام الثلاثين من حزيران/يونيو 1989 والتي استطاعت تجميع قاعدة معلومات كبيرة حول الفساد في عهد الإنقاذ.

تعطيل أو إيقاف عمل لجنة فض الاعتصام والتي تتولى التحقيق في جرائم مذبحة فض الاعتصام أمام مبنى القيادة العامة في يوم 3 حزيران/يونيو 2020 بحيث يكاد ان يمثل ذلك مشاركة في طمس معالم جرائم المذبحة وحماية مرتكبي جرائم مستقبلية أيضاً.

لابد ان اللحظة السياسيّة الراهنة ذات صلة جوهرية بلحظات سابقة وبلحظات لاحقة، أهمها ان رئاسة الفترة الانتقالية كان قد تم تقاسمها بين المكونين، العسكري والمدني، إلى مرحلتين يتولى المكون العسكري رئاسة المرحلة الأولى التي كانت ستنتهي في شهر ايار/مايو الماضي، إلا ان إضافة عام للفترة الانتقالية من خلال اتفاق جوبا للسلام جعل نقل الرئاسة يتحول إلى تشرين الثاني/نوفمبر المقبل بقسمة العام على المرحلتين بمعدل 6 أشهر لكل مرحلة (من ايار/مايو إلى تشرين الأول/نوفمبر).

وكان البرهان قد زعم، في مؤتمره الصحافي الذي عقده يوم 26 تشرين الأول/اكتوبر انه استضاف رئيس الوزراء، عبدالله حمدوك، في منزله، ولم يقل في مقر إقامته بقصر الضيافة، وما الذي يمنع من تفسير سلوكه ذاك بانه يمثل عملية احتفاظ بحمدوك كرهينة. لقد ظل البرهان، عضو اللجنة الأمنيّة للنظام السابق، يواصل لعب الورقة الأمنية إلى أقصى مستوى لها بتصوير أن السودان يقف على حافة الهاوية، ومعيّداً الطريق لوصاية الجيش على الحياة السياسيّة.

معتقلون بلا حدود

بعد الانقلاب بوقت قليل اتضح ان قوات البرهان قد اعتقلت رئيس الوزراء ومجموعة من وزرائه وطاقم الصحافيين الذين عملوا في الإدارات المختلفة للحكومة الانتقاليّة فاعتقل كل من عضو مجلس السيادة محمد الفكي سليمان، ووزير شؤون الرئاسة خالد عمر (سلك) والمستشار السياسي لرئيس الوزراء ياسر عرمان، والمستشار الإعلامي لرئيس الوزراء فيصل محمد صالح، والمتحدث الرسمي باسم قوى إعلان الحرية والتغيير جعفر حسن، والناشط والصحافي الحاج وَرّاق، والي ولاية الخرطوم أيمن خالد نمر، والأمين العام المساعد لحزب البعث الاشتراكي علي الريّح الشيخ السنهوري، وعضو لجنة ازالة التمكين وجدي صالح، ووزير الصناعة ابراهيم الشيخ، ووزير الغعلام حمزة بلول، وعضو قيادة قطر السودان لحزب البعث شمس الدين احمد، ووزير الشباب والرياضة يوسف آدم الضي، ومدير عام وزارة الثقافة والإعلام بولاية الجزيرة– طارق مصطفى، وعضو سكرتارية لجنة إزالة التمكين عروة الصادق.

إن قراءة تعديل الوثيقة الدستورية يكشف بوضوح جزءًا من أهداف الانقلاب:

1–وقف أو تعطيل عمل لجنة تفكيك الثلاثين من حزيران/يونيو 1989(نظام الانقاذ–البشير).

2–وقف أو تعطيل أعمال لجنة التحقيق في مذبحة فض الاعتصام، بحيث ينجو المتورطون في المذبحة.

مليونيّة 21 أكتوبر

سرعان ما جاء الرد الشعبي الكاسح على الانقلاب، فقد كشفت مليونيّة 21 تشرين الأول/اكتوبر عن القوّة والتنوّع الذين تتميز بهما تيارات وقوى الشارع السوداني فبرزت لجان المقاومة التي يغلب عليها الطابع الشبابي، وكتلة أسر شهداء فض الاعتصام، والقوى المساندة للجنة تفكيك نظام الانقاذ، وكتلة قوى إعلان الحرية والتغيير، وكتلة من تعرضوا للقمع والتعذيب في بيوت الأشباح، وكتلة الحزب الشيوعي التي كانت قد خرجت من قوى إعلان الحرية والتغيير، وغيرهم، وقد كان البرهان يراهن على ما قد يفعله عنصر الوقت في تشتيت هذه القوى والذي ربما كان يعتبره حاسما في إحداث تشققات وسط هذه الكتل السياسية. وما زالت تتصاعد الدعوات لتظاهرات مليونية في 30 تشرين الأول/ اكتوبر.

جدّدت قوى مقاومة الانقلاب هذه من أساليبها فاعتمدت تتريس الشوارع (إقامة تروس، وحرق إطارات السيارات) وإغلاق الشوارع بالطوب والحجارة، وتحاشي المواجهة مع القوى المسلحة، إلا على أضيق نطاق في الشوارع والأزقة، واعتماد عمليات الكر والفر لارهاق قوات الجيش والميليشيات التابعة له.

وفي أحياء البراري التي تقع شرق الخرطوم، والتي تتشكل من 4 أحياء، خامسها امتداد ناصر، تطبق أساليب المقاومة هذه، حيث الناس في البراري يعرفون بعضهم البعض، ومع ان قوى السلاح تمارس أشد أشكال العنف والتنكيل وتواصل ممارسة أساليب مثل حلاقة شعر الشباب من المتظاهرين وعمليات المطاردة والقتل فإن هناك مظاهر مقاومة جديدة مبتكرة بدأتها إحدى الناشطات نجلاء سيد احمد، بحلاقة شعرها تضامنا مع الشباب المتظاهرين الذين يتعرضون إلى الاعتداء بحلاقة الشعر وغيرها من المحاولات التي يقصد بها الاذلال. وعلى مستوى المقاومة نشرت لجنة إزالة تمكين نظام الثلاثين من حزيران/ يونيو1989 والفساد بيانا طمنت فيه الشعب بانها قامت بالمحافظة على وثائقها، وقد جاء في بيان اللجنة «نطمئن الشعب السوداني بأننا قمنا بالاحتفاظ بنسخ كاملة أخرى لكل ملفات الفساد بأماكن آمنة داخل وخارج البلاد. نؤكد امتلاكنا لمعلومات تفصيليّة وموثقة ولا غبار عليها، تشمل آلاف الوثائق والمستندات وإيصالات حكوميّة وبنكية وعقود مع دول أجنبيّة، وتوقيعات وتحويلات ماليّة ضخمة عن الفساد داخل كافة الأجهزة الأمنية والعسكرية والميليشيات والحركات المسلحة وكل امبراطوريّة الفساد التي قامت باستباحة البلاد بصورة لم يسبق لها مثيل بل لا يمكن تخيلها كالتهريب الرسمي لأطنان من الذهب عبر مطارات البلاد، وهبوط طائرات المخدرات في المطارات الحربيّة. وكذلك لدينا نسخ من كافة المستندات والوثائق التي تثبت تورط محمد الطاهر إيلا والناظر ترك وشركاؤهم من المتورطين في نهبهم لأموال صندوق إعمار الشرق. وتؤكد اللجنة ان الوثائق والمستندات والأدلة الدامغة التي لديها تدين عبد الفتاح البرهان وتورط أعضاء المجلس العسكري وقائد الدعم السريع وأعضاء من أسرة آل دقلو، وبعض الحركات المسلحة والفلول وبعض قادة التنظيم المحلول».

وقد تضررت القوى التي كانت تأمل في الكسب السياسي من خلال اصطفافها إلى جانب البرهان والعسكر، فقد أشار تقرير لصحيفة «الجريدة» إلى ان عددا من قيادات التحالف الديمقراطي للعدالة قد تقدم باستقالته بسبب موقف مؤسساتهم من انقلاب البرهان من بينهم حذيفة عبدالله عمر، مساعد السكرتير العام للتنظيم وعضو المكتب السياسي ابراهيم كنجف. كما استقال الدكتور محمد حسن ابراهيم، نائب رئيس مكتب حركة العدل والمساواة بأمريكا وامين الإتصال الخارجي للحركة الذي وصف موقف قيادة حركته بانه «يقف ضد مشروع التغيير وضد التحول المدني الديمقراطي» ووصف موقف القيادة بانه يمثل «خيانة لدماء شهداء الثورة السودانيّة» كما استقال حمد البشير محمد نور، الرئيس السابق لحركة العدل والمساواة بفرنسا، وهناك أخبار أوردتها وسائط الاعلام الجماهيري، يوم 28 تشرين الأول/أكتوبر، عن اقتحام «قوة مسلحة لمبنى صحيفة (الديمقراطي) وقامت باحتلالها» وكان الإعلاميون في طليعة من استهدفهم الانقلاب بالاعتقال.

وعلى مستوى ردود الفعل السودانية الخارجيّة بعثت وزيرة الخارجية برسالة لكل وزراء خارجيّة دول العالم توكد ان ما حدث في السودان «انقلاب عسكري مرفوض والشعب سيقاومه» كما أدان عدد كبير من السفراء السودانيين بـ «أشد العبارات» ما اسموه بـ«الانقلاب العسكري الغاشم» وأعلنوا انحيازهم التام إلى المقاومة الشعبيّة، وقد بلغ عددهم مساء يوم الأربعاء 39 دبلوماسياً.

ربما تلخص مقدمة خطاب الرئيس الأمريكي جو بايدن ردود الفعل العالمية على ما يحدث في السودان، فقد ورد فيها انه قد اتفق «قادة الدول والمنظمات العالمية، متضمنة الاتحاد الأفريقي، وجامعة الدول العربيّة، والاتحاد الأوروبي، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التعاون الإسلامي، على إدانة الاستيلاء العسكري على السلطة في السودان واستخدام العنف ضد المتظاهرين السلميين، واليوم أضاف مجلس الأمن صوته لأصوات الإدانة التي يوجهها المجتمع الدولي.

انقلاب السودان: رهانات البرهان/ دقلو الحمقاء

صبحي حديدي

لأنّ السودان بلد الانقلابات ومحاولات التمرد العسكرية، وقد شهد منها الكثير الناجح أو الفاشل؛ فإنه أيضاً بلد الانتفاضات والحراكات الشعبية التي تنجح تارة أو تخفق طوراً، وتفرز في كلّ حال قوى مقاومة وأخرى صانعة للثورة المضادة. ومنذ انقلاب حزيران (يونيو) 1957 الفاشل، ضدّ إسماعيل الأزهري وحكومة الاستقلال الأولى، لم تنقطع شهوة العسكر إلى القبض على السلطة بالقوّة، وتوفّر على الدوام إبراهيم عبود هنا أو جعفر النميري هناك، وما بينهما أمثال إسماعيل كبيدة وهاشم العطا وحسن حسين وعمر حسن البشير؛ وندر، في المقابل، ضابط شريف ديمقراطي النزعة على غرار الفريق عبد الرحمن سوار الذهب، يردّ الحكم إلى المدنيين.

هذه الأيام لا تبدو على وشك تحقيق استثناء فارق، ليس لأنّ شهوة السلطة تُعمي بصر وبصيرة أمثال عبد الفتاح البرهان ونائبه/ شريكه الأوّل محمد حمدان دقلو (وهذا الأخير خير تذكرة بأنّ إرث البشير حيّ ويتمدد)، فحسب؛ بل كذلك، وليس الأمر جديدا هنا أيضا، لأنّ الجناح المدني متشرذم منقسم تكبّل بعض شرائحه شهوات مماثلة إلى السلطة والتفرّد والشللية. الجوهري، أكثر من هذَين الاعتبارين، هو أنّ غالبية عظمى من انقلابات الماضي حرّكتها مظالم اجتماعية ومعيشية واقتصادية، كانت كذلك وراء انتفاضات الشعب السوداني التي تكفلت بإحباط انقلاب أو إفشال تمرّد.

وبهذا المعنى يجوز الافتراض بأنّ رهانات الثنائي البرهان/ دقلو بُنيت على حسابات قصيرة النظر، وعلى قراءة سطحية للأجواء التي اكتنفت «المحادثات» مع جيفري فلتمان المبعوث الأمريكي إلى القرن الأفريقي، وعلى تطبيقات حمقاء تماماً لما قد يكون أوحى به عبد الفتاح السيسي مباشرة أو على سبيل الاقتداء، فما بالك بأمثلة ضباط الانقلابات هنا وهناك في القارّة الأفريقية. وليس مثيراً للدهشة، البتة في الواقع، أن يتحلى ثنائي عسكر السودان بتلك المقادير من الغباء، ما دام استغباء عقول الناس قد بلغ بقائد الانقلاب درجة إقناع ممثلي الرأي العام العالمي بأنّ رئيس الوزراء عبد الله حمدوك ليس معتقلاً بل هو في بيت الفريق أوّل البرهان، وفي ضيافته!

ولقد اتضح أنّ ما خفي من «المحادثات» مع فلتمان كان هو الأعظم في نهاية المطاف، وربما استكمالاً لـ«ثقافة» في الدبلوماسية الأمريكية كانت أشهر نماذجها «محادثات» مماثلة أجرتها سفيرة الولايات المتحدة في العراق أبريل غلاسبي مع صدّام حسين حين أبلغته أنّ بلادها «ليس لديها أيّ رأي» بخصوص النزاع العراقي – الكويتي، أو نشر القوات العراقية في الجنوب وعلى الحدود مع الكويت. الخارجية الامريكية، وتحت ضغط تسريبات متعاقبة فاضحة، اضطرت إلى الإقرار بأنّ فلتمان «استشعر» وجود تأزّم بين العسكر والمدنيين في السودان، فهل فعل شيئاً بعد الاستشعار؟ وهل امتناعه عن فعل شيء، هو فعل كامل متكامل في ذاته؟

ولن يكون أقلّ تفضيحاً لخفايا انقلاب الثنائي البرهان/ دقلو ما سيتكشف في دوائر الاستخبارات الإسرائيلية حول «حيرة» دولة الاحتلال بين تأييد العسكر، أصحاب المبادرة إلى التطبيع وسائقي القاطرات إلى مسيرها ومساراتها؛ وبين الظهور بمظهر «واحة الديمقراطية» الوحيدة في الشرق الأوسط، التي تساند انقلاباً صريحاً ضدّ تحوّلات انتقالية ديمقراطية في بلد مطبّع. هنا، أيضاً، بعض رهانات عسكر السودان الحمقاء، وضحالة قراءة تاريخ الاستخبارات الإسرائيلية في القارّة عموماً، وفي القرن الأفريقي على وجه الخصوص.

إلى هذا، لن يكون تمسّك الحراك الشعبي بطرائق المقاومة المدنية، السلمية حصرياً، غريباً بدوره عن تاريخ الملابسات التي اكتنفت انقلابات الماضي في السودان؛ كما أنّ الانحراف عنها، نحو أشكال عنفية ومسلحة، سوى الهدية المثلى التي ينتظرها ثنائي البرهان/ دقلو، إذْ ستتيح لهما التكشير عن أنياب موهّمة حالياً، متأهبة دائماً. وهذا قد يكون رهان العسكر الوحيد الذي يتأسس على حساب رابح، حتى إذا كان دامياً عالي الكلفة وطنياً وإنسانياً.

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10432 الأحد 31 تشرين الأول (أكتوبر) 2021 – 25 ربيع الأول 1443 هـ

السودان: تظاهرات الاحتجاج على الانقلاب بدأت في الخرطوم والعالم يراقب

اغلاق شوارع وجسور في الخرطوم

الخرطوم ـ وكالات ـ «القدس العربي»:

بدأت بعد ظهر السبت تظاهرات الاحتجاج على انقلاب قائد الجيش السوداني الفريق أول عبد الفتاح البرهان على شركائه المدنيين في السلطة في ضاحية أم درمان في شمال غرب الخرطوم، حسب شهود. وكشفت شبكة «سودان ناو» الإخبارية السبت عن انطلاق مواكب أم درمان المتجهة لشارع الأربعين في العاصمة الخرطوم ومواكب الكلاكلات وجبرة.

ورفع المحتجون العلم السوداني ورددوا شعارات تؤكد استمرار تصعيدهم السلمي ضد الإجراءات التي أعلنها قائد الجيش عبدالفتاح البرهان يوم الاثنين الماضي، وشملت حل مجلسي السيادة والوزراء، وفرض حالة الطوارئ.

وتحت شعار «الردة مستحيلة» دعا أنصار الحكم المدني إلى تظاهرات «مليونية» السبت في السودان للمطالبة بعودة العسكريين إلى ثكناتهم وتسليم السلطة إلى المدنيين.

ويوم الجمعة أعلنت «تنسيقية لجان المقاومة» بالسودان، 7 مطالب للثوار خلال تظاهرات حاشدة ضد ما سمّته بـ«الانقلاب العسكري».

ووفق بيان للتنسيقية، فإن الثوار حددوا مطالبهم في تظاهرات 30 تشرين الأول/اكتوبر الجاري، وأبرزها «إسقاط الانقلاب العسكري وتسليم السلطة كاملة للمدنيين، وتسليم جميع أعضاء المجلس الانقلابي لمحاكمات عاجلة وفورية بتهمة الانقلاب العسكري». وقال البيان إنه «لا حوار ولا تفاوض مع أي من أعضاء المجلس العسكري الانقلابي، وكل أعضاء اللجنة الأمنية ورفض المحاور الدولية».

كما طالب الثوار بـ«حل كل الميليشيات المسلحة وإعادة تكوين قوات الشعب المسلحة خلال فترة محددة، وفق عقيدة وطنية هدفها حماية حدود الوطن وحقوق الشعب في الحرية والسلام والعدالة».

ودعا إلى «إبعاد القوات النظامية من العملية السياسية نهائيا، بتجريم ومنع ممارسة السياسة من جانب العسكر، وتكوين كل هياكل السلطة الانتقالية في فترة محددة، بإشراف الكيانات المهنية والأكاديمية».

وشددت تنسيقية لجان المقاومة على «الاستقلالية التامة لسيادة الدولة السودانية بشأن كل القرارات الاقتصادية والسياسية والأمنية» وفق البيان ذاته.

ودعت قوى سياسية عدة، في بيانات منفصلة، المواطنين إلى التظاهر وتنفيذ عصيان مدني شامل.

وحشد أنصار الحكم المدني في السودان قواهم في الشارع السبت لإثبات قدرتهم على تحدّي انقلاب قائد الجيش عبد الفتاح البرهان وإعادة البلاد إلى عمليّة التحوّل الديمقراطي رغم القمع الدامي للاحتجاجات خلال الأيّام الخمسة الأخيرة.

ويراقب العالم رد فعل العسكريّين على هذه التظاهرات التي وعد منظّموها بأن تكون «مليونيّة». وتعالت الأصوات عشيّة الاحتجاجات، محذّرة السلطات العسكريّة من استخدام العنف ضدّ المتظاهرين.

وقالت الناشطة من أجل الديمقراطيّة نهاني عباس «العسكريّون لن يحكمونا، هذه هي رسالتنا».

وأكّدت أنّ التظاهرة «المليونيّة» التي دُعي إليها السودانيّون السبت على وسائل التواصل الاجتماعي وعلى جدران الخرطوم «ليست إلا خطوة أولى».

ففي بلد يحكمه عسكريّون بشكل شبه مستمرّ منذ استقلاله قبل 65 عاما، قرّر الشارع أن يقول «لا» السبت للفريق أوّل عبد الفتّاح البرهان الذي حلّ الاثنين كلّ مؤسّسات الحكم في البلاد واعتقل غالبيّة المسؤولين المدنيّين، ليستأثر العسكريّون بالسلطة.

خطوط الهواتف مقطوعة

صباح السبت كانت خطوط الهواتف مقطوعة في الخرطوم مع إمكان الاتصال من الخارج فقط بالهواتف السودانية. كذلك، كانت شبكة الإنترنت مقطوعة.

وانتشرت قوات الأمن بكثافة في شوارع الخرطوم وأغلقت الجسور المقامة على النيل التي تربط مناطق الخرطوم ببعضها. وأقامت هذه القوات أيضا نقاط مراقبة في الشوارع الرئيسية حيث تقوم بتفتيش عشوائي للمارة والسيارات.

وناشد الموفد البريطاني للسودان وجنوب السودان روبرت فيرواتر قوات الأمن السودانية «احترام حق حرية» المتظاهرين في التعبير عن أنفسهم. وكتب في تغريدة أن «التظاهر السلمي حق ديمقراطي أساسي وستتكمل أجهزة الأمن وقادتها المسؤولية عن أي عنف تجاه المتظاهرين».

والشعار الأساسي لهذه التظاهرات هي «الردة مستحيلة» بعد عامين على الانتفاضة التي استمرت شهورا وانتهت بإسقاط عمر البشير في نيسان/أبريل 2019 وتشكيل سلطة انتقالية من المدنيين والعسكريين منوطة بها إدارة شؤون البلاد إلى حين تسليم الحكم إلى حكومة منتخبة ديمقراطيا عام 2023.

وفور إطاحة البرهان المدنيّين، دخل السودانيّون في «عصيان مدني» وأقاموا متاريس في الشوارع لشلّ الحركة في البلاد.

وفي مواجهتهم، انهمر الرصاص الحيّ والمطاط والقنابل المسيلة للدموع، ما أسفر عن سقوط تسعة قتلى بين المتظاهرين، حسب لجنة الأطباء المركزية السودانية.

لكنّ الناشطين مصرّون رغم كل شيء على أن تكون «المواكب» سلميّة، لأنّ «سلميّتنا هي سلاحنا الوحيد وقد نجح من قبل» بحسب نهاني عباس.

فالمتظاهرون الذين يعدون أيضًا بمسيرات في الشتات، يرون في ما يحدث تكرارا لـ «ثورة» 2019 التي استمرّت خمسة أشهر وسقط خلالها 250 قتيلاً.

وحذرت منظمة العفو الدولية «القادة العسكريين من الحسابات الخاطئة» مؤكّدةً أنّ «العالم يتابعهم ولن يسمح بمزيد من الدماء».

وحضّت الولايات المتحدة الجمعة الجيش السوداني على عدم قمع تظاهرات السبت.

وقال الرئيس الأمريكي جو بايدن «رسالتنا معا إلى السلطات العسكرية في السودان واضحة، ينبغي السماح للشعب السوداني بالتظاهر سلميا، وإعادة السلطة إلى الحكومة الانتقالية التي يقودها مدنيون».

وقال مسؤول أمريكي كبير لصحافيّين «نحن قلقون فعلاً حيال ما سيحصل السبت» مضيفا «سيكون الأمر اختبارا فعليا لنوايا العسكريين».

كذلك، حضّ الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش الجيش السوداني على «ضبط النفس» خلال تظاهرات السبت.

وقال خلال مؤتمر صحافي في روما «أدعو العسكريين إلى إظهار ضبط النفس وعدم التسبب بسقوط مزيد من الضحايا. يجب أن يُسمح للناس بالتظاهر سلميا».

ولا يزال العدد الأكبر من القادة المدنيّين في الاعتقال منذ خمسة أيّام أو قيد الإقامة الجبريّة.

وكانت قوات عسكرية أوقفتهم فجر الاثنين واقتحمت كذلك مقرّ التلفزيون الرسمي الذي أعلن من خلاله الفريق أول البرهان بعد ساعات حلّ كلّ المؤسّسات السياسيّة للمرحلة الانتقاليّة في البلد الذي يعدّ واحداً من الأفقر في العالم.

وأعلنت مؤسّسات حكوميّة ونقابيّة عدّة الانضمام إلى «العصيان المدني» الذي حوّل الخرطوم مدينة أشباح منذ خمسة أيام.

وتتوالى الدعوات إلى التظاهر، من نقابات وأحزاب، وحتى من بعض الوزارات ومسؤولي الولايات.

ويريد الناشطون أن تكون الشوارع السبت مليئة بالمتظاهرين أكثر من أيّ وقت مضى، وهو تحدٍّ في ظلّ اعتقال كثير من وجوه المجتمع المدني.

بيان وزارة الثقافة

والسبت دعت الحكومة السودانية المعزولة، الجيش والشرطة إلى الامتناع عن استخدام العنف ضد المتظاهرين الرافضين لـ«الانقلاب العسكري» محذرة من «الذهاب إلى سيناريو العنق».

جاء ذلك وفق بيان للناطق باسم الحكومة المعزولة، أورده حساب وزارة الثقافة والإعلام على موقع «فيسبوك» بالتزامن مع حشد شعبي واسع لتنظيم «مليونية» ضد العسكريين في البلاد.

وأفاد البيان بـ«دعوة القوات المسلحة والأجهزة الأمنية إلى الامتناع عن استخدام العنف تجاه المواطنين الرافضين للانقلاب العسكري وتقويض الانتقال الديمقراطي».

وحذر البيان مما سماه بـ«الذهاب إلى سيناريو العنق، والذي سيردد على الذين يقفون خلفه». في إشارة إلى اختناق الأوضاع واحتمالات وصولها إلى طريق مسدود بالسودان.

وقال: «نما إلى علمنا، أن سلطة الانقلاب تخطط لافتعال أحداث تخريبية في مناطق متفرقة، حتى تجد مسوغا للإفراط في العنف، والذي استبقته بحملات اعتقالات واسعة استهدفت أعضاء لجان المقاومة بمدن سودانية ليل الجمعة».

وأضاف: «نجدد دعوتنا لجماهير الشعب السوداني، وصناع ثورة ديسمبر المجيدة، للتمسك بالسلمية التي عرفوا بها، والتعبير بأدواتهم المجربة لإعادة مسار ثورتهم من الانقلابيين».

ومضت الحكومة السودانية قائلة: «شعبنا الذي هزم النظام البائد الاستبدادي، قادر على هزيمة كل آلات القتل والترويع، ومواصلة حلمه بوطن ديمقراطي حر» حسب البيان ذاته. وشهدت العاصمة الخرطوم إغلاقا لجسور رئيسية قبيل ساعات من التظاهرات المليونية فيما أغلقت غالبية المحلات التجارية أبوابها خشية وقوع أعمال عنف.

Volume 33 - Issue 10432 Sunday 31 October 2021

الاتحاد الأفريقي والأمم المتحدة أطبقا الخناق على الانقلاب في السودان

نيويورك (الأمم المتحدة) – «القدس العربي»: عبد الحميد صيام

وأخيرا حدث التوافق داخل مجلس الأمن الدولي حول الانقلاب الذي قاده الفريق عبد الفتاح البرهان يوم الإثنين 25 تشرين الأول/أكتوبر الحالي. فقد أصدر المجلس بيانا صحافيا بإجماع الدول الأعضاء بعد مفاوضات استمرت ثلاثة أيام وإجراء تعديلات مهمة على النص الذي صاغته بريطانيا. أحد الاعتراضات الرئيسية التي أثارها الاتحاد الروسي كانت تتعلق بمصطلح «انقلاب عسكري» وهي الصيغة التي استخدمها الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، في بيانه يوم الإثنين. المجلس اكتفى بوصف ما حدث بـ«سيطرة الجيش على الحكم». وأما نقطة الخلاف الثانية فتتعلق بـالإدانة التي كانت دول الاتحاد الأوروبي في المجلس وبريطانيا تريد استخدامها في مشروع البيان الصحافي. وبعد مفاوضات تم التنازل عن مصطلح الإدانة واستبدل بـ«التعبير عن القلق». وهو مصطلح بالتأكيد أخف كثيرا من الإدانة. لكن هذه التغييرات لا تغير كثيرا من جوهر البيان:

– هناك إجماع دولي برفض ما قام به البرهان، سمه انقلابا أو سيطرة للجيش على مقاليد الأمور لا فرق. فالبيان الصحافي أو الرئاسي، وهو أهم من البيان الصحافي ويعتبر وثيقة رسمية، لا يصدر عن المجلس إلا بموافقة جميع الأعضاء الخمسة عشر. وهنا مكْمن أهميته. أي أن المجلس الذي يمثل كل المجموعات الجغرافية في العالم متفق في ما يتضمنه البيان.

– تضمن البيان قلق المجلس البالغ إزاء سيطرة الجيش في السودان على مقاليد الحكم، بإلغاء الجانب المدني من الحكم، ووقف عمل بعض المؤسسات الانتقالية، وإعلان حال الطوارئ، واحتجاز رئيس الوزراء، عبد الله حمدوك، فضلاً عن أعضاء مدنيين آخرين في الحكومة الانتقالية. وهذه مطالب فيما لو تحققت لأنهت الانقلاب وأعلنت فشله.

– ودعا المجلس إلى الإفراج الفوري عن جميع المعتقلين لدى السلطات العسكرية. كما دعا إلى الامتناع عن استخدام العنف وشدد على أهمية الاحترام الكامل لحقوق الإنسان، بما في ذلك الحق في التجمع السلمي وحرية التعبير.

– ودعا أعضاء مجلس الأمن السلطات العسكرية السودانية إلى إعادة الحكومة الانتقالية بقيادة مدنية على أساس الوثيقة الدستورية وغيرها من الوثائق التأسيسية للمرحلة الانتقالية.

وحثوا جميع الأطراف على الانخراط في «حوار من دون شروط مسبقة، من أجل تمكين التنفيذ الكامل للوثيقة الدستورية واتفاقية جوبا للسلام، والتي تدعم التحول الديمقراطي في السودان.

الاتحاد الأفريقي والموقف المبدئي من الانقلابات

إن الذي دفع مجلس الأمن إلى التوصل إلى هذا التوافق يوم الخميس هو الموقف القوي والواضح من الاتحاد الأفريقي الذي جمد عضوية السودان في الاتحاد يوم الأربعاء. وهذا الموقف ما كان يمكن ليمر دون انتباه من أعضاء مجلس الأمن. فلم يمض إلا يوم واحد إلا وقد تبلور موقف مجلس الأمن من الانقلاب.

وفي بيان صادر عن الاتحاد الأفريقي حول تجميد عضوية السودان أوضح أن القرار يأتي «تماشيا مع البروتوكول المتعلق بإنشاء مجلس السلام والأمن التابع للاتحاد الأفريقي، والميثاق الأفريقي للديمقراطية والانتخابات والحكم». ودعا مجلس الأمن والسلم الأفريقي إلى الإفراج الفوري عن الوزراء والمدنيين المحتجزين. وأكد البيان تضامن الاتحاد الأفريقي مع شعب السودان في تطلعاته المشروعة لتعميق وترسيخ الديمقراطية، وللتغلب على التحديات التي تواجه بلاده.

كما قام الاتحاد بإرسال مبعوث خاص للسودان للتواصل مع أصحاب المصلحة بشأن الخطوات اللازمة لتسريع استعادة النظام الدستوري في السودان واتخاذ الإجراءات اللازمة وتكثيف مشاركته مع قادة الحكومة الانتقالية ومجلس السيادة من أجل تسهيل استئناف الحوار.

وبصدور موقف قوي وواضح من الاتحاد الأفريقي وما تبعه من موقف مجلس الأمن، على ضعفه، تكون الدائرة قد أحكمت حول الانقلابيين ولم يبق أمامهم إلا التراجع أو الانزلاق نحو مواجهات دموية مع جماهير الشعب السوداني وقواه الحية التي أعدت نفسها لمواجهات سلمية متواصلة متصاعدة خلال الأيام والأسابيع المقبلة لغاية هزيمة الانقلاب.

المواقف الدولية من الانقلابات

من حيث المبدأ ترفض الأمم المتحدة مبدأ الانقلاب على السلطة الشرعية في أي بلد. هكذا كان موقف الأمين العام من جميع الانقلابات التي حدثت سواء في مالي أو النيجر أو جزر القمر أو ميانمار أو السودان.

لكن لم نر إجماعا دوليا على رفض انقلاب عسكري مثلما هو الحال في الانقلاب السوداني. فقد عجز مجلس الأمن مثلا عن إدانة انقلاب عبد الفتاح السيسي على الرئيس المنتخب في مصر يوم 3 تموز/يوليو 2013. وقد أخفق مجلس الأمن الدولي عدة مرات في الاتفاق على بيان يندد بالانقلاب في ميانمار ويدعو الجيش للتحلي بضبط النفس ويهدد بالنظر في «إجراءات أخرى». واستمرت المحادثات طويلا للوصول إلى توافق ليس فقط مع مندوبي روسيا والصين بل ومع مندوبي الهند وفيتنام. وعندما صدر البيان كان باهتا لم يغير في الأمور من شيء وظلت جماعة الانقلاب في مواقعهم من دون أن يرف لهم جفن رغم مئات الضحايا التي جندلوها في الشوارع. وعندما صدر البيان جاء ضعيفا حيث «أعرب أعضاء مجلس الأمن الدولي عن القلق البالغ بشأن إعلان حالة الطوارئ التي فرضها الجيش في ميانمار في الأول من شباط/فبراير، والاحتجاز التعسفي لأعضاء في الحكومة، منهم مستشارة الدولة أونغ سان سو تشي والرئيس وين ميانت وآخرون». ودعوا إلى الإفراج الفوري عن أولئك المحتجزين. وقد سقط مئات الضحايا وصفها مقرر حقوق الإنسان الخاص بميانمار، توماس أندروز، يوم 11 آذار/مارس بأنها ترقى لجرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية. ومع هذا أصدر مجلس الأمن بيانا صحافيا فقط يعبر فيه عن القلق لتزايد أعداد الضحايا من المدنيين.

إذن توحد المجتمع الدولي في رفض انقلاب البرهان وأحكم الطوق عليه. فبالإضافة إلى الاتحاد الأفريقي ومجلس الأمن الدولي، كما أسلفنا، فقد صدرت بيانات تعارض أو تدين أو ترفض الانقلاب من جامعة الدول العربية والاتحاد الأوروبي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التعاون الإسلامي والبنك الدولي. أما موقف الإدارة الأمريكية فكان الأقوى حيث جمدت المساعدات المالية بقيمة 700 مليون دولار ولحق بها البنك الدولي الذي جمد صرف أموال المساعدات للسودان. الرئيس الأمريكي، جو بايدن، تحدث بنفسه وقال في بيانه: «أحث القادة العسكريين في السودان على الإفراج الفوري عن جميع المعتقلين وإعادة المؤسسات المرتبطة بالحكومة الانتقالية، بما يتماشى مع الإعلان الدستوري لعام 2019 واتفاقية جوبا للسلام لعام 2020».

الرفض الشعبي للانقلاب

للحقيقة والتاريخ أن الذي عدل موازين القوى عالميا وإقليميا ضد الانقلابيين هو الشعب السوداني الشجاع والحر والمصمم على حماية ثورته. فقد استطاع هذا الشعب العريق أن يسمع العالم صوته المدوي بسرعة رغم الخسائر في الأرواح برفض الانقلاب واستمر تحركه التصعيدي في الشوارع والساحات والجسور وأمام المؤسسات الرسمية ومقرات الأحزاب السياسية والمنظمات الأهلية. لقد صمم هذا الشعب العظيم، بعد الإطاحة بدكتاتور السودان الأشرس، عمر البشير، الذي سام البلاد كل أنواع الهوان والقهر لمدة ثلاثين عاما، أن ينهي من حياته حكم العسكر وأن يعمل بشكل منظم وسلمي ومتواصل لبناء سودان جديد عادل وحر وديمقراطي. وصوته وصل أنحاء المعمورة. هذا الموقف الذي ما زال ينتقل من تصعيد إلى تصعيد لن يهدأ إلا بالإطاحة بالانقلاب. هذا الموقف هو الذي جمع حوله المواقف الإقليمية والدولية. شعب السودان بنضاله السلمي يحمي أهداف ثورة كانون الأول/ديسمبر 2018 العظيمة. إنه شعب يستحق بعد كل هذه التضحيات أن يعيش في سودان الخير والحرية والمساواة والحكم الرشيد في ظل سيادة القانون واحترام حقوق الإنسان، ويبني مستقبله الآمن والمزدهر بعيدا عن مؤامرات العسكر وارتباطاتهم المشبوهة مع بعض الدول التي تنسق مواقفها مع الكيان الصهيوني والتي لا تريد لحكم للدولة المدنية الديمقراطية الحرة أن ترى النور في أي بلد من بلدان العالم العربي.

تتميز بأنها مختلفة ليس فقط سياسياً وإنما أيضاً اجتماعياً: تذويب «الطبقة الحاكمة»

قائد الجيش السوداني عبد الفتاح البرهان

د. مدى الفاتح

الطبقة الحاكمة، المصطلح الذي اشتهر بعد نشر الإيطالي غايتانو موسكا (1858–1941)لكتابه الشهير الذي حمل هذا العنوان، يمكن أن نعرفها بأنها هي المجموعة الاجتماعية التي تجعل من نفسها محور الدولة وتسعى للانفراد بقيادتها وتحديد خياراتها. هذه المجموعة تكون، في الغالب، متحكمة في المال أيضاً وهذا هو السبب وراء محاولاتها للتحكم في سياسات الدولة بما يجعلها تصب في مصلحتها.

مع تداخل هذا المصطلح مع كل من مصطلحي «البرجوازية» الماركسي و«الأوليغارشية» الأفلاطوني الأرسطي، إلا أنه تبقى هناك بعض الاختلافات الدلالية، فالبرجوازية تستخدم في إطار المقابلة مع البروليتاريا وهي الطبقة الاجتماعية المسحوقة في إطار التقسيم الطبقي الذي قد لا يكون دقيقاً دائماً، أما الأوليغارشية فهي تشير لارتباطات رجالات المال والأعمال بالسياسة، بما يجعلهم يكوّنون «الدولة العميقة» أو عصب النظام، كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية التي تتميز بالجمع الفريد بين دولة المؤسسات و«سيطرة العائلات». أفلاطون كان يعتبر أن النظام الديمقراطي هو نقيض النظام الأوليغارشي، ومنذ عهده البعيد تتسع المناقشات حول البنية السياسية للدولة التي لا يسمح فيها بالتقدم إلا لأصحاب المال أو الجاه. مصطلح الطبقة الحاكمة هو الأكثر تعبيراً حين نتحدث عن شريحة اجتماعية، ليست بالضرورة الأغنى، لكنها تتحكم بشكل مطلق في خيارات الدولة السياسية.

هذه الطبقة، رغم سيطرتها على المناخ السياسي، إلا أنها أقلية من الناحية العددية وهي تجمع بين كونها أقلية وبين الغرور الذي يجعلها تعطي نفسها أهمية أكبر من حجمها بشكل يجعلها لا ترى غيرها، فكل من يخالف خياراتها هو مخطئ بنظرها يستحق الحرب والتشويه. يولد هذا الغرور غير المستحق بالضرورة رغبة لدى الغالبية مكتومة الصوت في التحرر من هذه السيطرة.

حسب ملاحظة موسكا فإن الطبقة الحاكمة تتميز بكونها طبقة منظمة. هذا التنظيم هو أساسي بالنسبة لها للحفاظ على مكتسبات الحكم. بالمقابل تكون الجماهير غير الراضية، على كثرتها، مشتتة، ما يسهل التحكم بها وتوجيهها.

وفق ديناميات المجتمع التي وضعها موسكا، فإنه لا محالة من أن تولد ضمن حشود المحكومين المستسلمين لحكم الطبقة الحاكمة كأمر واقع مجموعة أخرى منظمة. تكون هذه المجموعة مناهضة لوضع الطبقة الحاكمة القائم وبخلاف الجماهير المشتتة يكون أولئك، على قلة أعدادهم، الأخطر على النظام السياسي بسبب تنظيمهم. يبادل النظام هذه القوى الناشئة العداء ويحاول بكل السبل تشويه صورتها وإضعافها والتضييق عليها بمحاولة إبعادها عن الأغلبية الرافضة عبر وسائل القمع المختلفة كالحرمان من العمل السياسي أو السجن أو دفع قياداتها للخروج من البلاد أو بمحاولة الوقيعة بين أطراف هذه القلة الواعية بحيث يتفرق جهدها.

يمكن لكل هذا أن يفسّر لنا الحالة السودانية التي نزعم أن القيادة السياسية فيه سعت منذ إسقاط البشير لتشكيل طبقة حاكمة جديدة تتميز بأنها مختلفة ليس فقط سياسياً، وإنما أيضاً اجتماعياً، عما كانت تعتبرها سمات للطبقة الحاكمة السابقة.

لأن من مميزات الطبقة الحاكمة أن تكون مركزة وقليلة العدد، فإنه كان لا مفر من تفكيك التحالف الثوري الأول الذي كان يتحدث باسم المدنيين في مقابل العسكريين والذي أطلق عليه مسمى «قوى الحرية والتغيير» فذلك التحالف، وإن لم يشمل كافة القوى الثورية والمكونات السودانية، إلا أنه كان يضم طيفاً واسعاً ومتبايناً من الجماعات والأحزاب.

التفكيك بدأ بالدرجة الأولى بمحاولة أحزاب لا تتجاوز أصابع اليد الاستئثار بمراكز صنع القرار في الدولة والتحكم بأهم الموارد المالية المتمثلة في اللجنة المنوط بها الاستيلاء على الأموال والمشروعات الخاصة بعناصر النظام السابق. بالإضافة إلى هذا حاولت هذه المجموعة الصغيرة أن تخلق قطيعة مع ميراث الحقبة السابقة عبر استبدال ما سمتها «الايديولوجيا الإسلامية» بمشروع علماني متصالح مع القيم الغربية، خاصة فيما يتعلق بموضوعات المرأة والجنس عبر التغيير المتسرع للمناهج وتعديل قوانين الأسرة مع محاربة ما اعتبرتها مظاهر للإسلام السياسي والتطرف، كحجاب مذيعات التلفاز ومدارس تحفيظ القرآن «الخلاوي» وغيرها، بل وصل أحد رموزها التربوية، عمر القراي، درجة الاستهزاء العلني بالقرآن الكريم نفسه واعتبار أنه لا يصلح لأن يدرّس للأطفال.

بالتأكيد فإنه كانت هناك شريحة اجتماعية سعيدة بهذه التوجهات وقد استطاعت هذه الأقلية الشاذة السيطرة لوقت طويل على وسائل الإعلام بالشكل الشمولي الذي لا يمنح المعترضين فرصة الظهور، كما استطاعت خلق صدى كبير عبر التلاعب بوسائل التواصل الاجتماعي وعبر تكوين شبكات داعمة من الشباب الذين تم إغراؤهم بنظام جديد يسمح لهم بتجاوز كل الحدود التي كانت تعيقهم سابقاً سواء فيما يتعلق بالعلاقات الجنسية أو تناول الكحول أو غيرها مما يدخل في إطار اللافتة الخادعة للحرية والمدنية.

كل هذا أنتج مجموعة غاضبة على هذه الطبقة الحاكمة حتى من بين المتحمسين لقوى الحرية والتغيير، فالمجموعات المحافظة رأت أن هذه الطبقة الجديدة تقوم بتنفيذ مشروع لم تستشر فيه أحداً وأنها تسعى لتنفيذ برامج أحزاب يسارية ليس لها أي ثقل جماهيري في الشارع. أوضح أولئك المحافظون، الذين تمثلهم قوى وتيارات كثيرة بعضها كان شريكاً أصيلاً في التغيير، أن الاختلاف مع «المؤتمر الوطني» المحلول لا يعني العداء الأحمق مع ثوابت الدين الإسلامي.

بالمقابل لم تكن الطبقة الحاكمة تسمع سوى صوتها، فما تراه وتختاره هو الأفضل للشعب على طريقة «أنا الدولة» وإن احتاجت للتأييد فيكفي خروج عشرات من مناصريها لتزعم أن سياساتها تجد رواجًا جماهيرياً. على سبيل المثال، حينما أرادت مجموعة من النساء اللواتي يغلب عليهن التوجه الليبرالي مقابلة وزير العدل وتسليمه مذكرة تطالب بتجاوز الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بقضايا المرأة تم استقبالهم كممثلين للنساء والبدء في تنفيذ طلباتهن، لكن حينما جاءت تظاهرة أخرى لنساء يطالبن بإبقاء التحاكم إلى الشريعة فإن أحدًا لم يهتم بهن، بل جرى تشويههن والسخرية من مظهرهن ووصفهن بالفلول.

لم يكن الغضب من نصيب التيارات المحافظة فقط، فقد ظهرت على الساحة أيضاً مجموعات استفزتها فكرة الانفراد بالحكم، كما استفزها أيضاً أن تشعر بالإقصاء وأن لا تجد المكان الذي يليق بها في الخريطة الانتقالية. يجب أن نتذكر هنا أن تلك «السلطة المدنية» لم تكن بحاجة للانتخاب أو التصويت من أجل اتخاذ أي قرار، فيكفي أن يتم التوافق بين أعضائها لاختيار أي وزير أو مسؤول وهو ما جعل السلطة تكتسب، بالإضافة إلى الأعداء العقديين، عداء قيادات قبائلية وتقليدية، ممن أحسوا أنهم لم تتم استشارتهم في قضايا أساسية تتعلق بمناطقهم كاختيار ممثليهم أو اختيار طرق حل مشكلاتهم وتنفيذ تطلعاتهم.

الطريف أن موسكا تحدث حول حرص «الطبقة الحاكمة» في إطار مخططها لإحتواء المعارضين، على تغييب البرلمان وهو ما حدث في السودان الذي كان تكوين «المجلس التشريعي» من الفروض الغائبة في حقبته «الثورية» جنباً إلى جنب مع فروض أخرى كالتحضير للانتخابات أو إنشاء محكمة دستورية. اليوم ينظر المؤيدون لقرارات قائد الجيش المتعلقة بحل الحكومة بإيجابية على أساس أنها خطوة مهمة لإذابة سلطة الطبقة الحاكمة وكسر احتكارها للمجال العام عبر طرح حكومة كفاءات عابرة للإيديولوجيا وممثلة لجميع الأقاليم، وعبر الحديث الجاد عن مدى مناسب لإقامة الانتخابات التي سوف تنهي الجدل العقيم حول الشرعية والشعبية.

مصر: المؤسسات الرسمية تكتفي بعبارات تطالب بضبط النفس والمعارضة تدين الانقلاب في السودان

القاهرة – «القدس العربي»: تامر هنداوي

عبارات دبلوماسية لا تحدد موقفا أو انحيازا، استخدمتها المؤسسات الرسمية المصرية في تعليقها على الانقلاب الذي شهدته السودان، في وقت بدى الإعلام المحسوب على السلطات المصرية أكثر انحيازا لموقف العسكريين هنا، فيما جاء موقف المعارضة المصرية، رافضا للانقلاب ومؤكدا دعمه للشعب السوداني في نضاله من أجل الديمقراطية.

الخارجية المصرية، اكتفت ببيان، قالت فيه إنها تتابع عن كثب «التطورات الأخيرة في السودان».

وحسب البيان الذي نشرته الصفحة الرسمية لوزارة الخارجية المصرية على فيسبوك، فقد أكدت على أهمية تحقيق الاستقرار والأمن للشعب السوداني، والحفاظ على مقدراته والتعامل مع التحديات الراهنة بالشكل الذي يضمن سلامة هذا البلد الشقيق.

وفي البيان، شددت مصر على أن «أمن واستقرار السودان جزء لا يتجزأ من أمن واستقرار مصر والمنطقة، وهو ما تؤكده مصر دائما في المحافل الدولية».

ودعت مصر كافة الأطراف السودانية، إلى «تغليب المصلحة العليا للوطن، والتوافق الوطني في إطار المسؤولية وضبط النفس».

وأعلن بسام راضي، متحدث الرئاسة المصرية، مساء الإثنين، إن هناك «اتصالات تجرى على أعلى مستوى» بشأن التطورات في السودان. جاء ذلك في حديث لمتحدث الرئاسة، خلال مداخلة هاتفية مع فضائية «القاهرة والناس» (خاصة) من دون أن يحدد أطراف الاتصال.

وقال راضي: «نتابع عن كثب التطورات الأخيرة في السودان ونؤكد أن أمنه القومي جزء لا يتجزأ من الأمن القومي لمصر». وعن الدور المصري، أضاف: «أعتقد أن هناك اتصالات على أعلى مستوى تتم وهناك مراقبة لما يحدث ومصر لن تتوانى عن صالح استقرار الشعب في السودان».

ودعت مصر، الإثنين، وفق بيان للخارجية جميع الأطراف السودانية إلى ضبط النفس وتغليب المصلحة العليا والتوافق الوطني في البلاد.

وفي المقابل، أعلن عدد من أحزاب المعارضة المصرية، دعمهم للشعب السوداني في نضاله من أجل الديمقراطية.

حزب الكرامة قال في بيان، إنه يؤيد حق الشعب السوداني في حماية ثورته ومكتسباتها، على النحو الذي تقرره القوى الوطنية وبالطرق السلمية المعهودة التي كانت وستظل السلاح الأقوى والأبقى في مواجهة القمع الذى تتعرض له ثورة الشعب السوداني الأبى.

وأضاف البيان: إن حزب الكرامة، ومن واقع إيمانه بوحدة شعبي وادي النيل وأواصر الأخوة الممتدة بين الشعبين يتطلع إلى أن تكمل ثورة الشعب السوداني طريقها وتحقق كامل أهدافها وتعبر المرحلة الانتقالية بسلام، وصولا إلى بناء دولة مدنية ديمقراطية حديثة، تليق بتضحيات شعب السودان من أجل الكرامة والحرية.

وأعلن حزب الكرامة عن بالغ إدانته للتصعيد الخطير الذي يمر به السودان والانقلاب الصارخ على مكتسبات ثورته خلال هذه المرحلة الانتقالية العصيبة، وإنه على ثقة في قدرة الشعب السوداني على تصحيح أوضاع بلاده ذاتيا وعلى أرضية وطنية خالصة.

ورأى حزب الكرامة أن القمع ومحاولة طرف يمتلك أدوات القوة، فرض أوضاع على الأرض من شأنها عرقلة مسار المرحلة الانتقالية، لا يمكن أبدا أن يكون هو الطريق نحو الاستقرار أو الحفاظ على ثورة الشعب السوداني.

ودعا الحزب مكونات الشعب السوداني إلى تغليب لغة الحوار والطرق السلمية لعبور الأزمة الراهنة.

الثورة المضادة

حزب العيش والحرية وهو تحت التأسيس، أدان الانقلاب، الانقلاب العسكري في السودان، واعتبره يستهدف تصفية آخر مكسب صريح حققته جماهير منطقتنا العربية المستقلة والمنهوبة في مسار ثورتها المستمرة طوال عقد كامل من الزمان.

وأثنى الحزب على نضال الشعب السوداني البطل في مواجهة أشرس انقضاض لمعسكر قوى الثورة المضادة على أمانه ومعاشه وحريته.

ووزاد: لم تكن جماهير الشعب السوداني لتفلت من هذه المواجهة مع معسكر الثورة المضادة أبدًا، فهي قدر شعوبنا. والشعب السوداني قد حقق في هذه المواجهة انتصارات مهمة منذ الإطاحة بالبشير في نيسان/ ابريل 2019 كالحيلولة دون استئثار العسكريين بأمر إدارة المرحلة الانتقالية، وتحقيق خطوات مهمة على طريق التنظيم المدني الديمقراطي لجماهير السودان سواء في اتحادات المهنيين والعمال أو لجان المقاومة في الأحياء، وإنجاز عدد من اتفاقيات السلام التي أنهت عقودا من الحرب التي أشعل فتيلها نظام عمر البشير العسكري – الإسلامي.

وتابع: كل ذلك لم يكن كافيًا لهزيمة معسكر الثورة المضادة. فالتنظيم الذاتي للجماهير، وإنهاء الحرب الأهلية، بدون قيادة شعبية جديدة من رحم هذه المنظمات، وبدون بديل واضح للتنمية وإدارة الثروة يقضي على مسببات التفاوت بين الطبقات والأقاليم والجهات، قد أوكل مهمة التمثيل السياسي للثورة لعدد من القوى السياسية التقليدية، كحزب الأمة العتيد، أو قوى ناشئة من الطبقة المتوسطة يغلب عليها الهوى الليبرالي العام وتفتقر لسند شعبي وازن. وانتهى الأمر بهذه القيادة نفس الوصايا الصادرة من قبل الحكومات الغربية ومؤسسات التمويل الدولية والتي تُقدم كطريق وحيد للتحول الديمقراطي.

وأضاف: على رأس هذه الوصايا يأتي الاقتراض الخارجي بضمان صورة الثورات الوردية مع ما يقتضيه ذلك من شروط متعسفة تضغط النفقات العامة وتقلص من ميزانية أنظمة الحماية والرفاه الاجتماعية، والرهان على أن السلام الداخلي سينعش بصورة سحرية حركة السوق الداخلي ويجذب الاستثمار الخارجي. وتكفلت الأزمة الاقتصادية الممتدة على مدار العامين الماضيين بتبيان مدى قصور هذه الرؤية والتفاوت البالغ بين طابعها المحافظ وطموح غالبية السودانيين.

وواصل الحزب: فنحن لا يسعنا إلا إعلان التضامن الكامل مع مقاومة الشعب السوداني، والضغط بكافة السبل للحيلولة دون التورط الرسمي في دعم هذا الانقلاب الدموي. إن تطورات الثورة السودانية قد أثبتت بما لا يدع مجالًا للشك، أن سودانًا ديمقراطيًا خاليًا من التمييز، هو ضرورة لتحقيق شعار مصر المدنية الديمقراطية الاجتماعية، بل هو ضرورة للحفاظ على الحد الأدنى من معاش ورفاهية الشعب المصري. فبدون الحكومة الديمقراطية في السودان ما كنا لنرى هذا التحول الاستراتيجي في موقف السودان من ملف سدّ النهضة، فحكومة تضع نصب أعينها مصلحة الغالبية العظمى – مهما كانت درجة تخبطها أو محدودية رؤيتها – لا يمكن أن تقامر بشريان حياته كما فعل نظام البشير وكما قد يفعل الثنائي المرتزق برهان وحميدتي.

رئيس أركان القوات المسلحة المصري مع نظيره السوداني

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10432 الأحد 31 تشرين الأول (أكتوبر) 2021 – 25 ربيع الأول 1443 هـ

قلاقل السودان وضعت العصي في عجلات قطار التطبيع مع الاحتلال

الناصرة ـ «القدس العربي»: وديع عواودة

منذ الأحداث الدرامية في السودان تواصل إسرائيل التزام الصمت حيالها فبالنسبة لها هذا شأن داخلي لا يهمها فيه شيء سوى مستقبل التطبيع معها وهي تخشى من تراجع دور الفريق أول عبد الفتاح البرهان والمجلس العسكري واستعادة المكوّن المدني لمقاليد الحكم خاصة أن الشعب السوداني ما زال بأغلبيته متمسكا بلاءات الخرطوم أو على الأقل عدم التطبيع مع الاحتلال. كما في الماضي تواصل إسرائيل وبسرية تامة، توطيد علاقاتها الأمنية والاستخباراتية مع الذي يرأس المرحلة الانتقالية في السودان. وقد سبقت قرار البرهان بحل مجلس السيادة وحكومة عبد الله حمدوك، مبادرات إسرائيلية لتعزيز العلاقات والدفع نحو التطبيع مع الخرطوم وضمن اتفاقيات «أبراهام» التي بدأتها في 2020 بيد أن أزمة الحكم والأوضاع الداخلية والحراك الشعبي السوداني أفشل هذه المحاولات. على خلفية قلاقل وخلافات السودان الداخلية أثرت دولة الاحتلال إرجاء التقدم بتوقيع اتفاقية التطبيع بعدما كانت مقررة خلال زيارة وزير الخارجية الإسرائيلي، يائير لبيد إلى واشنطن، قبل أسبوعين وكان هو بنفسه قد أشار لاقتراب موعد تطبيع جديد مع دولة عربية إضافية. ويرى معهد دراسات الأمن القومي التابع لجامعة تل أبيب أن البرهان يريد علاقات دبلوماسية كاملة مع إسرائيل بسبب المصالح وكونه «العقلاني المسؤول» مقارنة بحمدوك، غير الراغب بالتطبيع. ويستبعد المتحدث باسم كتلة «السلام الآن» في إسرائيل، آدم كلير، نجاح تطبيع العلاقات الدبلوماسية بين إسرائيل والسودان. ويرى في إعلان الخرطوم، الاعتراف بإسرائيل، تحت مظلة المجلس العسكري، بمثابة التقاء مصالح بين المنظومات الأمنية والاستخباراتية، بعيدا عن موقف الشعب السوداني الذي يرفض بشكل قاطع هذا التطبيع. ويوضح كلير في تصريحات للجزيرة أن إعلان التفاهمات حول تطبيع العلاقات بين تل أبيب والخرطوم، لم يحظ بالترحاب الواسع من قبل المجتمع الإسرائيلي أيضا، وكان هامشيا في المشهد السياسي الإسرائيلي، لكنه كان وسيبقى مهما للمؤسسة الأمنية.

الاتحاد الأفريقي

ويعتقد أن العلاقات بين إسرائيل والخرطوم، تواجه اختبارا حقيقيا أمام الحراك الشعبي السوداني الذي من شأنه، في حال نجاحه، أن يفشل التطبيع الأمني والاستخباراتي بين الجانبين. ويوضح المتحدث باسم كتلة «السلام الآن» أن إسرائيل عمدت إلى تبادل الوفود والبعثات الأمنية والعسكرية مع الخرطوم بسرية تامة، بعيدا عن مسار الدبلوماسية، الذي من المفروض أن يؤسس لعلاقات التطبيع بين الدول. ويرى كلير أن إسرائيل وخلافا لموقفها المتباهي والمندفع نحو تطبيع العلاقات مع دول خليجية وعربية امتنعت عن التهليل للتفاهمات والاعتراف المتبادل بين إسرائيل والسودان، «بسبب عدم استقرار الحكم بالخرطوم، والموقف المبدئي للشعب السوداني برفض التطبيع الكامل الذي يتجاوز القضية الفلسطينية». ويعتقد أن «حالة السودان تضع إسرائيل أمام جملة تحديات، إذ تطمع إسرائيل في توظيف البعد المدني لتطبيع العلاقات، وقد فشلت بذلك في الخرطوم، وانعكس هذا في رفض قبولها عضوا مراقبا في الاتحاد الأفريقي.

الولايات المتحدة

وكانت الولايات المتحدة تخطط لإقامة مراسيم رسمية للتوقيع على اتفاق التطبيع بين الخرطوم وتل أبيب في غضون شهر، بعد أن تأجل ذلك في السابق بطلب من جانب إسرائيل على خلفية التوتر بين المستويين المدني والعسكري داخل الحكومة الانتقالية في السودان. ورغم الأحداث الساخنة ترجح مصادر إسرائيلية أن العلاقات والاتصالات بين الطرفين سوف تتواصل خلسة في معظم الأحيان وسبق أن التقى وزير القضاء السوداني ناصر الدين عبد الباري عددا من وزراء الحكومة الإسرائيلية الذين كانوا في زيارة رسمية إلى الإمارات، كما قام وفد أمني سوداني بزيارة سرية إلى تل أبيب وفي المقابل سبق أن توجه وفد أمني إسرائيلي إلى الخرطوم. يشار أن الولايات المتحدة في الحالة السودانية كسائر الحالات العربية هي بوابة التطبيع وعبر إسرائيل تتمنى دول عربية التقرب من البيت الأبيض وفي تشرين الأول/اكتوبر 2020 أعلن البيت الأبيض أن الرئيس السابق دونالد ترامب وقّع مرسوما يرفع اسم السودان من القائمة الأمريكية للدول الراعية للإرهاب، وأن الخرطوم وتل أبيب اتفقتا – بوساطة أمريكية– على تطبيع العلاقات. ووصف بيان مشترك، أمريكي سوداني إسرائيلي، اتفاق التطبيع بين الخرطوم وتل أبيب بالتاريخي، واعتبره شهادة على النهج الجريء للقادة الأربعة (ترامب، البرهان، رئيس الوزراء عبد الله حمدوك، رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق بنيامين نتنياهو). وأشار قرار تطبيع العلاقات مع إسرائيل ردود فعل متباينة في السودان، حيث اعتبره البعض حدثا تاريخيا سيجلب للبلاد الاستقرار والرخاء، في حين رأى فيه آخرون «ضعفا وهوانا، وانسلاخا من ثوابت السودان وتاريخه في نصرة الشعب الفلسطيني».

والآن وفي ظل حالة عدم الاستقرار كشفت الإذاعة العبرية العامة عن عدة مشاورات أجريت في إسرائيل بشأن الانقلاب في السودان، وحسب مصادر مطلعة، فإنه من المرجح أن تؤدي الخطوات الأخيرة في السودان إلى تأجيل انضمامه الرسمي إلى الاتفاقيات الإبراهيمية. ونقلت الإذاعة العبرية عن دبلوماسي سوداني كبير قوله إن رئيس الحكومة السودانية المعزول، عبد الله حمدوك، أراد التوقيع على الاتفاق مع إسرائيل وكان يستعد في الفترة الأخيرة للسفر إلى واشنطن للتوقيع على اتفاق السلام. وأضاف الدبلوماسي السوداني أن التطبيع مع إسرائيل سيستمر أيضا بعد الانقلاب، الذي من غير المتوقع أن يؤثر فيه بشكل كبير، لأن رجال الجيش مؤيدون للتطبيع.

لكن الدبلوماسي السوداني الكبير المحسوب على معسكر حمدوك أشار إلى أن الانقلاب قد يؤدي إلى إضعاف التأييد الشعبي للتطبيع، وحذر من أنه على المدى البعيد، مجرد حقيقة أن الجيش لوحده دون قوى مدنية مؤيد للتطبيع مع إسرائيل، سيؤدي إلى المساس بالتأييد الجماهيري للتطبيع، وذلك بسبب المعارضة الكبيرة في الشارع السوداني للانقلاب.

انتفاضة من الداخل

وقال الدبلوماسي السوداني إن الجيش ارتكب خطأ كبيرا ويمكن أن يواجه انتفاضة من الداخل وأشار إلى أن المسؤولين العسكريين «ألقوا التعاون مع الجهات المدنية إلى حاوية القمامة» وأنهم لا يقدرون بصورة صحيحة رد الرأي العام الذي مل من الانقلابات العسكرية، إضافة إلى ما قد يترتب على قرار واشنطن تعليق المساعدات الاقتصادية للسودان. من جانبه، اعتبر موقع «واينت» الإسرائيلي أن الانقلاب في السودان قد تكون له عواقب وخيمة على علاقات الدولة الأفريقية مع إسرائيل وعملية التطبيع بينهما. وأشار الموقع إلى أن الجانب العسكري للقيادة السودانية كان يدعم التطبيع بسبب وعود الولايات المتحدة برفع العقوبات المفروضة على السودان في عهد البشير، بينما كانت الكتلة المدنية للقيادة أقل حماسا لهذه الخطوة، لكن تم إقناعها في النهاية. وحسب التقرير، فإنه بإمكان معارضي القيادة العسكرية الإضرار بعملية التطبيع، حيث من غير المرجح أن يقبل الغرب بحكم العسكر في السودان، ما قد يزيد من تدهور العلاقات بين الخرطوم وواشنطن، وفي نهاية المطاف مع تل أبيب أيضا. وأشار التقرير إلى أنه قبل اعتراف السودان بإسرائيل وبدء عملية التطبيع، بدأت الولايات المتحدة في رفع العقوبات عنه، لكن الانقلاب العسكري قد يعرقل هذه العملية لنرى إعادة فرض العقوبات بمجملها، ما قد يؤدي إلى تراجع الخرطوم عن الصفقة التي توسطت فيها واشنطن. يشار أنه من الناحية الرسمية لم يصدر أي تعليق عن المسؤولين الإسرائيليين على أحداث السودان، وهم يتريثون في الإدلاء بتصريحات حتى تتضح الصورة في السودان، حسب صحيفة «هآرتس».

ويشار أيضا أن الولايات المتحدة أدانت الانقلاب في السودان واعتقال المدنيين، داعية إلى العودة الفورية للحكم المدني والإفراج عن رئيس الوزراء المعتقل. وقال وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن، في بيان إن «الولايات المتحدة تدين بشدة ما أقدمت عليه القوات العسكرية السودانية» مبديا قلقه البالغ إزاء تقارير عن استخدام قوات الأمن الذخيرة الحية ضد المتظاهرين. وأضاف «نرفض بشدة حل الحكومة الانتقالية بقيادة المدنيين والمؤسسات المرتبطة بها، وندعو إلى إعادة العمل بها على الفور». يشار أن دراسات وتقارير وتسريبات إسرائيلية كثيرة قد كشفت عن قنوات تعاون واتصال تمت بين إسرائيل وبين السودان في عدة فترات زمنية منذ عقود طالت فترات حكم أكثر من رئيس منهم جعفر النميري وعمر البشير.

Volume 33 - Issue 10432 Sunday 31 October 2021

انقلاب السودان مقامرة أعادت المواجهة مرة أخرى بين الجيش والشارع

إبراهيم درويش

نفذ الجيش السوداني انقلابه بعد أسابيع من التوتر بينه والقادة المدنيين، وكان الإنقلاب هو بمثابة عمل معلن، فالنص معروف لدى العسكر والقادة الراغبين بالاستيلاء على السلطة في دول العالم العربي وأفريقيا، تعبئة الناس ضد الحكومة المدنية، حزب أو جماعة أو قائد سياسي والتلويح بورقة المنقذ للخروج من المأزق السياسي وحل مشاكل البلد وإنزال الأنصار للشوارع والترويج لعودة العسكر وحكم الرجل القوي.

وهذه توليفة لم يفهمها المدنيون في مصر وتونس والسودان أخيرا، فهي متقاربة في طرقها وأساليبها، وفي السودان يواجه العسكر اليوم شارعا غاضبا يريد استعادة الحكم المدني، وشجبا دوليا أوسع من التحرك التونسي الأخير أو المصري 2013 لكن الكلمة السحرية في الشجب الدولي وهي تسمية الأشياء باسمها ليست موجودة أبدا، فقد امتنعت إدارة باراك أوباما عن تسمية حركة عبد الفتاح السيسي ضد الرئيس محمد مرسي بالإنقلاب، وقامت بتعليق مساعدات أمريكية للبلاد وهو ما حدث في السودان اليوم حيث شجبت إدارة بايدن التحرك العسكري من دون تسميته وعلقت 700 مليون دولار من الدعم المباشر للعملية الانتقالية، في وقت عبرت فيه عن الدهشة من الإنقلاب بعدما تلقى المبعوث الأمريكي للقرن الأفريقي تأكيدات من العسكريين انهم لن يتحركوا كما أبرزت مجلة «فورين بوليسي» (2021/10/26) وصحيفة «نيويورك تايمز» (2021/10/29) حيث أكدت أن فيلتمان تلقى تأكيدات بعدم التحرك ضد المؤسسة المدنية، ولم يكد المبعوث الأمريكي يغادر السودان إلا وتحرك الجنرال عبد الفتاح البرهان واعتقل عبد الله حمدوك، رئيس الوزراء وعددا من رموز الحكومة وأعلن عن حالة الطوارئ. وبرر أن تدخله كان لمنع الحرب الأهلية ولأم السياسيين على الإنسداد الذي تعاني منه البلاد. والكل يعرف أن السبب الرئيسي وراء تحرك الجيش كان اقتراب موعد تسليم السلطة في 17 تشرين الثاني/نوفمبر المقبل للمدنيين، وهو ما اتفقت عليه الأطراف السياسية والعسكرية ونص عليه الإعلان الدستوري، كمقدمة لعقد انتخابات مدنية. وكان على المدنيين معرفة واكتشاف خلال عامين من الحكم أن العسكر لن يتخلوا عن مميزاتهم، فالمؤسسة العسكرية السودانية تقوت في عهد البشير وأصبحت لديها مصالح تجارية خلال فترة النفط واليوم تسيطر على تجارة الذهب في البلاد الذي تصدره إلى دبي ولديها شركات تجارية في الإنشاءات والمواشي والأدوية والتصدير والإستيراد، بل وآلت إليها معظم الشركات التي كانت تملكها عائلة عمر البشير. ولم تكن الثورة الشعبية التي اندلعت في أواخر 2018 بمدينة عطبرة احتجاجا على ارتفاع أسعار الخبز كافية لأن تطيح بالرئيس البشير لو لم يتحرك الجيش ضده، وحتى الاعتصام الذي قام به المدنيون أمام مقرات الجيش انتهى بمجزرة على النيل لا تزال عائلات الضحايا تنتظر تحقيق العدالة فيها. يمكن للمشارع في أمثلة أن يجبر العسكر على التخلي عن السلطة كما حدث في بوركينا فاسو عام 2014 لكن عسكر السودان يعتبرون التخلي عن السلطة مسألة حياة أو موت، فهناك ملفات يخشاها الجنرالات بمن فيهم البرهان ومحمد حمدان (حميدتي) دقلو تتعلق بمجازر دارفور وقتل المتظاهرين أثناء انتفاضة 2019. ويعرف السودانيون دورة الحكم في بلادهم منذ الاستقلال عام 1956 حيث عاشوا ثلاث فترات ديمقراطية قصيرة قبل أن ينقض العسكر على الحكم في عام 1964 و1987 و2021 وبعد عامين من التخلص من حكم البشير الذي حكم طويلا ولثلاثة عقود. وهما في النهاية ليسا مع الديمقراطية لأنها تهدد مصالحهما كما تقول مجلة «إيكونوميست» (2021/10/25).

حلفاء الجنرالات

وشهدت الأسابيع التي قادت إلى انقلاب السودان يوم الإثنين 25 تشرين الأول/اكتوبر توترات بين القيادتين العسكرية والمدنية اللتان كانتا تتنازعان للسيطرة على البلاد مع اقتراب موعد تسليم العسكر السلطة للمدنيين. والمزاج الذي ساد بعد الإطاحة بنظام عمر البشير الذي حكم البلاد 30 عاما تحول إلى احتجاجات متفرقة ومحاولة انقلابية فاشلة الشهر الماضي واتهامات متبادلة بخيانة مبادئ الثورة التي أنهت حكم البشير عام 2019. وأكد المدنيون على ضرورة خروج العسكر من السلطة بحلول 17 تشرين الثاني/نوفمبر وهو الموعد الذي سينهي الفترة الانتقالية التي مضى عليها أكثر من عامين. وكانت هذه هي المرة الأولى التي يستولي فيها المدنيون الحكم منذ 3 عقود أو يزيد. ومع اقتراب موعد نقل السلطة، طالب القادة المدنيون بمن فيهم عبد الله حمدوك بتحقيق بدور الجيش في المجازر والفساد في ظل حكم البشير. وبدون مقعد في الحكم فقد خشي الجيش أنه سيواجه تحقيقات لا يستطيع السيطرة عليها. وفي الشهر الماضي اتهمت قبائل حمدوك بأنه فشل في تقديم ما وعد وأرسلت أبناءها إلى ميناء بورتسودان، الشريان الرئيسي للبلاد وأغلقت حركة النقل فيه. وهو ما زاد من سوء الأوضاع الاقتصادية. وأشارت صحيفة «واشنطن بوست» (2021/10/27) إلى أن ظل دول الخليج يحوم حول انقلابي تونس والسودان مشيرة إلى أن الثلاثي السعودي– الإماراتي– المصري رحب باستيلاء قيس سعيد على السلطة في تونس.

وفي الوقت الذي تكافح فيه حكومة سعيد الانتقالية للحصول على قرض من صندوق النقد الدولي، أشارت تقارير إلى أن سعيد يجري اتصالات مع الإماراتيين والسعوديين للحصول على دعم مالي. ولعبت دول الخليج في 2013 دورا مهما في دعم الانقلاب الذي قاده عبد الفتاح السيسي ضد الرئيس محمد مرسي، من جماعة الإخوان المسلمين. وربما حاولت هذه مساعدة البرهان في السودان الذي تحول مثل تونس إلى ساحة «للعبة الأمم» بالمنطقة. ويقترح الباحثون مثل جان بابتسيت غالوبين أن السخاء الخليجي يدعم البرهان منذ سقوط البشير فقد «ساعد الدعم المالي من السعودية والإمارات على منح الجنرالات مساحة لكي يقاوموا المطالب الشعبية نحو الحكم المدني وبناء وضع غير متوازن للقوة منح الجنرالات الفرصة لعبور مرحلة من الحشود الشعبية». وأضاف أن «المال الإماراتي السري منح في فترة لاحقة الجنرالات ورقة نفوذ قوية على المجال السياسي وسمح لهم بتوطيد سلطتهم». ويرى الخبراء أن إعادة المنظور الديمقراطي للسودان يقتضي ضغطا على هذه القوى العربية وليس الجنرالات فقط. وفي مذكرة لمجموعة الأزمات الدولية حدثتها بعد الإنقلاب جاء فيها إن «على مصر ودول الخليج وهي قوى خارجية التي أقامت علاقات قوية مع البرهان والجيش حث السلطات على ممارسة ضبط النفس بدلا من استخدام القوة التعسفية، و «يجب على الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي استخدام ما لديها من نفوذ على العواصم الخليجية والقاهرة وإقناعها لدفع الجنرالات تغيير مسارهم».

توجهات مثيرة للقلق

ويعطي تحرك العسكر في السودان صورة مثيرة للقلق عن توجه السياسة في أفريقيا. ويعتبر عام 2021 هو أنجح عام للانقلابات في العالم ومنذ خمسة أعوام. فقد قادت الطغمة العسكرية الحاكمة في ميانمار الطريق وعطلت العملية الديمقراطية في شباط/فبراير وتواصل احتجاز زعيمة الحركة الديمقراطية هناك. وفي غرب أفريقيا قام قادة الجيش في مالي (هو الثاني في عام تقريبا) وغينيا وتشاد بانقلابات، بالإضافة إلى تونس والسودان. وسجلت محاولتي انقلاب فاشلتين في كل من مدغشقر وجمهورية أفريقيا الوسطى.

وهي حركات تذكر في الزمن الماضي عندما كانت القارة الأفريقية تشهد أربع انقلابات في العام الواحد. وهو ما دعا مجلة «إيكونوميست» (2021/10/30) للقول إن الانقلابات في أفريقيا أصبحت واقعا لا مناص منه في السياسة الأفريقية. ورأت في افتتاحيتها أن صعود الجهادية والتنافس بين القوى العظمى يدفع باتجاه تغيير الأنظمة بالقوة في دول أفريقيا. ومنحت سيطرة الجيش على السلطة صورة عن توجه مثير للقلق. وقالت إن الجيش السوداني هو الذي حسم مسألة الحكم عندما تحرك في نيسان/إبريل 2019 ضد البشير وتحرك مرة ثانية يوم الإثنين. وربما كانوا قلقين مما سيحمله لهم المستقبل بعد خروجهم من السلطة والتحقيق بدورهم في الحرب الأهلية بالسودان. وعلى أي حال فالسودان يعاني من ورطة خرج الجيش أم بقي في السلطة. ولم يكن محكوما على تقاسم السلطة، رغم «قذارته» بالفشل، فقد أعطى القيادة المدنية عامين لبناء الثقة مع الجيش، من خلال العفو العام عن الجميع باستثناء من ارتكبوا جرائم خطيرة مقابل الكشف عنها، وهو مدخل نجح في جنوب أفريقيا بعد نهاية التمييز العنصري، وتم تضييع الفرصة. وترى أن مشكلة الجهادية تمثل تحديا لسياسة الاتحاد الأفريقي «لا انقلابات» التي صادق عليها عام 2000 فعدم الاعتراف بالإنقلابيين أو التعاون معهم يقود أحيانا إلى سيطرة الجهاديين كما حدث في مالي. وهناك مشكلة التكالب الدولي على القارة، فقد حصلت الصين على أصدقاء كثر من خلال «سياسة عدم التدخل». وتعزز روسيا من نفوذها عبر استثجار المرتزقة لحراسة الرؤساء وتدريب الجيوش. بل ونقلت صحيفة «نيويورك تايمز» عن مسؤول قوله إن موسكو شجعت الإنقلاب في السودان من أجل قاعدة عسكرية على البحر الأحمر والحصول على عقود تجارية.

وتعرف القوى الغربية أنها لو شجبت انقلابا أو انتخابات مزيفة أو هددت بعقوبات، فهي خاسرة للصين وروسيا اللتان يهرع سفراؤهما إلى القصور الرئاسية عارضين على ساكنيها الخدمات من الدعم والقروض.

تحد لأمريكا

وتعامل الكثير من المعلقين مع انقلاب السودان على أنه تحد للولايات المتحدة، ورأت معلقتان بمقال في صحيفة «نيويورك تايمز» (2021/10/29) أن العصيان المدني لا يكفي للإطاحة بالعسكر، فبدون عقوبات تطال العسكريين الذين قادوا الانقلاب لن ينجح العصيان المدني. وأشارتا إلى الدعم القليل للانقلاب الحالي، مما يجعل وضع السودان أفضل من حالة مصر التي لم يحتج فيها الشارع على الانقلاب باستثناء أنصار الإخوان المسلمين. فالدعم الحالي لانقلاب السودان نابع من أحزاب صغيرة وجماعة سابقة في «قوى الحرية والتغيير». وبالمقابل فقد شجبت معظم القوى الثورية الإنقلاب بما فيها قيادات نقابة المهنيين السودانيين، والأهم من كل هذا هي استجابة المواطنين السودانيين للاحتجاج ومنذ اليوم الأول للإنقلاب واستمروا في التظاهرات والإضرابات والعصيان المدني. وهذا جيد لكنه ليس كافيا، فالتهديد بإجراءات عقابية من الخارج مهمة وضرورية لدعم المتظاهرين. وفي غياب الرد الدولي القوي، تشعر الثورات المضادة بالجرأة للمضي في طريقها. فالرد الأمريكي على انقلاب مصر عام 2013 كان فاترا في أحسن حالاته، وهناك أدلة عن تشجيع مسؤولين أمريكيين بارزين السيسي للتحرك. وحتى الآن تبدو الإشارات في الحالة السودانية مشجعة أكثر، فقد شجبت معظم الدول الأجنبية الإنقلاب وعبر مجلس الأمن الدولي الذي يضم الصين وروسيا عن القلق العميق. وقررت الولايات المتحدة تعليق مساعدة بـ 700 مليون دولار وهو أمر هدد الاتحاد الأوروبي بعمل أمر مثله. وربما كانت البيانات التي صدرت عن دول الخليج مثل الإمارات والسعودية ضعيفة. وعلى الولايات المتحدة بذل كل ما بوسعها لتجنب الأخطاء التي ارتكبتها في مصر وتقود الطريق لإفشال انقلاب السودان. ويمكن للاحتجاج والضغوط الجيوسياسية التعاون ووقف هذا الإنقلاب.

المدنيون يلامون أيضا

وفي ظل عملية اتهام الجيش بالاستيلاء على السلطة فالمدنيون كان لديهم الوقت الكافي للعمل مع العسكريين وتخفيف مخاوفهم كما ورد في صحيفة «نيويورك تايمز» (2021/10/29). ونقلت الصحيفة عن سفير السودان في واشنطن الذي أعفي من منصبه لكنه مصر على مواصلة عمله، أن حمدوك لم تكن لديه المهارات السياسية الكافية لتخفيف مخاوف العسكريين، في ملفات مهمة مثل محاكمة البشير وتسليمه للجنائية الدولية في هيغ، فالبرهان وحميدتي وإن لم تصدر ضدهما مذكرات إلا أنهما يريدان نوعا من الحصانة. ومجرد تلويح المدنيين بالتحقيق وفتح ملفات الفساد ودفعهم بقوة وبسرعة لتسلم السلطة فقد أثاروا مخاوف العسكر. فهؤلاء لم يرضوا بتقاسم السلطة للتخلي عن مميزاتهم المالية والشخصية بل من أجل حمايتها. وفي النهاية يظل تحرك البرهان وزمرته مقامرة ستمتحن في الشارع على المستوى الإقليمي والدولي.

حوار

عضو اللجنة المركزية لحركة فتح دلال سلامة: لن ننتظر السنة التي منحها الرئيس للمجتمع الدولي وما أنجز من مقاومة شعبية غير كاف

حاورها: سعيد أبو معلا

أسئلة كثيرة يطرحها الواقع الفلسطيني وتحولاته على الحركة الأكثر ثقلا في الساحة الفلسطينية، حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح أصبحت اليوم تواجه تحديات كبيرة وملفات ثقيلة تطرح على مشروع السلطة الفلسطينية والتزاماتها المختلفة.

هذه الملفات الكثيرة والثقيلة حملتها «القدس العربي» إلى طاولة عضو اللجنة المركزية لحركة فتح دلال سلامة، وهي الناشطة السياسية التي تتواجد في الميدان طوال الوقت. تقول سلامة أن الاستكانة ليست في قاموس الحركة، وهي تعيش حالة استنفار واسعة ومستمرة.

سلامة حذرت في هذا الحديث الطويل من أن مسألة «التزام السلطة بالاتفاقيات الموقعة والاعتراف بدولة إسرائيل لن تكون سيفا مسلطا على رقابنا، كما أننا بحاجة إلى ترجمة لخطاب الرئيس وتحديد الخطوات المستقبلية التي تترتب عليه.

وأكدت سلامة أن خطاب الرئيس في الأمم المتحدة يجب أن يترجم على شكل خطوات مستقبلية، وهي ترجمة لن تكون مرتبطة بمرور فترة العام (المهلة) التي منحها للمجتمع الدولي ولإسرائيل. وكشفت أنه رغم وجود زوايا ونقاط مقاومة شعبية مضيئة، إلا أن ذلك غير كاف أمام الفعل الاحتلالي.

وفي ملف الانتخابات الفلسطينية قالت إن بحث خيارات إبداعية لإجرائها في القدس يعتبر أمرا غير مستبعد عن تفكير الحركة، وفيما يلي نص الحوار:

○ يبدو للمتابع أن هناك تحركا فتحاويا ملحوظا في الفترة الأخيرة، حدثينا عن طبيعة هذه التحركات والأهداف الرئيسية سواء أكانت ميدانيا أو على مستوى أطر الحركة؟

● بداية، الحركة لم تنقطع عن التواجد في الميدان إطلاقا، وهو أمر نابع من منطلق مسؤولياتها ودورها في النضال الوطني الفلسطيني، وهذا أمر طبيعي ويجب أن يبقى ملموسا في الميدان الذي يعتبر مشتعلا ومستهدفا في كل المناطق، في القدس هناك معركة شرسة لمواجهة التعديات اليومية وإجراءات التهويد، وفي مناطق الضفة كلها هناك مواجهة للمد الاستيطاني، إضافة إلى جهود دعم الأسرى، والمطالبة بجثامين الشهداء، ومساندة اللاجئين...الخ. لدى حركة فتح هم وطني عام، ومسؤولية وطنية، وهو أمر يتعزز ويظهر مع تزايد إيغال الاحتلال بجرائمه ضد أبناء الشعب الفلسطيني، حيث يتزايد الاستهداف والمصادرة والهدم والقتل والاعتقال، وكل ذلك يترافق مع استهداف النظام السياسي الذي يعبر عن حق الشعب الفلسطيني في الوجود، وهو أمر يترافق مع محاولات الاحتلال، ومن يتعاون معه، على المستوى الدولي لتصفية القضية الفلسطينية في ظل تقاعس المجتمع الدولي عن فتح آفاق عملية سياسية ذات جدوى ومستندة لقرارات الشرعية الدولية.

أيضا هناك تزايد في محاولات تجريم النضال الفلسطيني وتزييف الوعي عبر عملية مبرمجة لتزييف الوعي العالمي تجاه قضيتنا العادلة، هذا الإيغال يجعلنا نقف بمسؤولية أمام هذه التحديات، نحن والشعب دورنا أن نتصدى بكل قوة، فالاستكانة ليست في قاموسنا كما أنها ليست في قاموس الشعب الفلسطيني. وحراك فتح قائم على استمرارية الفكرة النضالية ودورنا الوطني في العمل المستمر لإنهاء الاحتلال، إنه حالة استنفار واسعة ومستمرة.

○ غالبا ما نسمع تصريح «كل الخيارات مفتوحة» من قادة الحركة، لكن من دون أن يتم تفسير ذلك ولا سيما وأنها تنطلق في مناسبات كثيرة وتعليقا على أحداث وإجراءات إسرائيلية مختلفة، فماذا يعني ذلك، وفي أي سياق تأتي هذه التصريحات؟

● الاحتلال ما زال قابعا على صدورنا، وهو يتنكر لكل الاتفاقات الدولية التي وقعت معه، وينتهك كل القوانين والاتفاقيات وهو أمر يدفعنا إلى دراسة الخيارات المستقبلية في العمل، لقد منحنا وقتا طويلا لعملية سياسية تستند على قرارات الشرعية الدولية وكانت عملية مرحلية للانتقال إلى قضايا الحل الدائم أو النهائي، ونحن أمام حكومة يمينية تتنكر لكل الاتفاقيات السابقة التي يفترض أن تقود لإنهاء الاحتلال، وهو أمر يترافق مع غياب أي مساءلة من المجتمع الدولي لدولة الاحتلال لعدم التزامه بالقرارات ولجرائمه المستمرة. نحن أمام كل ذلك. أن الشعب الفلسطيني ليس عقيما، وقراراتنا لن تبقى محدودة، فمصالح شعبنا وحقوقه المشروعة هي التي تحدد اتجاه أفعالنا.

اخترنا استراتيجية المقاومة الشعبية، وهي فعل مقاوم له سياق محلي ودولي يناسبه. صحيح أن الكفاح المسلح جزء هام من تاريخ المقاومة الفلسطينية لكن المقاومة الشعبية أيضا جزء هام اليوم في ظل السياق والوضع الدولي ومراكز القوى والمنظومة الأممية، وهو خيار يوفر لنا قدرا أكبر من التضامن الدولي لصالح القضية الفلسطينية. وبالتالي استراتيجيتنا هذه يتم تنفيذها وعينا على الحالة الدولية في تضامنها معنا، فالمقاومة الشعبية من شأنها أن تحافظ على التضامن وتنميه وتخلق تصاعدا في وتيرته. نريد أن نحافظ على هذه الإنجاز وتعظيمه.

خيارتنا مفتوحة نعم، بمعنى أنه وأمام ما يقوم به الاحتلال وتنكره لكل حقوقنا لدينا العديد من الاتفاقيات التي سنكون في حل منها، وقصة التزامنا بالاتفاقيات الموقعة والاعتراف بدولة إسرائيل لن تكون سيفا مسلطا على رقابنا.

○ أمام كل ما قلته على مستوى التوصيف فيما يتعلق بسلوك الاحتلال الإسرائيلي دقيق لكن في ضوء ذلك هل هناك قناعة جديدة تشكلت أو تتشكل لدى قيادة الحركة، في حال وجود قناعة جديدة ما هي؟

● سأقول باختصار أن قناعاتنا تنطلق من مصالحنا كشعب فلسطيني ومن ثوابتنا الوطنية، أي قناعة تتشكل لدينا مرتبطة بمقدار الاقتراب من الثوابت الوطنية وفي ضوء ذلك تتحدد الخطوات اللاحقة بمقدار الاعتداء على هذه الثوابت والمساس بها.

○ في مقابل تصريحات «كل الخيارات مفتوحة» هناك تصريحات بعيدة عن ذلك، آخر تصريح للرئيس محمود عباس كان مفاده انه «يريد تطبيق إجراءات وخطوات بناء الثقة»، وأعتقد أن لكل تصريح سياق مختلف ومتطلبات مختلفة، وكأن هناك تناقضا بين الخطابين، هل هناك خطابان لحركة فتح أم أن الأمر تبادل أدوار، كيف نفهم الفرق بين الخطابين في ظل أن خطاب الرئيس يتوجه لحكومة يمينية لا ترى الطرف الفلسطيني من أساسه؟

● لا.. ليس هناك خطابين، السيد الرئيس قدم خطابه أمام الأمم المتحدة في أيلول/سبتمبر من هذا العام، وكان واضحا تماما بأن حالة الانغلاق في الأفق السياسي (قبل نتنياهو وبعده وحتى اليوم) ورغم تعبيره عن التزامه بقرارات الشرعية الدولية وحق الشعب الفلسطيني في دولة، أكد أن المجتمع الدولي لا يمارس الدور المنوط به تجاه الاحتلال، حتى في مسألة تنفيذ قرار الحماية الدولية للشعب الفلسطيني.

لقد كان خطاب الرئيس بمثابة قرع الأجراس أو صرخة موجهة للعالم. وفعلا بدأنا نفقد الأمل، ولا يمكننا الاستمرار على هذا الحال. فكل السياسات تسير إلى نحو يقوض احتمالية أن تكون هناك دولة فلسطينية مستقبلية، وبالتالي قدم خطابه الذي تضمن التفكير بالعودة إلى خيارات أخرى أمام الشعب الفلسطيني.

بعد الخطاب شاهدنا رد الفعل الإسرائيلي عليه وكان مزيدا من الاستيطان والتنكر والعدوان، وبالتالي أعتقد اننا بحاجة إلى ترجمة لخطاب الرئيس وتحديد الخطوات المستقبلية التي تترتب عليه.

نرى أن خطاب الرئيس ومجمل تصريحاته مرتبطة أو تصدر عنه وفق إطار المصالح العليا للشعب الفلسطيني، وفي إطار حراكه السياسي والدبلوماسي وفي إطار التواصل والاتصال مع العالم. لكن الثابت أنه لا حياد عن اتفاقنا والرؤية الأساسية وقرارات الشرعية الدولية.

○ الخطاب في الأمم المتحدة منح مهلة مدتها عام كامل، وانت قلت إنه يجب ان تكون هناك ترجمة لهذا الخطاب على أرض الواقع في ظل أنه لا يجب أن ننتظر نهاية العام حتى نبدأ بالإجراءات الواجبة والمترتبة على الخطاب المذكور، ولا سيما وأن السلوك الإسرائيلي وحتى الأمريكي لا يبشر بأي بادرة أمل؟

● نعم صحيح، يجب ترجمة خطاب الرئيس على شكل خطوات مستقبلية وأنا أقول أنه لا يجب ان تكون الترجمة مرتبطة بمرور عام على الخطاب، في ظل تصاعد السياسات العدوانية الإسرائيلية، نحن لن نبقى ننتظر فترة السنة التي منحها الرئيس.

هناك قرار بإجماع القيادة في الأسبوع الماضي للتحضير لعقد المجلس المركزي لمنظمة التحرير حيث من المتوقع أن يبدأ بكانون الثاني/يناير المقبل، ونحن الآن بصدد ترتيب الجلسة العاجلة وهي ستنظر في قرارات سابقة لها علاقة بتحديد العلاقة مع دولة الاحتلال وبإعادة النظر في كل الاتفاقيات الموقعة معه، وهذه الاتفاقيات لن نقبل أن تبقى سيفا مسلطا على رقابنا في ظل عدم التزام الاحتلال بها.

○ ماذا عن المقاومة الشعبية، في المجلس الثوري الأخير تبنت الحركة خيار المقاومة الشعبية وتم الحديث عن توحيد المرجعيات، ما مدى رضاك عما تحقق من جهود في سبيل تفعيل خيار المقاومة الشعبية؟

● إلى جانب عقد المجلس المركزي قريبا كان من ضمن قرارات القيادة الأسبوع الماضي الاستمرار بجهود المقاومة الشعبية، وتوسيع دائرة انتشارها أفقيا، والاستمرار في مواجهة الاحتلال ميدانيا، وتشكيل القيادة الوطنية الموحدة للمقاومة الشعبية، وهو أمر يدلل على مدى إدراكنا لأهميتها في ظل تنامي الهجمة الاستيطانية.

عمليا وميدانيا هناك زوايا ونقاط مقاومة شعبية بارزة ومضيئة، وأصبحت بمثابة أيقونة مثل حالة بلدة بيتا، والأمثلة كثيرة، وأعتقد أن هذا غير كافي، ويجب أن يكون هناك توسع طالما أن النشاط الاستيطاني يتوسع في طول المناطق الفلسطينية وعرضها، مع عدم إهمالنا أشكال المقاومة الشعبية الأخرى.

والمؤكد اننا بحاجة لتمتين وتوسيع الدائرة أفقيا وتعميقها فكريا وعمليا لتكون في وعي وممارسة مختلف الأجيال والقطاعات، رؤيتنا اليوم أنه لا تراجع عن المقاومة الشعبية.

○ خلال الفترة الماضية كان هناك بحث لمسألة علاقة فتح مع السلطة، التي ينظر لها شركاء فتح من فصائل وأحزاب ومؤسسات أهلية بإنها علاقة مضرة بفتح أولا وأخيرا، وكان لدى كثير من الأطراف أمل في أن تنجز فتح فك هذه العلاقة، إلى أي مدى تحقق ذلك، كيف تنظرين أنت لهذا الملف؟

● موضوع علاقة فتح بالسلطة يعتبر موضوع نقاش دائم داخل فتح التي يعتبر عنوانها الرئيس إنهاء الاحتلال. وكل ما يجري بالنسبة لنا على مستوى تحمل المسؤولية هي أمور تجري في سياق ذلك الهدف. فعلاقة فتح بالسلطة مسألة تأتي في إطار المسؤولية تجاه أبناء شعبنا ومواجهة الاحتلال. ومن يتولى المسؤولية يكون خاضعا لثنائية الخطأ والصواب. وفتح لطالما تعودت أن تكون مسؤولة عن الشعب الفلسطيني وهي لا تتخلى عن دورها. في الأوقات المريحة يتلقف البعض هذه المسؤولية بإيجابية، وفي أوقات الأزمات نرى أن هناك تشكيكا بالقدرة والدور الذي تقوم به الحركة.

وبغض النظر عن التقييم، يعتبر هذا موضوع دائم النقاش داخل أطر الحركة، والجوهر أننا لا ننفك عن القيام بواجبنا، النقاش هنا يعمل على تصويب الطريق ويضبط المسؤوليات بشكل مثالي ونحن بحاجة إلى تعميق ذلك داخل فتح وتحديد المسؤوليات.

○ نذهب للملف الانتخابات، مؤخرا ظهرت مجموعة من الأزمات كان الإطار الناظم لها أن غياب مجلس تشريعي يجعل منها كلها في مهب الريح مثل: قضايا الفساد، غلاء الأسعار،..الخ فالحكومة تعمل بمعزل عن أي مراجعة أو محاسبة أو مراقبة، ومطلب مراقبة الحكومة أصبح مطلبا مجتمعيا في ظل كم إخفاقاتها، وفي هذا السياق الرئيس وفتح وضعا شرطا لإجراء انتخابات متمثلا بالقدس، ومن يراقب المشهد إسرائيليا ودوليا يجد أن هذا أمر شبه مستحيل، وبالتالي المعطيات تقول أنه خلال السنوات المقبلة لن تكون هناك موافقة على إجراء انتخابات في القدس، وهذا يعني أن يبقى الوضع الفلسطيني على حاله مشلولا، نحن في معضلة، ما الحل؟

● أرى أن الانتخابات مصلحة للنظام السياسي وهي تعمل على تقويته وتمتين أركانه، يحقق ذلك وجود مجلس تشريعي قوي، وفاعل، وهو أمر يساهم في ترييح الأجواء داخل النظام السياسي والمجتمع عموما، وتصويب عمل المؤسسات الوطنية والوزارات، وقدر أعلى من النقاش للقوانين والتشريعات وقدر من المسؤولية وتحسين الأداء وهو أمر يصب في مصلحة النظام السياسي.

هذه المصلحة على أهميتها لا يمكن أن تذهب على حساب ثابت وطني وهو القدس. إجراء الانتخابات بالقدس ليس شرط حركة فتح ولا شرط الرئيس إنه شرط وطني. وإذا تنازلنا عن ثابت وطني إزاء مصلحة ما فهذا أمر خطير، أمام المصلحة الوطنية العامة ممثلة بالانتخابات نرى أنه علينا أن ننتصر للثابت الوطني في معركتنا وهو القدس.

○ هناك اتفاق فلسطيني ان القدس ثابت وطني، والأصوات التي تنادي بالانتخابات لا تقبل أيضا أن تستثنى القدس لكنها تطالب بحلول إبداعية أو حالة مواجهة في ضوء أن الموقف الإسرائيلي لا يبدو أنه في الأفق القريب أو البعيد قابل للتغير، لماذا لا تكون هناك حلول إبداعية؟

● بحث خيارات إبداعية يعتبر أمرا غير مستبعد عن التفكير من قبلنا، ولكن نحن نأتي إلى هذه الانتخابات لأول مرة بعد قرار ترامب نقل السفارة إلى القدس واعتبارها عاصمة لإسرائيل، وبالتالي لا يمكن لنا أن نقبل بإجراء الانتخابات بدون القدس، ومن دون قرار دولي يلزم الإسرائيليين بإجرائها وفق الاتفاقات الموقعة مثلما جرى في انتخابات 1996 وانتخابات 2005 نريد العودة لهذا المربع وأن نضمن قبول إسرائيل بهذا السياق وهو تكريس للواقع الذي فرض منذ تأسيس السلطة ويعني عدم الالتزام بقرار ترامب.

ونحن نرى الانتخابات تحت شعار الاشتباك وخيارات أخرى مماثلة أمرا مهما لكن في سياق غير سياق القدس، بعد قرار الرئيس الأمريكي السابق ترامب كان لا بد من الإصرار على ضمان إجرائها وقبول إسرائيل بذلك.

○ قبل أيام كنت من ضمن اجتماع عام ضم مختلف الفصائل والاتحادات والمؤسسات وصدر قرار تشكيل لجنة وطنية لمواجهة قرار الاحتلال بتصنيف المؤسسات المدنية على قائمة الإرهاب، تعتبر اللجنة خطوة مهمة لكن كيف نضمن أن تكون هذه اللجنة فاعلة وليست مجرد لجنة من ضمن مئات اللجان التي تشكلت من دون أن تمتلك فاعلية؟

● ننظر للفعل الإسرائيلي باستهداف مؤسسات وطنية ومدنية تعمل على كشف الاحتلال وأفعاله بحق أبناء شعبنا على أنه حلقة من حلقات الاعتداء على شعبنا، وإذا قرأنا المشهد بصورة عامة نكتشف أن الهدف هو تجريم النضال الفلسطيني بكل أشكاله، وهو أمر متداخل مع سياق محاولات تزييف الوعي العالمي تجاه القضية الفلسطينية، وبهذا المعنى فإن كل شيء من مكونات النظام السياسي أصبح مدانا ومتهما بالإرهاب، أفرادا وفصائل ومؤسسات، فكل من يعمل على توثيق الاعتداءات الاحتلالية أصبح متهما بالإرهاب.

بالنسبة لنا إسقاط هذا القرار أصبح قضية وطنية، فهو قرار يهدف للمس بالمؤسسات التي تعمل في مصلحة شعبنا، وهي مؤسسات تعمل بمرجعية القانون الدولي والإنساني وحقوق الإنسان، المختلف اليوم أن الجميع: فصائل واتحادات ومؤسسات هم موحدون في الدفاع عن هذه المؤسسات.

○ إذا، كيف نضمن أن تكون هذه اللجنة فاعلة ونحن نعلم كيف تعمل إسرائيل في استهداف هذه المؤسسات وطبيعة الجهد الذي يتم الاشتغال عليه في محاولة إدانتها بحسب القانون الإسرائيلي وعالميا أيضا، الأمر يحتاج لفعل حقيقي وتراكمي وعلى مدى زمني طويل؟

● رد الفعل الذي جاء من الكل الفلسطيني دليل على أن هناك وحدة في مواجهة هذا الاستهداف، واللجنة تشكل حالة جامعة لكل المكونات الفلسطينية لمواجهة هذا القرار، وهي لجنة تمتلك ثقلا كبيرا لمواجهة هذا القرار، سنعمل على وضع خطة عملية على المستوى الشعبي للتصدي لهذا القرار، كما سنعمل في كافة المحافل الإقليمية والدولية على برنامج يحفز المجتمع الدولي والمؤسسات الأهلية الدولية للعمل على حماية هذه المؤسسات. فالمؤسسات المستهدفة تعمل بدورها في سياق شراكات إقليمية ودولية واسعة وبالتالي لا بد من استثمار علاقاتها الخارجية وتشبيكها للتأثير على الرأي العام الخارجي للتأثير على صانعي القرار للضغط على إسرائيل وإسقاط القرار.

حريات

أطفال سوريا شمالي البلاد في خطر كبير من غياب الهوية إلى الانخراط بأسوأ أنواع العمالة

حسام محمد

مما لم يعد فيه أدنى شك، أنك عندما تتحدث عن سوريا، فإن جوارحك تتفاعل مباشرة على أن المخاطب هو مأساة وطن بأكمله، فمنذ أن خط الشعب السوري طريقه نحو الربيع متأملًا بتأسيس مستقبل أفضل، أصدر رئيس النظام السوري حكمه القطعي بأن ما يجري «مؤامرة» فراح يستخدم جيشه وجيوش الحلفاء من روسيا وإيران لضرب السوريين وتبديد أحلامهم قبل أن تصبح واقعًا، فكانت النتيجة باهظة الثمن.

تحولت البلاد إلى مساحة من الدمار والقهر، والشعب أصبحت حياته وظروفه هي الأسوأ مقارنة بدول العالم، وبين إرادة الشعب في ثورته والنظام في نظريته، كانت خسارة الطفولة في سوريا مؤلمة، وما آل إليه حاضر الأطفال جراء سوء الأوضاع المعيشية وغياب الاستقرار والخروج من العملية التعليمية نذيرًا بالمستقبل الخطير الذي ينتظرهم، فيما لو بقيت الأوضاع السياسية متعثرة بأفق مسدود، إثر تعنت النظام على تقديم أي خطوات ملموسة لتطبيق الحل السياسي وفق القرارات الدولية.

إحصائيات مرعبة

شهدت سوريا منذ عام 2011 مقتل ما لا يقل عن 29520 طفلاً، كما أن السلطات الحاكمة لم تفشل فقط في تحقيق الحماية والاستقرار لأطفال سوريا، بل هي من قامت ونفذت أفظع الانتهاكات بحقهم، التي بلغت حد الجرائم ضد الإنسانية، ووفق الشبكة السورية لحقوق الإنسان، فإن أكثر من 77 في المئة من نسبة الضحايا من الأطفال سقطوا على يد النظام السوري والميليشيات المحلية الموالية له، بإجمالي بلغ 22887 طفلاً.

أما الحليف الدولي الأقوى لبشار الأسد الجيش الروسي، فهو الآخر لم يتوان عن سفك دماء الأطفال السوريين، فقتل وفق ذات المصدر الحقوقي، 2005 طفلاً، بينهم 1395 من الأطفال الذكور، و610 من الإناث.

في حين أن تنظيم «الدولة» قتل 958 طفلا، وهيئة تحرير الشام مع قوات فصائلية أخرى، فهي مسؤولة على قتل 70 طفلا، بينهم 65 ذكراً، و5 من الأطفال الإناث، فيما تورطت قوات سوريا الديمقراطية بقتل 232 طفلا، في حين أن المعارضة السورية المسلحة «الجيش الوطني» يعد مسؤولا عن مقتل 993 طفلا.

التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب في سوريا، فقد قتل 925 طفلا، إضافة إلى 1450 طفلا قتلوا على يد قوى أخرى.

كما يعيش قرابة مليون وربع مليون طفل ضمن المخيمات المنتشرة في سوريا، يعانون أسوأ الظروف الحياتية وانعدام أقل مقومات النظافة والخصوصية والمسكن والرعاية الطبية والصحية وغياب تدابير السلامة.

التشريد القسري بحسب مصادر حقوقية، لقرابة 6 مليون مواطن سوري بسبب الهجمات والانتهاكات التي مارستها أطراف النزاع وفي مقدمتهم النظام السوري وحلفاؤه، أدى إلى تفشي الفقر، لأن النازحين هم أكثر فئات المجتمع هشاشة. كما أنّ كثيراً من الأطفال قد فقدوا معيلهم بسبب انتشار القتل خارج نطاق القانون، والاعتقال التعسفي والإخفاء القسري، وتحوّل كثير من الأطفال إلى معيلين لأسرهم، وانتقل الطفل إلى ساحة العمل بدلاً من الدراسة.

وأصبح لدينا مئات الآلاف من الأطفال الأميّين، كما حرم معظم الأطفال المولدون خارج مناطق سيطرة قوات النظام السوري من الحصول على وثائق رسمية تثبت هوياتهم، وعانى الأطفال المولدون في مخيمات اللجوء أيضاً الأمر ذاته. وفق ذات المصدر الحقوقي.

الشمال السوري.. الامتحان الكبير

بيانات مسؤولين في لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة أشارت إلى أن نحو 1.8 مليون طفل يواجهون الموت شمال سوريا، كما أنه بعد عقد من الصراع لم يعرف غالبية هؤلاء الأطفال سوى الصراع ومآسيه.

وبين مسؤولون، وفق صحيفة «لوموند» الفرنسية، أن الأطفال نشأوا تحت الحصار، ويواجهون الموت والمجاعة، ويحرمون من أبسط متطلباتهم، وكشفوا أنّ أكثر من نصف الأطفال في سوريا محرومون من التعليم الأساسي.

وبينت الصحيفة الفرنسية، أنّ أكثر من نصف الأطفال في سوريا محرومون بشكل عام من التعليم الأساسي، في حين أن الأمر الأكثر إثارة للدهشة هو أنّ الدول التي يقبع مواطنوها القاصرون في سوريا، والتي سيُطلب منها مساعدتهم من أجل إنهاء محنتهم، ترفض حماية حقوق الطفل. مدير الشبكة السورية لحقوق الإنسان فضل عبد الغني، أشار خلال اتصال مع «القدس العربي» إلى ما تزيد نسبته عن 50 في المئة من المشردين في الشمال السوري هم الأطفال الذكور والإناث، وهم دون سن الثمانية عشر، والانتهاكات التي يتعرض لها الأطفال في الشمال السوري، هي انتهاكات تحدث بشكل يومي ومستدامة، هذه الاستدامة تجعل من هذه المشكلة حدثا طبيعيا، وهنا مكمن الخطورة، فهي انتهاكات حقيقية.

هذه الانتهاكات تواجدت في الشمال السوري، جراء التشريد القسري الذي تعرضت له هذه النسبة من الأطفال، ثم تفرعت عنه نتائج أخرى، ومنها عدم تمكن الأطفال من الدخول في العملية التعليمية، وعدم الحصول على الرعاية الصحية الكافية، وهذه الأزمات سببها الأساسي هو التشريد القسري للعائلات السورية.

العمالة الإجبارية

كما أن هذه الأزمات، وفق مدير الشبكة السورية لحقوق الإنسان، تؤدي إلى دفع الأطفال إلى الانخراط في سوق العمل، بل التوجه إلى أسوأ أنماط عمالة الأطفال، فغياب المستلزمات الأساسية للحياة، تصبح العملية التعليمية «رفاهية» للأطفال، مقارنة بتأمين الغذاء والرعاية الصحية، وللأسف فإن هؤلاء الأطفال منسيون، خاصة مع دخول فصل الشتاء، والمساعدات الأممية والمحلية غير كافية، فقسم كبير من الأطفال خارج المدارس، مما يحول تلك النسبة من الأطفال إلى فريسة للابتزاز المادي أو حتى الجنسي، علاوة عن محاولات استقطابهم من قبل التنظيمات المتطرفة.

الأوضاع التي تحيق بالأطفال في الشمال السوري، أهم ما تعانيه اليوم، هو غياب أي أفق لحل تلك الأزمة، خاصة أن أي منطقة يسيطر عليها النظام السوري، لن يعود إليها أي مدني، فاستمرار وجود الأسد ونظامه في السلطة، يعني عدم عودة النازحين واللاجئين إلى مدنهم وقراهم، وبالتالي سيبقى الأطفال هم الضحية، وسوف تستمر عمليات تعرض الأطفال لهذه الأشكال من الانتهاكات.

علاوة على ذلك، فقد حرم معظم الأطفال المولدون خارج مناطق سيطرة قوات النظام السوري من الحصول على وثائق رسمية تثبت هوياتهم، وعانى الأطفال المولدون في مخيمات اللجوء أيضاً الأمر ذاته، إضافة إلى عمالة الأطفال في مناطق نزوحهم أو بلدان اللجوء.

تعثر الحل السياسي.. السبب

أما مازن موسى، وهو مدير إحدى المدارس السورية شمالي البلاد، فقال لـ «القدس العربي»: «يعاني السوريون على كامل مساحة الجغرافية واقعًا صعبًا نتيجة لتعطل المسار السياسي، وتوقفه بسبب رفض النظام تقديم أي تنازلات أو القيام بإصلاحات جدية وحقيقية توقف المأساة التي يعاني منها الشعب السوري برمته».

وأضاف، «تعتبر مأساة توقف التعليم إحدى أكبر المآسي التي أصابت المجتمع السوري في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام السوري، حيث تعرضت العشرات من البنى التحتية لتدمير ممنهج، أدى الى خروجها عن الخدمة كليًا أو جزئيًا.

فضلا عن ذلك، فإن بعض المدارس، أصبحت ملاذا للنازحين والمهجرين الذين خرجوا من مناطقهم نتيجة قصف قوات النظام السوري لمدنهم وقراهم بالطيران الحربي والبراميل المتفجرة».

أسوأ بلدان العالم

تقرير الأمين العام للأمم المتحدة في عام 2020 كان قد صنّف سوريا وفقاً لأنواع من الانتهاكات على أنها الأسوأ في العالم من حيث عمليات القتل والتشويه والاعتداء على المدارس وثاني أسوأ بلد في العالم من حيث عمليات تجنيد الأطفال، والاعتداء على المشافي ورابع أسوأ بلد في العالم من حيث عمليات الاحتجاز ومنع المساعدات الإنسانية.

كما جاءت سوريا ثالث أسوأ بلد في العالم من حيث استخدام المدارس لأغراض عسكرية، وكانت قوات النظام السوري هي أسوأ أطراف النزاع من حيث حالات الاعتداء على المدارس.

في حين كانت قوات سوريا الديمقراطية (وحدات حماية الشعب/ وحدات الحماية النسوية) هي أسوأ أطراف النزاع من حيث استخدام المدارس والمشافي لأغراض عسكرية حيث سجّل التقرير استخدامها 18 مرة من أصل 32 مرة، تليها قوات النظام السوري بـ 13 مرة، وهيئة تحرير الشام بـ 1 مرة. بحسب الشبكة السورية لحقوق الإنسان.

وعلى صعيد تجنيد الأطفال جاءت سوريا في المرتبة الثانية بعد الصومال، حيث تم تجنيد 820 طفلاً في سوريا في عام 2019 وكانت قوات سوريا الديمقراطية (وحدات حماية الشعب/ وحدات الحماية النسوية) هي أسوأ أطراف النزاع من حيث حالات تجنيد الأطفال بـ 306 حالة، تليها هيئة تحرير الشام بـ 245 حالة.

القصف يهدد التعليم

موسى، قال لـ «القدس العربي»: هناك مخاوف كبيرة لدى الأهالي من إرسال أطفالهم إلى المدارس، بسبب القناعات التي ترسخت لديهم بتعمد قوات النظام السوري قصف المدارس بالمدفعية الثقيلة.

هذه المخاوف، دفعت قسما كبيرًا من الأهالي للامتناع عن إرسال أطفالهم الى المدارس، مما تسبب بتسرب وانقطاع قسم كبير منهم عن التعليم.

حتى المدارس التي كانت بعيدة عن همجية قوات النظام لم تسلم أيضا من انقطاع الدعم اللازم لاستمرار العملية التعليمية، إذ يعاني المعلمون من انقطاع وتوقف رواتبهم التي كانوا يتقاضونها سابقا وتراجع الدعم (المحدود أساسا) والذي يقدم من بعض المنظمات التي لا تغطي إلا قسما يسيرا منها مما دفع قسم كبير من المعلمين للتوقف أو العمل بشكل تطوعي مجاني لفترات طويلة.

كما نوه المصدر، إلى أن ارتفاع الأسعار وصعوبة المعيشة ألقت بظلالها على الواقع التعليمي الهش والفقير مما دفع بعض العائلات إلى الامتناع عن إرسال أولادهم أيضا إلى المدارس والاستعاضة عن ذلك بإرسالهم الى السوق للعمل ببعض الأعمال أو المهن الحرة التي يستطيعون تنفيذها من أجل الحصول على المساعدة، ومساعدة ذويهم في مواجهة الفقر وتوفير أدنى مقومات الحياة اليومية.

مخاوف من الانحراف

«محمد» وهو اسم مستعار لنازح سوري، قال لـ«القدس العربي»: هذا العالم لا يشعر بالامتحان الصعب الذي تعيشه العائلات هنا في الشمال السوري، فالأزمة هنا ليست بعدم الاستقرار فحسب، بل هناك ما هو أشد من تأمين طعام اليوم، ألا وهو الحفاظ على الأطفال في المجتمع غير المتماسك، وغياب القانون.

فاليوم، نرى الأطفال في التاسعة أو العاشرة من أعمارهم وفي أيديهم علب السجائر عوضا عن القلم والدفتر، ولا يفكرون أبدا في التعليم، بل تراهم يتهامسون عن أفضل الأسواق للعمل وجني المال بأسرع الطرق، وآخرون تراهم يجاهدون بكل قوتهم لتأمين قوت يومهم دون الانحراف كبعض الأطفال الذين يصادفونهم في الطرقات، ولكن إلى متى سيبقى هذا الصمود لدى هؤلاء الأطفال؟

ويضيف قائلا: هناك أمور أخرى يمكن وصفها بالخطيرة، كغياب بعض أساسيات الأخلاق جراء السلوك غير الصحيح الذي ينتهجه الأطفال، وللأسف نرى بعض الانحلال وانحسار متتالي في القيم، جراء الأوضاع المنهارة والحياة الصعبة.

كتب

مختارات الشاعر العُماني حسن المطروشي «أحدق باتجاه الريح»: تحدّي حرية النثر اللامحدود بمحدودية التفعيلة

المثنى الشيخ عطية

يدرك شعراء التفعيلة أنهم، مهما امتلكوا من موهبة الإيقاع وخبرة التحليق فيه، ملاحقون بقيد الوزن المحدد الذي يضع رجله بين خطواتهم فيقصّر المسافة التي عليها قطعًها للطيران؛ وينظر هؤلاء الشعراء بعين الحسرة إلى قصيدة النثر التي تفرد أجنحة تركيب جملتها كما صقر، وتدخل قلوبَهم كما شيطان يوسوس لهم بارتكاب إثم الحرية التي تحتاجها أجنحتهم. وتضعهم بذلك أمام تحدّي مستحيلات الشعر التي على الشاعر أن يكون جديراً بقلبها إلى ممكنات لكي يكون الشاعر.

وفي قلب المستحيلات إلى ممكنات، يلجأ بعض شعراء التفعيلة إلى تزويج تفعيلاتهم بالنثر، مجازفين بما يعترض مجال الزواج من طلاق، ويلجأ بعضهم إلى التخلّي كلياً عن وزن تفعيلاتهم المحدد، ليكونوا شعراء قصيدة نثر من طراز رفيع يحسدهم عليه شعراء النثر الذين لم يمتلكوا موهبة الإيقاع. ويلجأ بعضهم كما يفعل الشاعر العماني حسن المطروشي بمجموعته «أحدّق باتجاه الريح» التي تتضمن مختارات شعرية، إلى الحفاظ على تفعيلته، ودخول تحدّي دوامات عصف رياح الحرية في ذات الوقت، لقطف روح تركيب جملة قصيدة النثر، والتحليق بحريةٍ وتألقٍ في الريح... ليس من دون دفع بعض الثّمن الذي ينتج عن ارتكاب معصية المألوف بطبيعة الحال:

«أسوقُ على الذُرى غَنَمي،
وَأَصْعَدُ نحو مَنْزِلَةِ السؤالِ.
أَحَدِّقُ باتجاهِ الريحِ،
تَحْمِلُ لي رسَائِلَ لَمْ تَصِلْنِي،
ما تزالُ هناك،
أَزْمِنَةً تَنُصُّ على التلالِ.
يداي غَمامَتَانِ
لِفَرْطِ ما لَوَّحْتُ مُنْكَسِراً،
أَفَسِّرُ بالوساوسِ وَخْشَةَ الطُرُقاتِ،
مُحْتَشِدًا بِضوضائي وأُوغِلُ في اشتعالي».

باتجاه الريح، يشكل المطروشي مختاراته الشعرية ببنية ظاهرة بسيطة من دون فصول، تتسلسل فيها على التوالي سبعٌ وعشرون قصيدة تفعيلة، متوسطة الطول في الغالب بأربع صفحات، ولا تتوابط موضوعاتها بمحور عام، وفق طبيعتها كمختارات. لكنها تمتاز بترابط لغتها، وإيقاعاتها التي تميّز أسلوب الشاعر، مع اهتمام بالقوافي التي تأتي طبيعية ثرية عذبة وغير مُقْحَمة بقسر الإيقاع الذي وإن جرّ القصيدة إلى ما يُظنّ أنه بعيدٌ عنها، فإن الشاعر يعيد مساره للتلاحم مع موضوعه. كما في قصيدة: «هؤلاء»... مع القوافي المتلازمة مع كلمة «خفيف»، القصيدة

إلى ما يوحي بجرّها من حبال إيقاع تيّار محمود درويش الذي لا ينجو منه زورق، غير أن الشاعر يعيد توجيه زورق قصيدته بكفاءة إلى موضوعها، وجعل ما يحيط بهذا الموضوع جزءاً منها.

وباتجاه الريح، مع إدراكه لمأزق قصيدة التفعيلة كما يبدو، في زمن ما بعد الحداثة الذي تداخلت فيه العوالم وفرضت على الفنون مواكبة التغير، واتسعت فيه قدرات قصيدة النثر، بما تمتلك من سعة استيعاب؛ يُدخل المطروشي جملته التي يستفيد فيها من إبداعات هذه القصيدة، دون أن يغيّر طبيعة قصيدته في التفعيلة. وذلك بنقل تركيب جملته الشعرية إلى الجملة المتداخلة الصور، التي يلعب فيها تركيب الحلم دوراً خلاقاً في تركيب الجملة الشعرية، وفق منطق الكتابة الآلية في خلق اللامنطق. ورغم صعوبة استيعاب قصيدة التفعيلة لسعة امتداد أجنحة الحرية هذه، يخوض المطروشي تجربة قدراته بسلاسة، ليدخل رحاب إبداع القصيدة الجديدة بجسد قصيدة التفعيلة، حيث: «تَعْبُرُ الناسُ/ كالوُشْمِ في ظاهِرِ القَوْلِ/ يعبر باصُ الإجازة/ أَعْبُرُ/..... أَدْرَكْتُ أني بدوني/ أَقْشُرُ في آخرِ الليلِ/ غَيْبوبَةً فائضةً»، مع دفع بعض ثمن شغف طرفة بن العبد على لمس العدم، بفقد ما لا بُد من فقده، مثل إدهاش القفلات المميز الذي تمنحه الحرية لقصيدة النثر، في بعض القصائد.

باتجاه الريح، يمدّ المطروشي أبعاد بنيته العميقة، ليبلور أسلوب قصيدته فيما يمكن التقاط بعض جوانبه في هذه البنية مثل:

- التداخل البسيط مع الأساطير التوراتية والإسلامية اللتين يحضر فيهما البدء بتحويره إلى: «في البدء كان السرير»، ويحضر فيه آدم، بتسميته في قصيدة «السرير»، وقابيل وهابيل ونوح بوضوح دون تسمية، في القصيدة المميزة: «النسل المطرود»، حيث: «بِاسْمِ المُقْتولِ وقاتِلِهِ/ أَتَقَدَّمُ غُرْياناً نَحْوَ الطوفانِ وأَغْبِرُهُ وَحْدِيَ/ لَمْ يَفْتَأْ هذا الدمُ/ مِلْءَ عُروقيَ مُحْتَشِدًا ضِدِّي»، في لمحاتٍ مما أورثه أسلاف الإنسان له: الوحدة، البحث عن الحرية، حَمْل عبء ازدواجيته بين الخير والشر، والحبّ الذي يفصح فيه الشاعر عن تلعثمه أمام المرأة.

- استخدام المفردات التراثية، الإسلامية معاناة التمزّق بين الأشباه:

«كَثيرٌ يَلْعَبون الآنَ دَوْري،
أدخَلوا جَسَدي إلى زنزانة التَحْميضِ،
كي يستَنْسِخوا أشباهَ حُزْني،
يَعْبُرُون بِسيرَتي مِنْ حينِ شقِّ الصدْرِ للمعراجِ،
ها هي وِحْدَتي جَيْشان يَعْتَركانِ:
نِصْفٌ يَنْصُرُ الشيطانَ
نِصْفٌ يَمْنَحُ الحارسْ.

- استخدام القصة بصورتها الحداثية التي أدخلتها قصيدة النثر للشعر، كما في قصيدة «خدر كالنعاس» التي يستعيد فيها الفتى الغائب فيه، داخل طرقات قريته، وقصيدة: «أحدّق منذ كنت»، التي استقى منها المطروشي عنوان مجموعته، وقصيدة: «أحلام»، التي يصور فيها اختلاف أحلام الشاعر عن الأحلام البائسة للآخرين:

«فِتْيةٌ حالمونَ وشاعر/ قال أوّلُهمْ: ساكونُ نبياً،/ أسُوقُ بُراقَ السماء،/ وأسعى أمامَ مَنازِلكمْ بالبشائرْ/ قال ثانيَهُمْ: ساكونُ أنا فارسَ العرشِ،/ أغزو بلاداً/ وأَفْتَحُ أبوابَها لجنودي،/ وَارْجِعُ مُنْتصراً،/ ثُمَّ أُهْدي الأميراتِ في قَصْرِهِنَّ السبايا،/ وأُلْبِسُهُنَّ الأساوِرْ/ قال ثالثُهُمْ: ناسكاً ساكونُ،/ وأُجْري الكراماتِ كالأولياء،/ وأَعْرُجُ في جُبَّتي/ ساطعاً بالكبائرْ/ قال شاعرُهُمْ: يا رفاقْ،/ فأَمَّا أنا فسأَبْقى/ كما أَنْجَبَتْني الطبيعةُ... طائرْا».

وباتجاه الريح، مع الكثير مما يُغني بالشعر والمعرفة أيضاً، يقدم المطروشي مختارات شعرية غنية بفنّ القصيدة وبعوالمه التي لا تخلوا من التحدي في مواجهة الذات والآخرين والشعر المشروط، بمشرط الجرأة.

ختاماً، حسن المطروشي، شاعر ومترجم وإعلامي، ولد في سلطنة عُمان عام 1963. يحمل دبلوماً في مهارات الترجمة (بين الإنكليزية والعربية). أصدر العديد من المجموعات الشعرية: «وحيداً كقبر أبي»، «على السفح إيّاه»، «لَدَيَّ ما أنسى»، و «مكتفيا بالليل». كما أصدر العديد من الترجمات منها: «اقتصاد المعرفة: البديل الابتكاري لتنمية اقتصادية مستدامة – «سلطنة عُمان نموذجا» للدكتور إبراهيم الرحبي. و«مذكرات رجل عماني في زنجبار» للسيد سعود بن أحمد البوسعيدي.

وبين خطاب الآخر بما في ذلك قرينه الذي يرافقه ويمسح القصيدة بعمق كشف الطبيعة المزدوجة للإنسان، وخطاب الـ هوَ، مع التقمّصات وارتداء الأقنعة بجرأة على الكشف، بما يغني القصيدة في انفتاح عوالم البشر على بعضها، ولا ينجو من ذلك الأنبياء، كما في القصيدة التي تصوّر

«لكنَّهُ المسْكينُ/ يُمْسِكُني بِمَعْروفٍ،/ يُسَرِّحُني بإحْسانٍ،/ ويَمْنَحُني الخَيارَ/ بأنْ أضيقَ كما يلاءُ/ أو أموتَ بلا صفةْ./ رجَلٌ برمَّتِهِ/ يُحَدِّقُ نَحْوَ مُفْتَتَحِ العبارةِ/ مُنْذُ أزمِنَةٍ/ لكي يَصِفَ العلاقةَ/ بَينَ فُسْتانِ القصيدةِ/ والمطَرْ». ومثلما يحدث كذلك في قصيدة: «أطل عليكم من هذه الكوة»: «أعيِّنُ كأسي بالتاريخ، أهيِّئ رأسي مائدةً للسائلِ والمحروم، وأرفَعُ عاصفتي فَرْدا».

- العودة إلى الطفولة بدراجة لا تصدأ، وتعييش القارئ شاعرية المكان بوصف تفاصيله المتداخلة مع حال الشاعر، والتغيّرات التي تطرأ عليه، وتدخل منها مواقفه من أحوال بلده، مرتبطةً بالتاريخ والتراث والعلاقة مع الجيران والمستعمرين وأهالي البلاد المنقسمين، وعزلته وغربته عن كل ما يحدث، مع وحدته الوجودية. وهذا بتداخل يجنّب قصيدته برودة الحياد، ويمنحها نبض التفاعل مع أحوال وتطلعات الناس للحرية والسعادة دون مساس بفنية القصيدة، ويتجلّى ذلك أكثر في قصيدته المميزة «حضور ناقص» التي تعيد صياغة بلد الطفولة وعوالمه، ولكن: «المشهدُ مُكْتَملٌ/، والآن سأَنْفُخُ مِنْ روحي،/ وأُعيدُ القريةَ سيرتَها الأولى،/ لكنَّ المفقودَ الأوْحَدَ كان .. أنا!». وكما في قصيدة: «محاولات لرسم مدينة»، المؤسسة على قول شكسبير: «الجحيم فارغ، الأوغاد كلهم هنا»، عن وضع المدينة المسخ: «سَأَرْسِمُ هذي المدينةَ/ ثَوْراً بَديناً/ بذَيْلٍ بغالٍ،/ يخورُ خُوارَ الخنازيرِ،/ قَرْناهُ مثل رؤوس الشياطينِ/ يُلْتَهِمان السُّحُبَ/ سَأَرْسِمُ هذي المدينةَ قَبْلَهُ،/ ثُمَّ أمضي إلى جامعٍ/ آهِلٍ بقميءِ الفتاوى،/ وأَزْرَعُها تحت دقّنِ الخَطيبْ/ سَأَرْسِمُ هذي المدينةَ/ مَقْبَرَةً لإله عَقورٍ كئيبْ/ سَأَرْسِمُ هذي المدينةَ شمساً،/ وأَنْفُخُ حتى تصيرَ رماداً،/ وأَكْسُها كالقيامةِ/ نحو المغيبْ!».

- تنوّع الخطاب بين خطاب الذات بحديث الشاعر عن نفسه وطبيعته ووحدته وعزلته ورغباته وارتكاباته وآثامه، وسخريته كذلك عبر ذلك من الإنسان الأعلى، كما في قصيدته: «مثل لصّ يغرّر بالياسُمات»:

«أنا المُتَعاظِمُ في وِحْدَتي،
سَمّني خاتَمَ الأشقياء،
أنا الخارجيُّ المُطارَدُ،
مَنْ وَرَدَ اسْمي في العَهْدِ:
«مُنْتَظِرَ الفِرقةِ الناجيةْ»
سَكَنْتُ الذُرى
وكَبُرْتُ مع الريح والماشيةْ....».

حسن المطروشي: «أحدّق باتجاه الريح»
خطوط وظلال للنشر والتوزيع، عمّان
2021
96 صفحة.

«نيرفانا» رواية الجزائري أمين الزاوي: نشيد الحرية وسؤال الهوية

سارة سليم

حين تقرأ للروائي الجزائري أمين الزاوي تشعر وكأن الرواية هي امتداد لكل شيء، تواصل باللغة الساحرة وعن طريقها مع العالم الذي يحيطنا، وفي حضرة هذه اللغة تُفتح جميع الأقفال لمتعة الحكي والسرد، فلا حاجز ولا مستحيل ولا خطوط حمراء أمام المخيلة الروائية اليقظة وأمام التفكير الحر الذي يحاصر الواقع بأسئلته المحرجة غير المترددة.

بين علاقة المخيلة والفكر الحر يتأسس النص الروائي ناسجا خيوطه بانتظام في أزمنة وأمكنة أخرى غير التي نعرف أو نعتقد وهما بأننا نعرفها ونفقه تفاصيلها، إلا أن الروائي بامتلاكه المقدرة على استحضار التاريخ والتراث والأسطورة بكتابة جريئة يفكك كل منغلق ومغلَق. والجرأة في الأدب ضرورية، بل الأدب هو الجرأة، في مجتمع كمجتمعاتنا العربية والمغاربية عاشت وتعيش على الموارية، وتخشى من تسمية الأسماء بمسمياتها وتفضل دائما أن تنظر من خرم المفتاح أو من خلف الباب دون فتحه كي نرى النور بشكل كامل، فالظلمة كما جاء على لسان أحد أبطال فيلم The Fountain «كل ظلمة مهما كان عمقها، يهددها ضوء النهار».

هكذا عوّدنا وتعوّد الروائي والمفكر الجزائري أمين الزاوي أن يقدم أعماله الأدبية السردية، معتمدا على المقاربة الحكائية المطعمة بتوابل العجائبي (الفانتاستيك) المؤسس على قراءة جادة لسردية التاريخ المحلي والإنساني. لا ينشر عملا روائيا بالعربية أو بالفرنسية إلا ويشعر القارئ بأنه أمام نص يقرأ الواقع ويفككه بعيدا عن الأفكار الجاهزة السعيدة في كسلها وفي نفاقها، فليس مهما أن تتفق روائيا مع ما يكتب أمين الزاوي، ولكنه يشعرك بأنك تقرأ ما يجعلك تتساءل عن كثير من المسلمات التي تحيط بك. فكتاباته تنطلق من فلسفة خدش الأفكار العامة التي تحتاج إلى من ينفض عنها الغبار، يخلصها من مفهوم المسلمات ويعيدها إلى مربع السؤال المحرج. ليس الجدل الفارغ بل الجدل الذي يحرك الأسئلة ويفرض المراجعات عن بعض الذين يعتقدون بأن أفكارهم هي أصنام تعبد.

في رواية «نيرفانا» وهي آخر إصدارات أمين الزاوي تناول الروائي موضوع تشكل الهوية وأعطابها المجروحة في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، حيث يستحضر النص في تقاطع السردية الجمالية بين «ماشاهو» الأمازيغية (أي كان يا ما كان بالأمازيغية) وسردية ألف ليلة وليلة المشرقية. فبنية الرواية جمالية هي تعبير عن أن الهوية هي راحلة باستمرار وأن لا هوية جامدة أو كاملة أو صافية، جميع الهويات في تشكل وتشاكل مستمر.

تقدم الرواية من خلال استحضار المكان الأمازيغي الذي هو قريتا «أربوز» و«أميزور» مكانا مؤسسا ومؤثثا بالتاريخ والمقاومة ضد الاستعمار وضد المسخ الهوياتي، من دون السقوط في التعصب أو «الغيتو» القاتل للتنوع والاختلاف الذي تدافع عنه الرواية بشكل سردي من خلال شخصيات وأحداث يتقاطع فيها التاريخي بالأسطوري بدون أن ينفصل عن الواقع المرير لجيل تأسيس الجزائر المستقلة. تأسيس غير كامل، يحتاج إلى كثير من الوعي لبناء دولة جديدة كاملة وعصرية.

تقدم لنا رواية «نيرفانا» الشخصية المركزية وهو الشاب أنزار، وأنزار هو إله المطر عند الأمازيغ، أخا من الرضاعة للحمار أزمور، حيث يرضع كلاهما من نفس ضرع المعزة بعد أن جف ضرع الأم عند الأول وماتت الأتانة الأم عند الثاني، لتتشكل بينهما صداقة ومحبة غريبة. فأزمور الحمار يملأ فضاء أكثر من فضاء حيوان السخرة العادية، إنه أحد أفراد الأسرة، وهو حيوان ذكي، انطلاقا من ذلك فالرواية وبشكل يجعلها استثنائية في الرواية العربية تحتفي بالحيوانات بشكل واضح، وتجعل الحياة سعيدة وسوية ونافعة وإنسانية في فضاء يلتقي فيه الإنسان مع الحيوان.

يكتب أمين الزاوي: «هكذا كان أزمور، حمار جدتي! الذي كبر معي! أنا وهو أخوان من الرضاعة، نعم أخوان رضعنا من أم واحدة، فقد ماتت الأتان أم أزمور بعد الولادة مباشرة فأخذته جدتي بالعناية وتولت تربيته ورضاعته الاصطناعية من حليب معزة إسبانية تدرُّ حليبا كثيرا، وهي المعزة نفسها التي رضعتُ منها أنا أيضا، فقد حملتْ أمي مبكرا بعد أقل من شهرين من ولادتي بأخي الأصغر مصطفاي أو مُول كما كنا نسميه فجف ثدياها مما اضطرها إلى إرضاعي من المعزة نفسها التي كان يرضع منها الحمار أزمور، كنت أجري خلف المعزة فأرضع مباشرة من ضرعها وأنافس في ذلك جديّيْها الصغيرين، أما أزمور فكان عاقلا ينتظر جدتي كي تملأ له رضّاعة اصطناعية وتمسكه بين فخذيها وترضعه ذاك السائل الأبيض السحري».

«نيرفانا» نص عامر بحضور الحمام والكلاب والخيول والنحل والأفاعي وهي جميعها حيوانات صديقة للإنسان في فضائه الاجتماعي والتاريخي والسيكولوجي أيضا، وهي في الوقت نفسه تأخذ ابعادا أسطورية (الأفعى والحمام). ويبدو أن الحيوان أكثر صداقة من الإنسان وأكثر وفاء في كثير من مفاصل الحياة، فالوحشية ليست قرينة بالحيوان بل هي لصيقة بالإنسان وربما بشكل أشرس وبصور همجية دلت عليها الحروب وأشكال العنف والعبودية والتوحش الرأسمالي:

«العمل مع الكلاب أفضل منه مع بني البشر، الكلاب وفية ومحترمة ونظيفة والإنسان لا يوثق جانبه بعض ويوسخ ويخون. استملح أنزار العيش مع الكلاب حتى أصبح صباح ذات يوم ينبح مثلهم، وأضحى يمشي على أربع بينهم، بل مرات كان يفضل أن يأكل مما يأكلون وفيما يأكلون، من الصحون نفسها، وكانت الكلاب أيضا سعيدة بوجوده حتى إنها أصبحت تعده واحدا منها، وكان الذكور من الكلاب يخشون أن تسقط الإناث الكلبات الجميلات في عشقه فيلذْنَ منه جِراءً تشبه بني الإنسان في خلقته القبيحة وأخلاقه السيئة، ففي عيون الكلاب الإنسان هو السلالة الأكثر بؤسا وخيانة من مخلوقات الله جميعها، فهو عنيف وشرس وعنصري وذباح وقتّال وصياد ويحب الحروب».

والرواية تقارب العالم من خلال التركيز أيضا على معنى فلسفة «المرة الأولى» أو «التجربة الأولى» التي يمر بها الإنسان في حياته فتظل عالقة في عقله وفي خلايا جسده، فالعقل والجسد يحملان ذاكرة لا يمكنها أن تنسى «المرة الأولى»، كالعلاقة الجنسية الأولى مع فريد آيت عمران، كركوب ظهر الحمار للمرة الأولى، تدخين أول سيجارة، شرب أول كأس نبيذ، ركوب البحر لأول مرة، السفر خارج البيت أول مرة، المشي حافيا على تراب ساخن أول مرة، مشاهدة الميت أول مرة... هي لحظات ترافق الإنسان طول حياته، بل تصبح مقياسا لجميع التجارب اللاحقة التي تشبهها. من هذا المنطلق فالرواية قراءة داخلية سيكولوجية للفرد في تركيبته التاريخية من خلال تجربته الفردية.

و«نيرفانا» نص يتشكل كنشيد احترام الطبيعة التي تتعرض يوما بعد يوم لوحشية الإنسان المأخوذ بالرأسمال الهمجي، كل ذلك من خلال تتبع تشكل قرية أبوز التي تبدأ بنزول شخص فيها، هاربا من ظلم قابض الضرائب العثماني الذي يريد أن يصادر أخته الصغرى بديلا عن قيمة الضريبة المفروضة. وهي مكان خلاء حتى تصبح قرية للتهريب والملاحقات الاستعمارية والوعي الوطني من خلال العم سليمان المتأثر بالحبيب بورقيبة وبالزعيم الريفي عبد الكريم الخطابي والآب الخائن المتردد المتعاون مع الاستعمار.

وأنت تقرأ رواية «نيرفانا» ومن خلال احتفالها بالموسيقى تشعر وكأن الكتابة بالكلمات لا يمكنها أن تأخذ إيقاعا جميلا إلا إذا كانت على إيقاع موسيقى ما، فالحكاية التي تؤثث الرواية تروى بطريقة تعرف سر السرد العجائبي الذي يشكل تجربة عميقة في ذواتنا. فطريقة السرد نفسها على إيقاع موسيقى «ماشاهو» هي انتماء هوياتي للثقافة الأمازيغية، في لغة عربية تستقي شعريتها من خصوصية مغاربية تتعامل مع العربية بطريقة خاصة في انتقاء الكلمات وبناء الجملة وتركيب الفقرة وهندسة عمارة النص الروائي بالكامل.

«نيرفانا» تُقرأ بكثير من المتعة، من دون انتفاخ لغوي ولا بداية نصية، بل إننا نشعر باقتصاد في الكلام الذي بموجبه يسمح الروائي للقارئ بمشاركته توقعات أخرى، أي الفراغات التي يتركها الروائي قصدا (بياض النص) يملأها القارئ بتوقعاته التي من خلالها يرسم آفاقا جديدة للنص، وذلك ما نسميه توريط القارئ في كتابة الرواية في الرواية.

و«نيرفانا» هي في النهاية رواية عن الحرية الفردية والجماعية، عن قرية تبحث من خلال العم سليمان عن الحرية الجماعية، ومن خلال أنزار في علاقته مع فريدة هناك بحث عن الحرية الفردية، إذ لا حرية فردية في غياب الحرية الجماعية والعكس صحيح. لذا نرى أن شخصية نزار تريد أن تكون على شاكلة العم سليمان، فالحرية التي يتمتع بها لا يمكنها أن تأخذ بعدها الكامل إلا إذا أصبحت جماعية في ظل توازن هوياتي يجعلنا نؤمن بالتعددية والاختلاف ومناهضة الغيتو والتعصب.

أمين الزاوي: «نيرفانا»
منشورات ضفاف، بيروت 2021
294 صفحة.

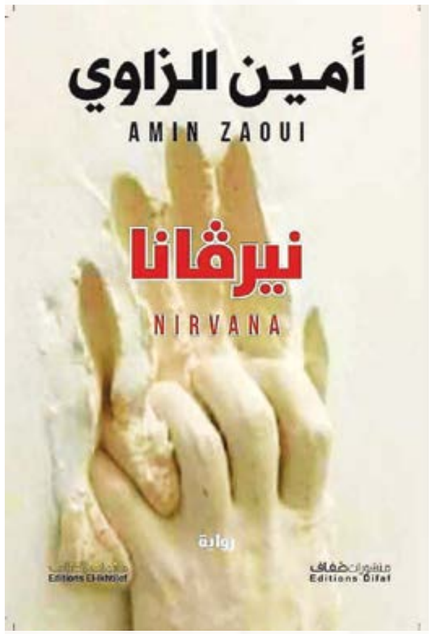

فواز قادري: «آيات الحبّ العظمى»

«وعول الدم» كانت المجموعة الأولى، 1992، للشاعر السوري فواز قادري، وسيُصدر بعدها 12 مجموعة؛ بينها «بصمات جديدة لأصابع المطر»، «نهر بضعة واحدة»، «لم تأت الطيور كما وعدتك»، «قيامة الدم السوري»، «مزامير العشق والثورة»، و«شرفات». والشاعر فراتيّ، ابن مدينة دير الزور، تسكنه مجازات النهر الرمزية والأسطورية والبصرية؛ كما باتت تسكنه الانتفاضة الشعبية السورية منذ انطلاقتها في آذار (مارس) 2011، فكرّس لها العديد من المجموعات. اختار شكل قصيدة النثر «كونها الأكثر قدرة واستيعاباً لتطورات الحياة. صارت خياري الإبداعي مبكراً»، كما يقول.

هنا قصيدة «آية التحوّل»:

«لا تحزني وأنت تكتشفين في رأسكِ
الشعرة البيضاء الأولى
خاتمة الحب ليست قبلة وداع عجوزين
لا نهاية للحب
لا يهرم ولا يشيخ ولا يتيه في النسيان
يتحوّل وقد يأخذ شكل فتى طائش
أو حكمة شيخ وقور
انتظري أن يكبر في قلبك ويتجدد
يفيق في الصباح يتذكّرنا ويبتسم
يغسل وجهه ويفطر ويذهب إلى المدرسة
يتعلم كيف يحتال للهروب من حصص الدرس
يتعود حين يستفيق كيف يغنّي دون أن تطلبي منه ذلك
يسهر كالعشاق إلى آخر الليل
يدوّن عدد القبل والعناقات المتبادلة بيننا
يكون حكيماً وقوياً من جديد
يتعلم ويعلّم وينفض الغبار عن الذكريات
يدهن ويلمّع قلوب الناس بزيته الخالد
يولد ويحبو يشبّ وينضج في يوم واحد
ويستوي على عرش الخلود المطلق».

دار الدراويش، بلوفديف (بلغاريا) 2020

عبد الفتاح كيليطو: «والله إنّ هذه الحكاية لحكايتي»

من جديد يعود الكاتب والمفكّر والناقد المغربي عبد الفتاح كيليطو إلى السرد، في رواية بعنوان «والله إنّ هذه الحكاية لحكايتي»، تعيد التذكير بروايته «أنبئوني بالرؤيا»، التي صدرت بالفرنسية أولاً سنة 2010 وتُرجمت بعدئذ إلى العربية. الرواية الجديدة تسير عناوين فصولها هكذا: «نورا على السطح»، «أبو حيَّان التوحيدي»، «قَدَر المفاتيح»، «هي أنت، وليست أنتِ»، و«خطأ القاضي ابن خلّكان». ويشير الناشر إلى أنّ الرواية تبدأ بحدث غريب، كأنه تسلّل من كتاب، وهو طيران نورا مع ولدَيْها، بعد ارتدائها لمعطف الريش، وانتظارها لزوجها حسن ميرو حتى يستيقظ لتودّعَه. ثلاثُ الأمِّ بكشف سرّ مكان المعطف، عن سذاجة أو قصد لتصرّفها ذاك، بينما تتداخل الحكاية بتوالي الصفحات مع قصة حسن البصري، وما حدث له مع الجنيّة التي تُيِّمَ بها، وسرق لها ثوب الرّيش أو بالأحرى جناحَيْها بعد أن خلعتهما وغطست في البحيرة لتستحمّ. يبدو المشهد المتشابه بين الواقع والمرويِّة متداخلاً، غامضاً، يتكرر في أكثر من قصة واحدة، تماماً كتلك القصص غير المكشوفة التي تظلّ قابلة للتغيير.

ومثلما يتسلّل الأدب إلى العلاقة بين الرسّامة نورا وحسن ميرو وهو يشتغل على أطروحة دكتوراه موضوعها أبو حيَّان التوحيدي وكتبه المفقودة أو غير المقروءة؛ تتسلّل، عبر مرجعية كيليطو الفلسفية والفكرية كتبٌ وأسماء وحكايات تتقاطع مع التراث وتستعيد الجاحظ والتوحيدي وألف ليلة وليلة وغيرها، وتحيل القارئ إلى أسئلة وجودية، إبداعية وإنسانية، تبدأ بتحذير مُلغَّم: «لا تفتح هذا الباب، أمنعك من ذلك مع علمي أنك ستفتحه».

هنا فقرات من مستهلّ الرواية:

«يحدث هذا، مرّة أخرى، في بيت والدَيّ: ساحة مربَّعة، مفتوحة على السماء.

وبالضبط، توجد نورا، زوجة حسن، في الأعلى، على السطح، وقد ارتدت ثوبها من الريش. في ذراعَيْها طفلان نائمان، غُمُر أحدهما سنة، والآخر سنتان. إنها تنتظر منذ الفجر أن يستيقظ حسن.

يُفتح باب الحجرة أخيراً ويظهر. يتثاءب ويمدّد يدَيْه بارتياح، ثمَّ يرفع عينَيْه وحين يُبصر نورا، يعلم فوراً أن كلّ شيء قد ضاع، وأنها سترحل عنه، وليس بإمكانه إيقافها.

قالت: لم أكن أودُّ الذهاب قبل توديعكَ.

ومباشرة، بعد ذلك، طارت وحلّقت بعض الوقت فوق البيت، ثمَّ اختفت.

صرخ حسن، ففتحت أمّه باب حجرتها: ماذا حدث؟

ـ لقد ذهبتْ، وأنتِ السبب. لماذا ذكرتِ لها أين خبّأتُ معطف الريش».

المتوسط، ميلانو 2021

Abbas Baydoun: «Un billet pour deux»
Traduite par Nathalie Bontemps

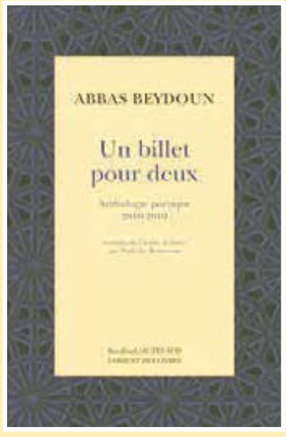

هذه مختارات من قصائد كتبها الشاعر اللبناني عباس بيضون خلال الفترة بين 2010 و2019، وظهرت بالعربية في مجموعات «بطاقة لشخصين»، «صلاة لبدايات الصقيع»، «ميتافيزيقا الثعلب»، «والجداد لا يحمل تاجاً». ويشير الناشر إلى أنّ هذه القصائد تعكس سلسلة من الظروف القاسية التي مرّ بها الشاعر، مثل وفاة صديقه الشاعر اللبناني بسام حجار، وشقيقة الشاعر، وتعرُّض بيضون نفسه لحادث أبقاه في غيبوبة بعض الوقت. وبعد أن كرّس خمس سنوات للرواية وللسيرة الذاتية، يعود بيضون إلى الشعر لتأكيد مكانته بين كبار الشعراء العرب المعاصرين.

وبيضون ولد في صور سنة 1945، وهو روائي وناقد أدبي ومحرر صفحات ثقافية في دوريات لبنانية عديدة، وقد أصدر 15 مجموعة شعرية، أولاها كانت «صور»، 1985، أعقبتها مجموعات «خلاء هذا القدح»، «حجرات»، «أشقاء ندمنا»، «لربض هو الأمل»، «لُغط في البرد»، «شجرة تشبه حطاباً»، وسواها.

هنا قصيدة «ألم بأرخص طريقة»:

«تنظف أسناناً غير موجودة
لكن لا تعرف أنك غيرك
أنك هذا المار بالصدفة
ولا تحتاج طبعاً الى بطاقة أو اسم
يمكن أن تختار اسماً لهذه الليلة
وترد رأسك المعار غداً

لقد صنعنا أطفالاً لن يكترثوا بنا
ولن يحملوا بالطبع أسماءنا
سيستعيروننا فقط
قبل أن يفسدوا عظامنا

ابك، يوجد ألم حقيقي
لا يُصنَع الألم لأنه نظيف
ولا آلة لصناعته
الألم بأرخص طريقة
معروض على الطرقات
لكن أيضاً في المتاحف
ستنتقل من شاشة الى شاشة
وتتلقى الحياة في علب وتقارير

نحن أحرار فقط حين ننام
للحب ورقة
للسأم صفحة خاصة

سيفكر ساقك
ويتكلم عوضك
ركبتك محطة وكذلك قلبك
وأنت تسافر في نفسك
ستمضي شهراً في أذنك
وتقيم في فمك
وبالرسائل تطوف العالم
ستكون أحياناً جرذاً
وقد تحلم بك امرأة
هذا يحتاج الى سحر
لكن الرعد وحده حقيقي
الأشجار يمكن صناعتها بالقلم
العشب قد يطلع من الأغاني
الألم حقيقي
وستتعذب،
حين يصل وجهك من المختبر
أو تتلقى حياتك في رسالة».

Sindbad/ Actes Sud, Paris 2021

رأي

كاريكاتير: محمد سباعنة

تفاصيل الكتابة

أمير تاج السر

أظن أن جميعنا نتفق، أن الأدب عموماً، واحد من أفضل مرايا الواقع، يعكسه بتأنٍ، وصبر، ويستخرج منه تفاصيل قطعاً موجودة، لكن ربما لا ينتبه إليها الناس العاديون في سيرهم الحياتي اليومي، وفقط ينتبه أديب أو كاتب، عوّد عينه على الالتقاط، وخياله على إضافة شيء مهما كان غريبا، لكن يكون دائما متقبلا وسلسا في السياق الكتابي.

وذكرت مرارا أن كتابة الواقع كما هو للناظر العادي، لا تضيف شيئا، فأنت مثلا حين ترى امرأة تبيع الشاي في الشارع، تكتفي بمنظرها وهي جالسة على ذلك الكرسي القصير، أمامها عدة الشاي والقهوة، وترى يديها تتحركان هنا وهناك، لتوزيع سلعتها. لكن الكاتب يرى دموعها التي تسقط من الحزن، يرى تعبها الذي يهيمن على مشهد الحياة عندها، وقد يرى أطفالا جائعين ينتظرون في بيت متداع في زقاق ما، من أزقة المدينة القاسية، وتفاصيل أخرى، لن ينتبه أو يفكر فيها، شخص جلس قبالتها، وطلب كوبا من الشاي، سيقدم له مع ابتسامة حزينة، هو لن يعرف حزنها.

أظن الكتابة تصنع هكذا، أو على الأقل هذا ما أظنه وأتوقعه من الأدباء عموما، وكلما أمسكت برواية لأقرأها، أمسك ذهني بالتفاصيل المطلوبة، إن عثر عليها، يستمر في تقليب الكتاب وإن لم يعثر، غادر، وفي تلك الحالة، أتنازل كليا عن القراءة.

بعض القراء، قد يجدون تفاصيل الكتابة مملة، ويودون لو يقفزوا عبر الصفحات، ليستعيدوا الحكاية التي قد تكون انقطعت بوصف مكان ما، أو زمان ما، أو وضع إنساني لن يتركه الكاتب من دون أن يتعمق فيه قليلا. وهذا النوع من القراء هم الأغلب، قراء باحثين عن الحكاية المتسلسلة، وغير مهتمين باحتضان زواياها المختلفة، وعندهم الرواية أو القصة، هي بداية ووسط ونهاية، أي حدث يندلع، ينمو إلى الذروة، ثم يتداعى، وأظن أن الكتابة التجريبية، لا تبهرهم، والإغراق في الخيال، لا يزيدهم إلا مللا.

أنا لست ضد أن يتذوق أحدهم الكلاسيكيات فقط، ولا يود مغادرتها، فقط المطلوب هنا هو أن تجرب ما ليس مألوفا، وإن أعجبك تستمر في تتبعه، وإن لم يعجبك، تبتعد. ولا داع أبدا أن يتتبع متذوق للأدب العادي المألوف كاتبا ليس من كتابه المفضلين، ولا يمت لمدرسة تذوقه بصلة، ويكتب في كل مرة ذما لما يكتبه.

من الذين يكتبون تفاصيل مهمة، ومطعمة للحكاية، وليست مملة في رأيي، التركي أورهان باموق، إنه كاتب واقعي صرف، أي أن مدينته التي يكتبها هي المدينة التركية التي نعرفها، وغالبا اسطنبول، والشوارع هي الشوارع الموجودة فيها، وكذا البيوت والأسواق. لكن تفاصيله عظيمة تمكنك من رؤية كل شيء، من التفاعل مع كل شيء، من التعاطف بلا خيارات أخرى إن كانت ثمة حالات تدعو للتعاطف، وكره الأشياء التي قد يكرهها أبطال العمل الذي تقرأه. وتقف روايته «ثلج» في مقدمة أعماله التي يمكن الرجوع إليها وتذوق ما بداخلها في أي وقت، وكان المترجم السوري الراحل عبد القادر عبدللي، قد نقلها للعربية، ونقل روايات تركية أخرى كثيرة لباموق وغيره، ولأنه كان يترجم من التركية مباشرة، من دون لغة وسيطة، كانت ترجماته مذهلة.

أيضا كتابة التفاصيل تبدو مبهرة في كتابة اللاتينيين والإسبان، أي الأدب المكتوب بالإسبانية عموما، ولن آتي على ذكر كتابة ماركيز معلمي الأول لأنني ذكرتها كثيرا، وإنما أتحدث عن واحدة مثل إيزابيل أليندي، التي تكتب بعمق وكلاسيكية، وتجرب أيضا في بعض أعمالها، إنها كاتبة مهمة في السياق المضني للكتابة، منحت أجيالا مختلفة، كثيرا من الإلهام، وما تزال تمنح. والقارئ لرواية مثل «باولا»، أو «إبنة الحظ» مثلا، لن يكتفي بما قرأه، وسيطارد التجربة ليتعمق فيها. هذا رأيي الشخصي على الأقل، وكما قلت، هناك من له رأي آخر، ولا مشكلة في ذلك.

وفي هذا السياق، أي السياق المضني للكتابة، سيصادفك إن سرت فيه كثيرون بعضهم انتشر بشدة مثل موراكامي وزافون وبعضهم نجح إلى حد ما في الوصول لقراء كثيرين لكن لم يصبح ظاهرة، مثل الألمانية هيرتا مولر، وبعضهم ما زال تحت الاكتشاف، يقرأه البعض بينما البعض الآخر لا يدرون عنه شيئا. وقطعا الحائز الأخير على جائزة نوبل عبد الرزاق قرنه من الذين ينقب العالم الآن عن أدبهم بحثا عما لا يعرفونه، قد يكون الفضول وراء ذلك، وقد يكون متعة الاكتشاف التي كانت وراء كل فعل ناضج.

الأدب العالمي بلا شك له قراء كثيرون بالعربية، وأخشى أن قراءه يتفوقون على قراء الأدب المكتوب بهذه اللغة الرائعة التي لا تجد أنصارا كثرا في العالم مع الأسف. والمتابع للأدب العربي قد يجد ما يبحث عنه، لكن كيف يقتنع أولا؟

لقد تحدثت إلى مئات الناس إما مباشرة أو عبر وسائط التواصل، سألت عن آرائهم في تذوق آداب بلدانهم، وصدمت كثيرا أن بعض الناشئين من الجيل الجديد، من الذين يحبون الأدب، لا يقرأون بالعربية، وإنما باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، بحسب ثقافتهم. وهذا من مشاكل انتشار التعليم الأجنبي في بلادنا العربية، وكلنا مسؤولون عن ذلك، أي أننا حرصنا على أن يتعلم أبناؤنا في مدارس لا تشبه ثقافتنا، من أجل مستقبل وظيفي أمن بحسب ما نرى، وبحسب ما يرصف لنا واقع أسواق العمل الآن، وكم كنت مندهشا حين قال لي أحدهم مرة، أنه يبحث عن رواية لي باللغة الإنجليزية، لأنه لا يستطيع قراءتها باللغة العربية.

أردت القول أن الأدب العربي له خصوصيته، وأفعاله الشيطانية أيضا، وتفاصيل لا يعرفها الأدب العالمي، ستستمتع وتحس بالامتنان للغتك حين تقرأ نصا لها حسن وسوسن حسن ووحيد الطويلة وأدهم العبودي وعبد الوهاب الحمادي، وكتاب المغرب العربي مثل عبد الكريم جويطي وسمير قسيمي على سبيل المثال. إنها نصوص شيقة، وعامرة بالذكاء الكتابي، وتعرف كيف تشد المتذوق الأصيل.

كاتب من السودان

تظاهرات في غلاسكو مع مؤتمر كوب26

تستعدّ مدينة غلاسكو الاسكتلندية لاستقبال قادة من حول العالم بمناسبة انعقاد مؤتمر الأطراف «كوب26» الحاسم لتحديد مصير كوكب الأرض فيما تتوالى تظاهرات الناشطين المدافعين عن المناخ.

وأطلق ناشطون أمريكيون قنابل دخانية لتوجيه رسالة إلى أكثر من مئة رئيس دولة وحكومة ينتظر حضورهم للمشاركة في «كوب 26» اعتبارًا من اليوم الأحد.

وتزداد الاحتجاجات مع وصول المندوبين الذين يحضرون المؤتمر في غلاسكو على وقع السعي إلى العودة إلى الحياة الطبيعية بعد الإغلاق الذي فُرض بسبب وباء كوفيد-19.

وستشكل ساحة جورج سكوير وسط غلاسكو في الأسبوعين المقبلين ملتقى لناشطي المناخ الذي قد يصل عددهم إلى مئة ألف في تظاهرة حاشدة في 5 تشرين الثاني/نوفمبر بحسب تقديرات المنظمين.

أدب وفنون

«الثلوجُ أكثر خداعاً في غابات التَّنُّوب»

مسارات سرد مشحونة

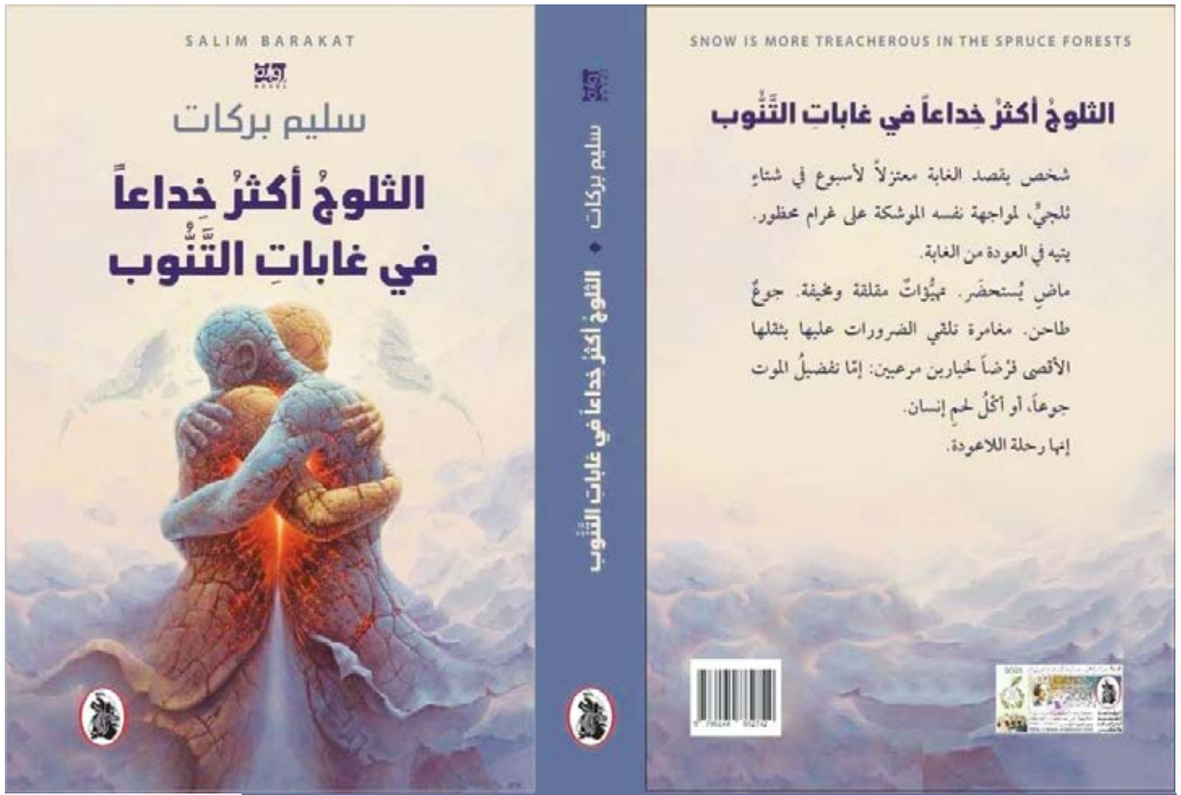

تصدر قريباً رواية للشاعر والروائي السوري سليم بركات بعنوان «الثلوجُ أكثر خداعاً في غابات التَّنُّوب»، عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، في 300 صفحة. لافت أنّ هذا العمل يمكن اعتباره من أصناف روايات الرعب أو القريبة منها، بلا إشارة تتعمد صدمة التخويف، لأنّ مسار الحكاية مشحون بالوصف المسهب للوقائع المتلاحمة، من غير مبالغة في كلمات التهويل أو المفاجآت المقتحمة التي تتعمدها رواية الرعب عادةً لإحداث ردود فعل فورية في دماغ القارئ.

شاب يُدعى لوشا في الثلاثين من عمره، يواجه محنة في علاقته بصديقته حين ينحاز قلبه مع الوقت إلى صديقة مشتركة لهما. يهرب من مواجهة نفسه إلى عزلة في الغابة لأسبوع، في وقت شتوي مُثلج ليس للنزهات أو التخييم أو التجوال، كما يفعل بعض زوار الغابة عادةً في الصيف. وحين ينتهي أسبوع عزلته في ملجأ صغير بدائي الصُّنع، ويستنفد ما معه من طعام يحاول العودة إلى بلدته، لكنه لا يهتدي إلى طريق الخروج من الغابة. هنا تبدأ رحلة الجوع والبرد أياماً بعد أيام مليئة بالهواجس والوساوس حتى الهذيان. ضياعٌ ملعون تتهيأ فيه للشاب مواقف مجنونة، وحالات أشبه برحلة في الجحيم، لكن الجحيم هنا هو العاصفة والثلج والجوع والوحشة.

الرواية مبنية على شخصية واحدة تستحضر في متاهتها ثلاث شخصيات أخرى: صديقة الشاب، وزوجان تتكشف بين السطور علاقة زواجهما الغريبة، لأنهما شقيقان توأمان. وعلى طول الرواية هناك شبحٌ فارس مغولي يتبع الشابَّ الثائه آثار جواده كأنه لجوء من العزلة المدمرة إلى وهمٍ يصنع رفقة. أشخاص آخرون هامشيون جداً يلتقون بالشاب في الغابة، عابرين كأحلام يقظة ضحلة.

جاء في التعريف بالرواية على غلافها الخلفي: «شخص يقصد الغابة معتزلاً لأسبوع في شتاء ثلجيّ لمواجهة نفسه الموشكة على غرام محظور يتيه في العودة من الغابة ماضٍ يُستحضر. تهيُّؤات مُقلقة ومخيفة. جوعٌ طاحن. مغامرة تلقي الضرورات عليها بثقلها الأقصى فرْضاً لخيارين مرعبين: إمّا تفضيلُ الموت جوعاً، أو أكْلُ لحمِ إنسان. إنها رحلة اللاعودة».

كل شيء في وقائع هذه الرواية يقود إلى رعب يجري خافتاً تحت طبقة مشاهدها، في التفاصيل الكثيرة القلقة المعدَّية المتوقدة بخيال قوي في رسم خريطة للمتاهة المُغلقة، حتى النهاية الصاعقة التي تلخصها سطور قليلة ينبغي للقارئ أن ينتهيا لها. ربما تقول هذه الرواية، في رمزية مضمونها، إن الضرورات قد تدفع بالإنسان إلى ما لا يعرف أنه قادر على فعله أو الإقدام عليه حتى لو كان فعلُه رهيباً مرعباً.

وقد خصّ بركات «القدس العربي الأسبوعي» بهذه الأجواء من روايته الجديدة:

1ـ

خوفُ لوشا من الموت، في مجاعته، قرّب إلى لسانِ خياله عناصرَ لن يستثني مذاقُها عقلٌ جائع مثله. مباحٌ كلُّ شيء يَستخلص منه المُضِعُ غذاءً مستساغاً، أو غير مستساغ طعْماً.

برَّر عقلُ لوشا ما لم يبرِّره قلبُه:

ذكّر عقلُ لوشا قلبَه بوقائعَ التهم فيها بشرٌ لحمَ بشر فقدوا في البراري حتى أشرفوا على ألَموت، فانصاعوا لغرائز البقاء.

ذكّر عقلُ لوشا قلبَه بالتهام بشرٍ لحومَ بشر تاهوا في الصحارى، بعد استنفاد ماكولهم.

ذكّر عقلُ لوشا قلبَه بوقائع سفن علقت في الجليد، أو تاهت في البحار العاصفة، فالتهم راكبوها بعضُهم بعضاً، مقترعين على مَن يُضحَّى به منهم ليؤكل.

ذكّر عقلُ لوشا قلبَه بعمالِ انهار منجمهم، وانسدَّ عليهم، فاضطروا إلى أكل موتاهم بعد خمسين يوماً جوعاً.

كان أكلُ إنسانٍ لحمَ إنسان، من تشريع الجوع الذي بلاَ مَخرج منّه، أو نجاة، اضطراراً لم يتفادَه الجائعُون على قُرب مَن الموت جوعاً. لكنْ أباح بشرٌ آخرون، من غير جوع، أن يتذوَّقوا لحومَ جنسهم البشريِّ في استثناءاتٍ يحفظُها تاريخُ العقل:

قبائلُ أكلتْ لحومَ موتاها. إنها فكرةُ الاغتذاء بالقَرابات عَوْداً بهم إلى الحياة في جسوم الأقارب الذين أكلوهم، وفاءً وولاءً.

بعضُ المنتصرين في الحروب تذوَّقوا لحومَ أعدائهم، ليس من جوع، بل تمجيداً للغَلَبة، أو حجباً لعودة أرواح الأعداء إلى الحياة بإفنائهم مأكولين.

طالبو انتقام ظفروا بالمطلوبين فلاكوا أكبادَهم حقداً وحنقاً، وغيظاً، تشفِّياً بهم.

بعضُ البشر نَسَبوا إلى لحم الإنسان مذاقاً لا يشبهه مذاقٌ أيّ لحم، وزعموا أنّ أكله يُطيل الأعمار.

2ـ

لكل قبيلة من الأشباح مقاطعةٌ أو إقليم. كبرى القبائل سُكناها المناطق الأكثر إيغالاً في أعماق الغابات ـ المناطق العذراء المعتمة، اللامعسوسة. وتنتظم العلاقة بين أقاليم الأشباح هدناتٌ، ومواثيق، وعقود بعدم الاعتداء، أو التوسع من مقاطعاتها الحصرية إلى أملاك القبائل الأخريات.

للأشباح المسيطرين في الغابات بهائمهم، وعبيدُهم الذين هم، عادةً، أرواح مبتدئة النزوح من كون الأحياء إلى الكونِ الموازي. وهؤلاء العبيد يُعْتَقون أحراراً، فيما بعد، حين بلوغهم أعمار الأشباح الناضجين.

الأشباح، الذين يظهرون في المناطق المتاخمة لعُمْران الأحياء، مُدْنِهم وقراهم، هم «الناجون». الهاربون من احتياج تنكيل بأقاليمهم من نقض بعض القبائلَ للمواثيق، ناجِيْنَ بأنفسهم من سَبي يصيِّرهم عبيداً، ولربما ساقوا معهم، فيَ القرار، بهائمهم من الأحصنة، والغزلان، والثعالب، والذئاب، والدببة، والخنازير، والوعول.

الأشباح «الناجون» هؤلاء مريرو الطباع من فقْد الخسارة بهم. يظهرون أحياناً للبشر الأحياء المخيِّمين في الغابات فيذعرونهم، ويخْلبون قلوبهم هلعاً. أما القبائل المنتصرة على قبائل أخريات، فتترك في بعض ممرات الغابة أياثلَ مشتعلةَ القرون زُلْفى منهم لمبتدع كونهم. ويزعم بعضُ المدوِّنات، الموضوعة حديثاً في الأرجح، أن للأشباح سككَ قطارات تصل غاباتٍ بأخرى، تحت جُسور بناها الإنسان. وقد تفرَّع عن هذا الزعم، بالطبع، منطقٌ رابط بين وجود سكك قطارات للأشباح وبين امتلاكهم آلاتٍ للبناء، ومهندسين، وعمالٍ باختصاصٍ في المخترَعات الآلية.

«الأكوان المتوازية»، المُفترضة، تشتمل ـ بسعة المصطلح المستند في القياس إلى نشوء الوجود الظاهر والخفيّ ـ عوالمَ بشرية في كواكب منفصلة، تجري في المدار ذاته بلا تماسٍّ، من غير أن يعلم قاطنو أولئك الكواكب بوجود سواهم على كواكب أُخَرَ في ذلك المدار.

هُم متقاربون بأكوانهم، متباعدون في معرفة الأمر. «والأكوان المتوازية»، التي يُجاوز مصطلحُها في تخيُّل النشوء عوالمَ البشر المتجاورين في كواكب ظاهرة وخفية، وعوالمَ الأشباح المجاورةَ عوالمَ الأحياء الإنسيين، قد تُعمِّم ـ كنسق وجود ـ على الحيوان، فتنبثق من ذلك تخيلات وتفسيرات لعوالم هذه الكائنات الوحشية والأليفة أيضاً.

3ـ

هل اتَّخذت ملَّةٌ من ملَل الأديان، أو طائفةٌ سريَّةٌ، أو مَجْمَعٌ من مجامع الإيمان بحقائق الشكل كخلاص، أوراقَ شجر التنوب الإبريّة رمزاً مثلّما اتخذوا أوراقَ القيْقب، والعنب، والكزبرة، والسَّحْلبية، والزيزفون، والسوسن، والورد، والروان الجبلي، والسرخس، والزعرور؟

لا شيء يشبه ورق التنوب في محافل الرموز سوى الحروف المسنَّنات في اللغة المسمارية حفظتْها الألواحُ الطينَ من هرطقة البلى، وتولَّى خَزَنَةُ المآثر الإنسانية إيواءَها في المتاحف، كحقائق من شؤون التاريخ أيَّدتْها سجلاتُ التجارة، وأعمال الملوك، وأقاصيص الخلْق مدوَّنةً بحروفها الغامضة.

قُدِّرَ للمجتهدين في توثيق سيَر اللغات ولادةً، وسيطرةً، واندثاراً أيضاً، أن ينقّبوا عن تاريخ ظهور هذه اللغة، وتداوُلها في ممالك العصور الخوالي، واستثْارها بالغَلَبة في المخاطبات والمراسلات، والتدوين. لكنْ لم تُشِرِ الكشوف إلى الأصل المستوحى في رسم الحروف المسمارية على مثالها. اللغاتُ التصويرية القديمة كانت من حروفٍ محاكاةٍ لهيئات طيور، وآلات، وزواحفَ، وأعضاءٍ بشرية. فعلى أيّ مثالٍ في الشكل كانت الحروف المسمارية؟ أحاكتْ أشكال المسامير بإحالة المسامير إلى رموز من مرموزات الوَصْل، والتثبيت، والربط الصارم لا فكاك عنه؟ ربما هي هكذا، حروفٌ أدامت تثبيت المعاني للكلمات كتثبيت الألواح في بناءِ منزل، أو عربة، أو سفينة. وقد تسلَّل المسمارُ ـ رمزُ المسماريَّة حَرْفاً ـ في الانحدار الأخير لسلطته لغةً، إلى منزلة من منازل الجلالة في الرموز المسيحية، كونه أداةَ تثبيت لجسد أبيها المخلِّص على خشب صليبه، إحقاقاً ملموساً صارماً لمعنى الفداء صلْباً.

أوراق التنُّوب الإبرية، التي حدَّق لوشا إلى هندستها النباتية ملياً قبل مضغها، كانت وحيَ الأصل في لغة الشكل المسماريّ، حتى لو لم يجزم تاريخ النبات بميلاد شجرتها في أرض من شرق الأساطير، وشرق العقل، وشرق العلوم، وشرق العُمران، وشرق الشرائع الأسس.

مضَغ لوشا وحيَ الحروف المسمارية ورقاً إبرياً أخضرَ، دائمَ الخضرة في الفصول كلها. لكأنّ الحروفَ الورق النباتيةَ. ابتلع العُصارة الغضة المرة، ولفظ من فمه النُّقل المضوغ.

4ـ

سالَ جسدُ لوشا في ساقية نعاسه مترقرقاً من خَدَر الجوع. أحلامٌ مُنْزَّةٌ حلّت على الغربال المزَّق الشبكة في قلبه: «أيها الرسامون»، تمتمت العضلةُ المتراخيةُ ـ عضلةُ لسان لوشا. «أرى صورَ المغول»، قال.

رسامون عُراةٌ يرسمون نماذجَ عراةٍ، لكْزاً بأعقاب الفَراشيِّ على خصورهم. ذلك ما تهيَّأ لعقلِ لوشا الغمامةِ فوق جسده السائل ماءً يجري في ساقية النعاس إلى بحيرة الجليد. كلُّ رسم إهانةٌ، أو انتقامٌ، أو تلفيق، أو استحضَارٌ لجريمة، أو جروحٌ، أو طمع، أو حرب، أو استكانة، أو توبيخ، أو سرقة، أو تحريض، أو تملُّق، أو إطراء، أو وعيد، أو هزيمة، أو انتحار، أو عضٌّ، أو ارتهانٌ، أو مقامرة روحية، أو سلب، أو ترويض، أو عجزٌ، أو رتابة، أو موعد، أو صفاقة، أو غرورٌ، أو نحيبٌ، أو اعتراف، أو مؤامرة، أو نعاس، أو عويل،

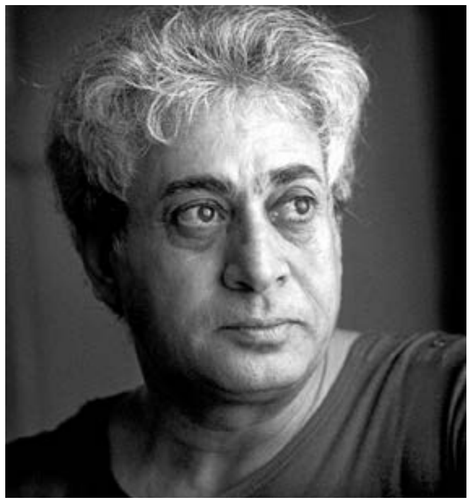

أو استجداءٌ، أو عناق، أو هدنة، أو تبكيتُ ضمير، أو غرق، أو سخرية، أو ترهيب، أو رجاء، أو إبهام، أو شكوى، أو دَلال، أو ترميم، أو نَقْبٌ، أو عداءٌ، أو غَزَل، أو نكبة، أو استغلال، أو عرفانٌ، أو مقايضة، أو إلهام، أو تنغيص، أو حقْد، أو وداعٌ، أو تكفير، أو غدرٌ، أو تجريح، أو إثراءٌ، أو إهمال، أو تسفيه، أو مساومة، أو التزام، أو تلاعُبٌ، أو ضراعة، أو فتنة، أو مداعبة، أو خيانة، أو استهتار، أو قطيعة، أو عناد، أو كهانةٌ، أو دستورٌ لونيٌّ.

كلُّ رسم إطراءٌ لروحٍ منتحرة.

5ـ

وضع لوشا قدحه جانباً على طرف سريره، فوق كيس النوم الفراش. ألقى نظرةً إلى كتاب «جرائم الرسّامين»، المستند مائلاً إلى وسادته الإسفنج المضغوط. تأمّل الغلاف الورقيَّ بالرسم عليه من لوحة بيتر روبنز «مجزرة الأبرياء». حدَّق ملياً إلى جلواز ضخم الهيئة يرفع طفلاً بيده عالياً ليدقَّ به الأرضَ، ثم حوَّل بصره إلى امرأة مرتدَّة إلى الخلف قليلاً تحمي طفلها بجنبها الأيسر، وتخمش بأظافر يدها اليمنى وجه رجل يهمُّ بإزاحتها لينتزع منها الطفل.

أشعل لوشا لفافة تبغ من غير إزاحة بصره عن الأم المدافعة عن وليدها. مع كلّ نفثة من دخان اللفافة اشتدَّ نازعُ التساؤل الموحش في قلبه: أستنجو الأمُّ بابنها، أم ستنهار جريحةً أو مقتولة؟ لا تكافؤ بين دفاع المرأة اليائس عن وليدها، وبين الإصرار الواضح من الجلْواز الجلَّاد أن ينجز المهمةَ المجزرة. الغَلَبةُ واضحة في تسمية الرسم: «مجزرة الأبرياء». إن اقتدرت الأمهاتُ على الميل بالقدَر إلى نجاة أولادهن لتناقصت حظوظُ تسمية اللوحة بـ «المجزرة»، واستبُدلت، ربما، بـ «نجاة الأبرياء». ذلك لم يحصل، ولن يحصل، حتى لو رَدَمَ لوشا الألوانَ بعضَها فوق بعض بمعول خياله في لوحة روبنز المؤسية، وأعادَ تشكيلَ الظلال سَكْباً في أقداح الأنوار، وبدَّل انتسابَ اللوحة إلى تاريخ دينيٍّ. إذْ ستعود الوقائعُ، في برهة من غفلة لوشا عن الزمن، إلى حدوثها على النحو ذاك تفصيلاً بتفصيل.

أحدَثُ ما ترويه اللوحةُ حقاً؟ ليس في استطاعة لوشا أن يُقدِّر حدوثَ الوقائع في التاريخ الديني كما سُردت. ليس له أن ينفي أو يؤكد. لوحةُ روبنز انحازت إلى تدوين الدينيِّ لتاريخ الإيمان بثقة.

تحديقُ لوشا ـ المقتحمُ ظاهرَ الأشكال المرسومة بجسارة الألوان على الاحتفاظ بحقها في تكوين الأشكال ـ حادَ عن أسئلته تلك الإفتراضية، المُقْنعة ربما، إلى افتراض آخر يُقْنع قلبَه بالانحياز إلى تاريخ الخمشِ بالأظافر، كدفاع عن النفس، إن تعذَّر الدفاعُ بسلاح عن النفس.

ثبَّتَ لوشا بصره على يد المرأة اليمنى ناشبةً أظفارَها في وجه الرجل الجلَّاد. أزاح يدَها عن وجهِه بافتراض من اقتدار بصر العقل على توهُّم معقولٍ مقبول.

أزاحت المرأةُ يدها، في اللوحة، عن وجه الرجل. رأى لوشا الحزوزَ، في مواضع الخمش، متعرِّجةً نزولاً من صدغه الأيمن إلى ذقنه. حزوزٌ حُمر من انتزاع الأظافر الجلدَ. حزوزٌ أرضى عمقُها انحيازَ لوشا إلى المرأة المدافعة عن وليدها، وليس إلى تاريخ استأثر فيه الدينيُّ الغالبُ بالحقائق.

نهَض لوشا عن سريره. خرج من الملجأ. انحنى أرضاً. قوَّس أصابع يده في القفاز كمخالب. خمش الثلجَ على طول باب الملجأ خطوطاً متعرجة. استقامَ. رفع وجهه عالياً. فتح فمه يتلقَّف نثيثَ البياض مندلقاً من زِقّ السماء.

رواية جديدة من سليم بركات:

بالرعب والوقائع المتلاحمة

تحقيقات

نصف سكان أفغانستان يواجهون المجاعة ونقص الغذاء في بلد تكتنز أرضه ترليونات الدولارات من المعادن النفيسة

الدوحة – «القدس العربي»: سليمان حاج إبراهيم

يخيم مستقبل قاتم على الوضع في أفغانستان التي تجاوز مؤخراً شعبها احتلالا أمريكيا دام عقدين من الزمن، وسط ضبابية المشهد حول تأمين أساسيات العيش الكريم لأزيد من نصف السكان الذين عاشوا نحو نصف قرن من التوترات.

وتدق المؤسسات الدولية والمنظمات المعنية ناقوس الخطر، وتطالب المجتمع الدولي للتحرك العاجل لمواجهة أسوأ أزمة ستشهدها أفغانستان التي لم تلتئم بعد جراح سكانها بعد الأهوال التي عاشوها لسنوات.

ووفقاً لبرنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة، تمثلُ الآن المستشفيات في أفغانستان بالأطفال المصابين بسوء التغذية الحاد، ويدفع اليأس بالأسر إلى اتخاذ إجراءات يائسة أيضاً، من أجل إطعام أطفالها – حتى وإن كانت تلك الإجراءات بيع الأسر لفلذات كبدها.

وحسب أحدث تقرير لبرنامج الأغذية العالمي، فإن العديد من الأسر في أفغانستان تواصل البحث عن الدعم لإطعام أطفالها، والكثير من النساء لم يأكلن منذ أيام، إذ يؤثرن أطفالهن على أنفسهن، وبعض العائلات– كما ورد في تقارير موثقة– تلجأ لبيع أطفالها للتأقلم مع الجوع.

أسر تضطر لبيع أطفالها

وفي إحاطة افتراضية للصحافيين من العاصمة الأفغانية كابول، قالت ماري إلين ماكغرورتي، المديرة القُطرية لبرنامج الأغذية العالمي في أفغانستان: «هذه ليست أزمة قصيرة المدى» ولغتت الانتباه إلى أن استمرار الانهيار الاقتصادي سيزيد المصاعب، واليأس والجوع.

وقالت: «مطلوب استجابة إنسانية ضخمة الآن وللعام المقبل على الأقل. والموارد المالية مطلوبة بشكل عاجل للقيام بذلك، الآن واليوم.»

وأظهر تقرير التصنيف المرحلي المتكامل للأمن الغذائي «IPC» الصادر عن مجموعة الأمن الغذائي والزراعة الأفغانية، تحت القيادة المشتركة لمنظمة الأغذية والزراعة «الفاو» وبرنامج الأغذية العالمي، أن أكثر من واحد من كل اثنين من الأفغان سيواجه مستوى الأزمة (المرحلة 3) أو مستويات الطوارئ (المرحلة 4) من انعدام الأمن الغذائي الحاد خلال الفترة من تشرين الثاني/نوفمبر إلى آذار/مارس 2022.

وقالت ماكغرورتي: «قبل آب/أغسطس، كان أفغاني واحد من بين كل ثلاثة، يعاني من انعدام الأمن الغذائي بشدة، والآن واحد من بين كل اثنين في هذه الدولة.»

ويعكس تقرير التصنيف المرحلي المتكامل للأمن الغذائي زيادة بنسبة 37 في المئة في عدد الأفغان الذين يواجهون الجوع الحاد منذ آخر تقييم صدر في نيسان/أبريل 2021 ومن بين المعرّضين للخطر 3.2 مليون طفل دون سن الخامسة، والذين من المتوقع أن يعانوا من سوء التغذية الحاد بحلول نهاية العام.

ارتفاع مستوى اليأس

حذّر برنامج الأغذية العالمي، من أن تقليص المساعدات الغذائية لن يؤدي إلا إلى زيادة عدم الاستقرار واليأس في جميع أنحاء البلاد. وقال: «نشهد أزمة إنسانية ذات أبعاد لا تصدق، تتكشف أمام أعيننا، إذ يدفع الصراع، إلى جانب الجفاف وكوفيد–19 شعب أفغانستان إلى كارثة إنسانية.»

وتجعل الآثار الاجتماعية والاقتصادية لكوفيد–19 الطعام الأساسي بعيداً عن متناول الكثير من العائلات، على سبيل المثال، أصبحت أسعار القمح الآن أعلى بنسبة 24 في المئة من متوسط سعرها خلال خمس سنوات.

استمرار تقديم المساعدات

وشدد البرنامج على استمراره في الوصول إلى معظم أنحاء البلاد، والتزامه بمواصلة العمليات الإنسانية، إلى جانب الشركاء في المجال الإنساني، لمساعدة العائلات الأفغانية في هذا الوقت الحرج.

وحتى الآن في هذا العام، قدم مساعدات غذائية وتغذوية إلى 5.5 مليون شخص. كما أن برنامج الأغذية العالمي وصل إلى 80.000 شخص بالطعام والمساعدات المنقذة للحياة مؤخراً فقط.

وإلى جانب آلاف الأشخاص الذين حاولوا مغادرة مطار كابول، لجأ عدد قليل نسبياً إلى الدول المجاورة. وقد وضعت الوكالة الأممية خططاً للمساعدة إذا عبروا الحدود البرية. وأشار برنامج الأغذية العالمي إلى أنه إذا أراد المانحون تجنب تدفقات اللاجئين الكبيرة، من الضروري ألا تتوقف العمليات الغذائية داخل أفغانستان.

وبحسب مسؤول من البرنامج، يبلغ عدد سكان أفغانستان 40 مليون نسمة، 18.2 مليون منهم يحتاجون إلى المساعدة الإنسانية (أي نحو نصف عدد السكان). وعدد الأشخاص الذين يعانون من انعدام الأمن الغذائي: 14 مليون شخص، أما معدل سوء التغذية الحاد العالمي: 13 في المئة (بعض الولايات أبلغت عن معدلات عالية تصل إلى 25 في المئة).

وتشير أوتسا إلى أن عدد العائدين إلى أفغانستان من إيران وباكستان بلغ 660.000 شخص في آب/أغسطس. وبحسب مفوضية اللاجئين، بلغ عدد اللاجئين 2.5 مليون لاجئ مسجل.

موسم الجفاف على الأبواب

تضاف إلى المصاعب التي تواجهها الوكالات العاملة في المجال الإنساني في أفغانستان، شبح الجفاف، وتخشى من تأثيراته الوشيكة والتي تزيد الوضع سوءاً.

ومن المحتمل أن يبدأ موسم العجاف مبكراً ويضرب بقوة أكثر من أي وقت مضى. ومع اقتراب فصل الشتاء بسرعة، يستمر السعي لتوسيع نطاق العمليات الإنسانية وتخزين الطعام قبل بدء تساقط الثلوج بكثافة.

ومؤخرا حذر الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش من «كارثة إنسانية» وشيكة في أفغانستان، وحضّ دول العالم على تقديم مساعدات مالية عاجلة في أعقاب رحيل القوات الأمريكية من هذا البلد.

وقال في بيان إن «كارثة إنسانية تلوح في الأفق» مشيراً إلى «تفاقم الأزمة الإنسانية والاقتصادية» و«خطر الانهيار التام للخدمات الأساسية».

كارثة إنسانية

كما حضّ غوتيريش الدول الأعضاء في الأمم المتحدة على «توفير تمويل في الوقت المناسب وبشكل مرن وشامل» للشعب الأفغاني الذي يعيش «أصعب الأوقات» في ما يتعلق باحتياجاته الأساسية.

وذكّر الأمين العام للأمم المتحدة أن «ما يقرب من نصف السكان الأفغان، 18 مليون شخص، يحتاجون إلى مساعدات إنسانية للبقاء على قيد الحياة».

وأضاف «لا يعرف واحد من كل 3 أفغاني من أين ستأتي وجبته التالية» مشدداً على أن أكثر من نصف الأطفال ممن هم دون سن الخامسة سيعانون الجوع في العام المقبل.

مخاوف من شتاء قاتل على الأبواب

بحسب المسؤولة في برنامج الأغذية العالمي، بدأ الثلج بالفعل بالتساقط، وأشارت إلى أن شعب أفغانستان يجابه «شتاء من الرعب المطلق والمعاناة» وحذرت من أن الضرر سيكون غير قابل للإصلاح بالنسبة للملايين الأطفال الذين سيمرضون بسبب الجوع وسوء التغذية.

وقالت إن الكثير من الأفغان الأبرياء يواجهون خطر الموت هذا الشتاء وحده، وإن هذه الأرقام لا تؤكد فقط أن أفغانستان تتحول إلى واحدة من أكبر الأزمات الإنسانية، ولكن تشير أيضا إلى وتيرة ونطاق الأزمة.

وأضافت تقول: «وتيرة ونطاق لم أشهد لهما مثيلاً خلال أكثر من 20 عاما من عملي مع برنامج الأغذية العالمي.»

بالنسبة للمنظمات الإنسانية، فإن الوضع المتدهور بالفعل في أفغانستان بدأ خلال الشهرين الماضيين بالتردي بشكل يومي وأسبوعي الآن، وملمحة اليأس والمعاناة مدفوعة بالانهيار الاقتصادي والإرث المدمر لعقود من الصراع. وإضافة إلى ذلك، تعاني البلاد من أزمة جفاف.

حتمية الوصول السريع إلى ملايين المحتاجين

وأوضحت ماكغرورتي أن الانهيار الاقتصادي الذي تمر به البلاد منذ منتصف شهر آب/أغسطس، وفقدان 40 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي، وتعليق الدعم الدولي للميزانية والذي يشكل 70 في المئة من ميزانية الدولة كل ذلك تجلى في أزمة سيولة نقدية.

وقد وصل برنامج الأغذية العالمي إلى أكثر من أربعة ملايين شخص في أيلول/سبتمبر، وتم توصيل أطنان من الطعام إلى أكثر من 200 موقع حتى تشرين الأول/أكتوبر.

ويعتزم برنامج الأغذية العالمي ومنظمة الأغذية والزراعة «الفاو» الوصول إلى 15 مليون شخص مع نهاية العام. وقالت المسؤولة في برنامج الأغذية العالمي: «كل يوم، لدينا أكثر من 170 شاحنة في الشوارع في أفغانستان توصل الطعام إلى المجتمعات.»

من جانبه، قال المدير التنفيذي لبرنامج الأغذية العالمي، ديفيد بيزلي، إن أفغانستان حالياً من بين أسوأ الأزمات الإنسانية في العالم، إن لم تكن الأسوأ. وأضاف يقول: «انهار الأمن الغذائي تقريباً. وخلال هذا الشتاء سيضطر ملايين الأفغان إلى الاختيار بين الهجرة والمجاعة، ما لم نتمكن من زيادة مساعداتنا المنقذة للحياة، وما لم يتم إنعاش الاقتصاد. نحن في عد تنازلي باتجاه كارثة. وإذا لم نتحرك الآن، فسنكون أمام كارثة على المستويات كافة.»

اتهامات للدول الغربية

وجهت أصابع الاتهام لعدد من الدول الغربية التي جمدت أصول أفغانستان، ومؤخراً حث أحد كبار أعضاء مجلس إدارة البنك المركزي الأفغاني وزارة الخزانة الأمريكية، وصندوق النقد الدولي، على اتخاذ خطوات لإتاحة مجال محدود أمام الحكومة التي تقودها حركة طالبان، للاستفادة من احتياطيات البلاد أو المجازفة بكارثة اقتصادية.

ترى «منظمة العمل ضد الجوع الفرنسية» في تقرير لها، أنه هناك إجماعا عاما على أن الجوع وكانت الحركة قد سيطرت على أفغانستان، لكن يبدو من المستبعد أن تتمكن من الاستفادة من احتياطيات البنك المركزي البالغة نحو 10 مليارات دولار أغلبها خارج البلاد.

واقترح المسؤول الأفغاني الذي قال أنه لا ينتمي لحركة طالبان، أن تسمح الولايات المتحدة للحكومة الجديدة في كابل بالحصول على مبلغ محدود كل شهر، ربما في حدود 100 مليون أو 125 مليون دولار في البداية، على أن يراقب مدقق مستقل إنفاقه. حتى يتم الاستجابة للأولويات العاجلة للسكان المقلبين على مجاعة قاتلة.

وقالت إدارة الرئيس جو بايدن في وقت سابق إن أي أصول للبنك المركزي تملكها الحكومة الأفغانية في الولايات المتحدة لن تتاح لطالبان، في حين قال صندوق النقد إن أفغانستان لن يتاح لها السحب من موارده.

الأسباب: فتش عن الصراع وتأثيراته

ترى «منظمة العمل ضد الجوع الفرنسية» في تقرير لها، أنه هناك إجماعا عاما على أن الجوع والصراع يعززان بعضهما البعض: والنزاعات هي أحد الأسباب الرئيسية.

واعتبرت في تقرير حديث أن انعدام الأمن الغذائي ونقص الاستثمار أو عدم كفاية الاستثمارات في الأمن الغذائي للسكان المعنيين يخلق ظروفاً تفضي إلى اندلاع أو انتشار الصراع.

وتدرك منظمة العمل ضد الجوع أنه من المستحيل محاربة الجوع بشكل فعال دون معالجة العناصر الرئيسية لدورة الجوع والصراع.

وأقر قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 2417 المعتمد في آيار/مايو 2018 بالصلة بين الصراع والجوع، وشدد أن قضية انعدام الأمن الغذائي – بما في ذلك المجاعة، التي تغذيها النزاعات المسلحة – كتهديد السلم والأمن الدوليين تزيد من استفحال الوضع.

إنذار مبكر لم يهتم به أحد

منذ 2007 رصد تقرير خاص من قبل هيئة «الإنذار المبكر بالمجاعة» أن انعدام الأمن الغذائي «المزمن» أو المستمر في أفغانستان، سيتمد ما بين 10 إلى 30 سنة، وفسر انعدام الأمن الغذائي «العابر» على أنه «قصير الأجل» أو «مؤقت» أي حالات الطوارئ.

وشدد التقرير أن الخصائص والأسباب الكامنة وراء انعدام الأمن الغذائي في أفغانستان، هو مشكلة «الوصول» إلى الغذاء.

وحسب خبراء الوكالة فإن الأسباب الرئيسية لانعدام الأمن الغذائي في أفغانستان هي: نقص فرص العمل والأجور المنخفضة وانخفاض دخل الأسرة، وعدم كفاية الإنتاج المحلي للقمح والحبوب، وانخفاض الإنتاج الحيواني، وعدم كفاية الموارد المائية للزراعة (أي الجفاف) ونقص الوصول إلى مياه الشرب، وتدني جودتها.

الأعين نحو خيرات البلد للاستفادة منها

وتشير التقارير الدولية، أن المجاعة التي تواجهها أفغانستان، تأتي في وقت ينام البلد على مخزون استراتيجي من ثروات طبيعية هامة، على غرار النحاس والرخام والأحجار الكريمة، ومعادن أخرى يمكن استغلالها لأغراض تكنولوجية.

ومع أن تقرير صدر في العام 2020 أكد أن 90 في المئة من الشعب الأفغاني يعيشون تحت خط الفقر، إلا أن الثروات الطبيعية التي تتمتع بها البلاد يمكن أن تدفع الاقتصاد للتطور وبالتالي تحسين ظروف عيش السكان.

وكشف علماء الجيولوجيا والعسكريون الأمريكيون في العام 2010 أن قيمة هذه الثروات الأفغانية يمكن أن تصل إلى تريليون دولار.

كما قدر تقرير حكومي أفغاني آخر صدر في العام 2017 أن قيمة الثروات المعدنية، بما فيها الطاقة الأحفورية، تصل إلى 3 تريليونات دولار. وفي 2010 قال الرئيس الأسبق حامد كرزاي «إن بلدنا يمكن أن يصبح أغنى إذا ساعدتمونا على استغلال الثروات».

لكن أمام تلك الثروات الهامة التي تقبع في باطن الأرض في أفغانستان، يواجه نصف عدد سكان البلد المجاعة، ولا تجد نسبة معتبرة فرصة تأمين قوتها.

طالبان تسعى للإفراج عن الأموال الأفغانية في الخارج

تسعى حكومة طالبان الأفغانية للإفراج عن مليارات الدولارات من احتياطيات البنك المركزي الأفغاني، في وقت تواجه فيه الدولة أزمة نقدية ومجاعة جماعية وأزمة هجرة جديدة.

وأودعت أفغانستان مليارات الدولارات من أصولها في الخارج لدى مجلس الاحتياطي الاتحادي الأمريكي وبنوك مركزية أخرى في أوروبا، لكن هذه الأموال جرى تجميدها منذ أطاحت حركة طالبان المتشددة بالحكومة المدعومة من الغرب في آب/أغسطس.

وقال متحدث باسم وزارة المالية إن الحكومة ستحترم حقوق الإنسان، بما في ذلك حق المرأة في التعليم، وذلك في إطار سعي الوزارة للحصول على موارد مالية جديدة بالإضافة إلى المساعدات الإنسانية التي قال إنها لا توفر سوى «النزر اليسير من الإغاثة».

وقال أحمد ولي حقمل المتحدث باسم الوزارة «الأموال ملك الدولة الأفغانية. فقط أعطونا أموالنا. تجميد هذه الأموال عمل غير أخلاقي يتنافى مع جميع القوانين والقيم الدولية».

ودعا مسؤول كبير بالبنك المركزي الدول الأوروبية بما فيها ألمانيا إلى الإفراج عما تحتفظ به من احتياطيات أفغانية لتجنب انهيار اقتصادي قد يؤدي إلى هجرة جماعية صوب أوروبا.

ميديا

11 منظمة حقوقية تطالب بإطلاق صحافي مصري مسجون من دون محاكمة

لندن – «القدس العربي»:

أصدرت 11 منظمة حقوقية محلية ودولية، بياناً مشتركاً، تطالب فيه السلطات المصرية بالإفراج الفوري عن الصحافي توفيق غانم بعد 150 يوما من الاعتقال.

وطالبت المنظمات السلطات المصرية بالإفراج الفوري عن غانم البالغ من العمر 66 عامًا، والذي تم اعتقاله بشكل تعسفي لمدة 150 يومًا فقط بسبب عمله الإعلامي. وقالت: «ريثما يتم الإفراج عنه، يجب أن يُمنح غانم الوصول الفوري إلى الرعاية الطبية».

وكانت السلطات المصرية أخضعت توفيق غانم في 21 أيار/مايو 2021 للاختفاء القسري لمدة خمسة أيام، تم خلالها استجوابه بشأن عمله السابق في وكالة «الأناضول» وهي وكالة أنباء تركية تديرها الدولة. ثم مثل أمام نيابة أمن الدولة العليا في القاهرة في 26 أيار/مايو 2021 التي أمرت بالحبس الاحتياطي لمدة 15 يوماً على ذمة التحقيقات بتهمتي «نشر أخبار كاذبة» و«إساءة استخدام وسائل التواصل الاجتماعي» و«تهم تتعلق بالإرهاب». ومنذ ذلك الحين، تم تجديد حبس غانم السابق للمحاكمة، رغم أنه لم يتمكن من الطعن في قانونية اعتقاله أو التواصل مع محاميه. ويحتجز غانم حالياً في سجن طرة (استقبال) وتم تجديد اعتقاله أخيراً لمدة 45 يوماً في 11 تشرين الأول/أكتوبر الجاري.

والمنظمات الموقعة هي منظمة العفو الدولية، والمدافعون عن الحقوق الدنية، ولجنة حماية الصحافيين، والديمقراطية في العالم العربي الآن «DAWN» والجبهة المصرية لحقوق الإنسان «EFHR» ومبادرة الحرية، والخدمة الدولية لحقوق الإنسان «ISHR» وميزان الحقوق غروب، و«بين أميركا» ومشروع الديمقراطية في الشرق الأوسط (بوميد) ومؤسسة سيناء لحقوق الإنسان.

وأعربت المنظمات عن انزعاجها الشديد من حرمان توفيق غانم من الحصول على رعاية صحية كافية في السجن أو مرافق خارجية للتشخيص والعلاج. وبحسب عائلته، تفاقمت سلطات السجن عن نقل غانم إلى مستشفى خارجي على الرغم من أن طبيب السجن أوصى بنقله إلى مستشفى قصر العيني للاشتباه في إصابته بورم في الكلى قبل 50 يومًا. ووفقًا لسجلاته الطبية، فإن غانم يعاني أيضًا من مرض السكري والتهاب الأعصاب في ساقيه وركبته ومشاكل أسفل الظهر وتضخم البروستاتا الذي يتطلب علاجًا متخصصًا مستمرًا في منشأة طبية مجهزة بشكل صحيح.

وطوال حياته المهنية، ترأس توفيق غانم عددًا من المؤسسات الإعلامية، بما في ذلك «ميديا انترناشونال» التي أدارت موقع «إسلام أون لاين» لمدة عشر سنوات، وفي الآونة الأخيرة، شغل منصب المدير الإقليمي لوكالة «الأناضول» في القاهرة حتى تقاعده في عام 2015.

ودعت المنظمات السلطات إلى وقف حملتها المنهجة على الحريات الإعلامية ووقف إساءة استخدام الحبس الاحتياطي، في انتظار التحقيقات في تهم الإرهاب الزائفة لعاقبة أي انتقاد أو معارضة.

ووفقاً لتعداد السجون الصادر عن لجنة حماية الصحافيين لعام 2020 تواصل مصر الاحتجاز التعسفي لعدد قياسي لا يقل عن 27 صحافياً وإعلامياً، فيما تتحدث إحصاءات أخرى عن أن الصحافيين المعتقلين في سجون مصر يصل عددهم الى مئة إذا ما أضيف اليهم المصورون والعاملون في مهن إعلامية مساندة من غير المقيدين في سجلات نقابة الصحافيين.

تصاعد وتيرة المطالبة بإطلاق حرية الرأي والتعبير في تونس

لندن – «القدس العربي»:

تتصاعد وتيرة المطالبة برفع القيود عن حرية الرأي والتعبير في تونس وذلك بالتزامن مع استمرار التدابير التي فرضها الرئيس قيس سعيد والتي تضمنت تعطيل عمل البرلمان وإقالة رئيس الحكومة والتدخل في بعض القطاعات العامة بالبلاد.

وطالب مواطنون ونشطاء تونسيون برفع القيود عن حرية الرأي والتعبير، حيث شارك عشرات النشطاء ومنتسبي «الاتحاد العام التونسي للطلبة» في وقفة احتجاجية على محاكمة الناشط الطلابي عثمان العريضي الأسبوع الماضي.

وأوضح العريضي المفرج عنه بانتظار حكم نهائي أن إيقافه تم على خلفية مشاركته في مظاهرة سلمية منذ نحو أسبوعين في العاصمة تونس.

وأضاف في تصريحات إعلامية: «ثبت لاحقا لدى عرضي على النيابة العمومية بالمحكمة الابتدائية، بتهمة الاعتداء ومحاولة طعن أحد عناصر الأمن، بأنها غير صحيحة».

وطالب العريضي بـ«ضرورة احترام حق حرية التعبير والرأي لكل تونسي» مؤكداً أنه «لا يجب أن توضع قيود على هذه الحقوق بسبب مخالفتنا الرأي».

والعريضي طالب هندسة صناعية وعضو المكتب التنفيذي للاتحاد العام التونسي للطلبة، أشرف على المهرجان الخطابي الذي صاحب المظاهرة التي نظمها حراك «مواطنون ضد الانقلاب» يوم 10 تشرين الأول/أكتوبر الحالي، وشارك فيها آلاف المتظاهرين الرافضين لإجراءات الرئيس سعيد الاستثنائية.

وحذرت العديد من المنظمات الحقوقية في تونس مؤخرا من تراجع منسوب الحريات وارتفاع نسق التضييق على حرية التعبير.

ومنذ 25 تموز/يوليو الماضي تعاني تونس أزمة سياسية حادة، حيث اتخذ الرئيس قيس سعيّد سلسلة قرارات، منها: تجميد اختصاصات البرلمان ورفع الحصانة عن نوابه، وإلغاء هيئة مراقبة دستورية القوانين، وإصدار تشريعات بمراسيم رئاسية، وترؤسه النيابة العامة، وإقالة رئيس الحكومة، على أن يتولى هو السلطة التنفيذية بمعاونة حكومة.

وبعد إعلان الرئيس عن إجراءاته الاستثنائية؛ تعرض إعلاميون ومؤسسات إعلامية في تونس لتضييقات وملاحقات أمنية وعمليات توقيف ومتابعات قضائية على خلفية نشاطهم.

وإضافة إلى ذلك؛ اعتقلت قوات الأمن في الفترة الماضية عدداً من أعضاء البرلمان التونسي، ما أثار مخاوف جهات حقوقية من دخول تونس في عصر الاستبداد والشمولية التي لا يحترم القانون، ولا تلقي بالاً لحقوق الإنسان وحريته في التعبير، وخصوصا أن بعض هذه الاعتقالات جاء على خلفية قرارات قضائية عسكرية بحق مدنيين، وهو الأمر الذي ترفضه هذه الجهات.

اعتقال مواطن أردني بسبب انتقاد رئيس الحكومة يثير موجة واسعة من الجدل والتضامن

لندن – «القدس العربي»:

أثار اعتقال مواطن أردني يعمل بائعاً للشاي والقهوة موجة واسعة من الجدل والتضامن معه، بعد أن تبين بأنه موقوف على ذمة قضية أقامها ضده رئيس الوزراء بشر الخصاونة بسبب تعليقات نشرها المواطن على شبكات التواصل الاجتماعي تتعلق بشخص رئيس الحكومة وزوجته.

وأشعل المواطن البسيط كميل الزعبي موجة واسعة من التضامن خاصة بعد تداول صورة لابنه الطفل وهو يحل مكانه في المتجر الصغير المخصص لبيع الشاي والقهوة في محاولة لتأمين المصاريف والتكاليف المعيشية للعائلة بعد اعتقال الرجل، تسارعت وتيرة الجدل في الأردن خلال الأيام الماضية ما دفع النشطاء إلى إطلاق عدد من الوسوم التضامنية التي تعبر عن التعاطف مع المواطن المسجون وتُدين رئيس الحكومة الذي ضاق ذرعاً بتعليقات المواطن ومزاعمه على شبكات التواصل الاجتماعي.

وفي تفاصيل القضية التي تشغل الرأي العام في الأردن فإن الزعبي نشر تدوينات على صفحته الشخصية على «فيسبوك» قال فيها إن زوجة رئيس الوزراء رنا سلطان استغلت نفوذ زوجها وحققت الكثير من المكاسب المادية، وأشار إلى أنها تتقاضى أيضاً مبالغ مالية ضخمة من مؤسسات حكومية مختلفة من دون وجه حق وبما يخالف القانون.

ورد رئيس الوزراء على هذه الاتهامات بتسجيل شكوى قضائية ضد بائع الشاي والقهوة ما أدى إلى اعتقاله على الفور، حيث أبلغ رئيس الحكومة المدعي العام بأن المنشور تعرض له كرئيس وزراء للأردن «من خلال نشر معلومات كاذبة عن تلقي زوجته لمبالغ مالية من خلال استغلال منصب زوجها» الأمر الذي أدى إلى توجيه عدد من التهم للزعبي وهي نشر معلومات كاذبة وذم هيئة حكومية.

وقال المحامي فراس الروسان وكيل المشتكى عليه إن المدعي العام لم يستمع إلى زوجة رئيس الوزراء رنا سلطان ولم يتم استدعاءها بالرغم من تعلق الشكوى بها، مضيفاً أن «الرئيس استخدم الضابطة العدلية خدمة لأغراض شخصية».

وأضاف: «كان على رئيس الوزراء بشر الخصاونة أن يحضر إلى مدينة الرمثا ويسجل شكواه عن زوجته رنا سلطان ضد كميل الزعبي لأن الاختصاص في نظر شكواه منعقد لمدعي عام الرمثا» مشيراً إلى أنّ مخالفة القانون وتمزيقه من حيث الاختصاص المكاني لا يصح من مواطن فكيف برئيس الوزراء.

وأضاف «أما السيدة رنا سلطان فسواء تقاضت آلاف الدنانير أم لم تتقاض فكان بإمكانها تجنيب زوجها رئيس الوزراء هذا المسار كله وأن توكل أحد المحامين وتسجل شكوى باسمها كما يفعل الناس».

وأطلق النشطاء عدداً من الوسوم والحملات التضامنية مع الزعبي ومع عائلته وطفله البالغ من العمر 15 عاماً والذي تولى العمل في غياب والده المعتقل.

ومن بين الوسوم التي رصدتها «القدس العربي» الهاشتاغ «#الطفل_البطل_بسام_كميل» والهاشتاغ «#الحرية_لكميل_الزعبي» والهاشتاغ «#الرئيس_يقاضي_مواطن_فقير» وغير هذه الوسوم التي سجلت انتشاراً واسعاً في الأردن.

وكتبت مديرة مركز العدل للمساعدة القانونية المحامية هديل عبابنة عبر صفحتها على «فيسبوك»: «هناك الكثير من أوجه الخلل في قضية شكوى رئيس الوزراء ضد كميل الزعبي، أولها قيام رئيس الوزراء شخصياً بمتابعة الشكوى نيابة عن زوجته ونحن نعلم تماماً أن المدعي العام وإدارة مكافحة الجرائم الإلكترونية لا يقبلون ذلك من أي مواطن ويطلبون حضور المتضرر المباشر في المنشور لو لم يكن المشتكي رئيس الوزراء».

وأضافت «هذه القضية لا تستلزم التوقيف وفق أحكام المادة 114 من قانون أصول المحاكمات الجزائية إلا إذا توقع المدعي العام أن وجود كميل الزعبي حراً سيشكل خطرا على الناس أو خطراً على البيئة أو شك أن احتمالية هربه عالية». واعتبرت عبابنة أن القضية «لا تتعلق بمواطن يمارس حقه باستخدام قانون عرفي مشرع بل برئيس وزراء يستخدم ثقله السياسي ليقتص من شخص أشاع عن زوجته معلومة كان يمكن إصدار بيان لنفيها لو كنا في بلد تستقر فيه الأعراف الديمقراطية».

وغردت الناشطة هالة عاهد على «تويتر» تقول: «ليس مستغرباً ان يقاضي رئيس الوزراء مواطنا في دولة تضيق السلطات فيها ذرعا بالتعبير؛ ستظل الانتهاكات تتكرر طالما القانون على مقاس استبدادهم ولا حسيب على خرق الحقوق الدستورية».

أما هيلدا عجيلات فغردت تقول: «لو لم تكن بموقع رئيس وزراء ولا حد داري عنك، يلي بده يشتغل في منصب عام لازم يكون باله طويل وقلبه كبير، والله مش عارفة كيف عندك وقت تبلش بهيك أمور؟».

أما علي الطراونة فقال: «تخيل أن صاحب الولاية العامة (مجازا) في دولة تعاني من أزمات حادة في الفقر، البطالة، الديونية، ترك مهامه ومسؤولياته واهتم في تعليق لمواطن على مواقع التواصل الاجتماعي!!».

وغردت هديل عزيز: «لا للتعسف باستخدام السلطة.. ماذا تعني تهمة ذم هيئة عامة؟ وهل هناك دولة تحصن مؤسساتها من النقد في هذا العصر؟ تحصين انتقاد الأفراد الذين يديرون المؤسسات أو انتقاد أداء المؤسسات هو وصفة للخراب».

بدوره قال ياسر العوران في تغريدة له: «انت الحر يا كميل الزعبي ونعالك تعادل كل الخونة والفاسدين... وكل من استبدوا ونهبوا الوطن والمواطنين».

وكتب الصحافي غيث العضايلة «رئيس الوزراء الذي يقاضي مواطنا لأجل منشور وقبلها يغضب لأجل مقعده في مجلس الأمة من الممكن جدا أن يقضي يومه في ملاحقة نملة! #كميل_الزعبي».

أما الصحافي وليد حسني فكتب على «فيسبوك» يقول: «دولة الرئيس أنت شخصية عامة وموظف كبير في الدولة برتبة رئيس وزراء، ومن حق كل مواطن انتقادك، وعليك تقبل النقد والتوضيح وليس من حقك جر المواطنين إلى المحاكم أو حتى تهديدهم بالاعتقال، لو كنت مواطنا عاديا لا لك ولا عليك فمن حقك مقاضاة من يتهمك بما ليس فيك..».

وأضاف حسني: «استنادا لسطرتك من حق كل الأردنيين مقاضاتك لحجم الضرر الذي يقع عليهم جراء سياساتك، وعندها ستقضي كل عمرك تنام في المحاكم، وشكاوك ضد المواطن كميل الزعبي تسيء إليك وإلى مكانتك ووظيفتك».

يشار إلى أن الجدل بشأن الناشط الزعبي في الأردن جدد المطالبات بإلغاء قانون الجرائم الإلكترونية أو تعديله، وهو القانون المثير للجدل الذي يقول الكثير من الناشطين والسياسيين والصحافيين إنه سيف مسلط على رقابهم وإن السلطات تقوم باستخدامه من أجل التضييق عليهم. كما تجددت الانتقادات للأنظمة والتعليمات التي أحالتها «هيئة الإعلام المرئي والمسموع» في الأردن إلى ديوان التشريع قبل شهور، وهي أنظمة تتضمن جملة من التعديلات، ومن أبرزها زيادة رسوم ترخيص المواقع الإلكترونية من 50 إلى 500 دينار (700 دولار أمريكي) وفرض رسوم تبلغ 2500 دينار (3500 دولار) على منح رخص بث البرامج الإذاعية والتلفزيونية عبر الإنترنت، بالإضافة إلى تعديل ثالث يفرض رسوما على دور النشر.

كما تتضمن التعديلات المقترحة اعتبار البث المباشر الشخصي على شبكات التواصل الاجتماعي مثل «فيسبوك» على أنه «بث مرئي ومسموع» وهو ما يعني أنه يحتاج للحصول على ترخيص مسبق على أن أي بث غير حاصل على الموافقات الحكومية المسبقة يُعرض صاحبه لعقوبة السجن مدة تتراوح بين عام وخمسة أعوام، أو غرامة مالية تتراوح بين 25 ألف دينار (35 ألف دولار) و100 ألف (140 ألف دولار أمريكي).

وكانت هذه المقترحات قد أثارت موجة من الغضب في أوساط الإعلاميين والنشطاء في الأردن والذين انتقدوا أيضاً رئيس الهيئة التي قدمت الاقتراح بشكل خاص، وهو طارق أبو الراغب الذي كان أحد المعارضين المعروفين وكان أحد رموز وقادة المتظاهرين المطالبين بالإصلاح في الأردن في العام 2011 مع بداية ثورات الربيع العربي.

علوم وتكنولوجيا

علماء: الرسائل الفضائية الأخيرة كاذبة وليست آتية من مخلوقات غريبة

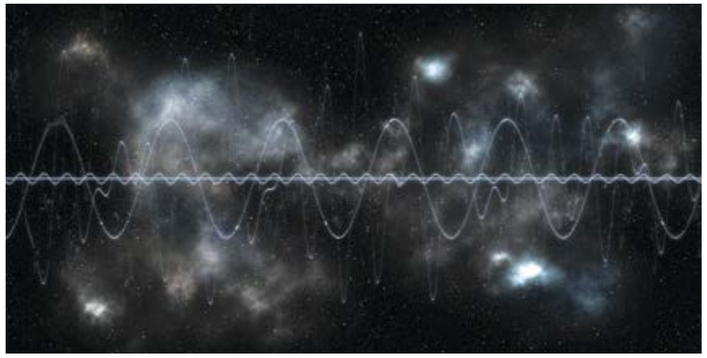

لندن ـ «القدس العربي»:

حسم علماء الفضاء والفلك جدلاً مستمراً منذ مدة طويلة بشأن رسائل وإشارات قادمة من الفضاء الخارجي إلى الكرة الأرضية، حيث تبين بأنها مجرد «إشارات كاذبة» وليست رسائل من مخلوقات فضائية تعيش على كواكب أخرى في العالم الخارجي وتحاول التواصل مع البشر على كوكب الأرض، كما كان يسود الاعتقاد في السابق.

ويعتقد الباحثون أن إشارة الراديو الغامضة التي قد تكون علامة على وجود كائنات فضائية ويُعتقد أنها آتية من نجم «بروكسيما سنتوري» هي على الأرجح مجرد «تداخل من التقنيات البشرية».

وأعلن العلماء الأسبوع الماضي أن الإشارة اللاسلكية الغامضة التي اعتقد الباحثون سابقاً أنها قد تكون انبثقت من أقرب نجم إلى الأرض، وهو «بروكسيما سنتوري» لم تكن على الأرجح أكثر من «رسالة كاذبة».

ونقلت جريدة «دايلي ميل» البريطانية، في تقرير لها اطلعت عليه «القدس العربي» عن الباحثين في مبادرة «Breakthrough Listen Initiative»، قولهم إن الإشارة «المثيرة للاهتمام» التي تم التقاطها في عام 2020 هي على الأرجح مجرد «قطعة أثرية من التداخل القائم على الأرض من التقنيات البشرية».

ونظرت الدكتورة صوفيا شيخ، الباحثة في الفريق الفلكي، إلى مجموعة البيانات الخاصة بالإشارات ووجدت أنها متباعدة على «فترات تردد منتظمة».

ويبدو أن الفواصل الزمنية تتوافق مع مضاعفات الترددات المستخدمة بواسطة المذبذبات التي يشيع استخدامها في الأجهزة الإلكترونية، وهو ما يعني أنها مجرد ارتـدادات من أعمال بشرية على كوكب الأرض، ولا علاقة لها بالمخلوقات الفضائية.

وأجرى الباحثون مسحاً ضوئياً لنظام النجوم المسمى «Proxima Centauri» عبر نطاق واسع من الترددات، من 700 ميغا هرتز إلى 4 غيغاهيرتز (بمعنى آخر، إجراء ما يعادل ضبط أكثر من 800 مليون قناة راديو في وقت واحد) ووجـدوا 4 ملايين نتيجة تم تقليصها في النهاية إلى مليون.

وتم تطبيق مرشح آخر على الضربات المتبقية، حيث كان يجب أن يبدو أنهم قـادمـون من اتجـاه كوكب «بروكسيما سنتوري».

ووجه الباحثون تلسكوب باركس نحو النجم ثم وجهوه بعيداً، بالتبديل بين نمط «التشغيل والإيقاف» عدة مرات، مما تركهم مع 5160 مرشحاً محتملاً.

وبعد التخلص من المزيد من الإشارات، كانت هناك واحدة تُعرف باسم «BLC1» لها «خصائص تتوافق على نطاق واسع مع التوقيعات التقنية المفترضة، لكنها أيضا على الأرجح مجرد حالة تقنية بشرية.

وقالت الباحثة صوفيا شيخ في بيان: «مجتمعة، تشير هذه الأدلة إلى أن الإشارة هي تداخل من التكنولوجيا البشرية، على الرغم من أننا لم نتمكن من تحديد مصدرها بشكل دقيق».

وأضـافـت: «الإشـارة الأصلية التي وجدها شين سميث لم يتم اكتشافها بوضوح عندما يتم توجيه التلسكوب بعيداً عن بروكسيما سنتوري، ولكن نظراً لوجود كومة قش من ملايين الإشارات، فإن التفسير الأكثر احتمالا هو أنه انتقال من تكنولوجيا بشرية».

وتم اكتشاف إشارة الموجة الراديوية أول مرة في نيسان/أبريل وأيار/مايو 2019 من تلسكوب باركس ومقره أستراليا بتردد 980 ميغاهرتز.

وفي العام الماضي، قام أعضاء مشروع «Breakthrough Listen Project» وهي مبادرة بقيمة 100 مليون دولار للعثور على حياة فضائية من خلال التلسكوبات الراديوية– قاموا «بالتحقيق بعناية» في الإشارة الغامضة التي انبثقت من نظام النجوم.

ويبحث المشروع عن أدلة على وجود «بصمات تكنولوجية» خارج كوكب الأرض – موجات الراديو وغيرها من الأدلة على وجود تكنولوجيا خارج كوكب الأرض.

وبدأت هذه المبادرة في عام 2015 للبحث عن إشارات فضائية شاردة أو مقصودة ومصممة لتستمر عشر سنوات.

ويقع الكوكب «بروكسيما سنتوري» على بعد 4.2 سنة ضوئية من الأرض وله كوكبان مؤكدان، عملاق غازي يشبه المشتري وعالم صخري يسمى «Proxima b» في المنطقة الصالحة للسكن.

وتم رصد الإشـارة بواسطة تلسكوب باركس في أستراليا في أوائل عام 2020 ولكن على عكس الـدفـقـات الـراديـويـة السابقة، لم تُنسب إلى أي مصدر أرضي أو قريب من الأرض صنعه الإنسان في ذلك الوقت.

وبعد أن أجرى الباحثون عملهم العميق في الإشـارة وجـدوا أن من الأرجـح أنها لم تكن قـادمـة مـن كوكب «بروكسيما سنتوري».

وقال أندرو سيميون، الذي يقود الفريق العلمي إنه «في حالة هذا المرشح بالذات، يشير تحليلنا إلى أنـه من غير المحتمل أن يـكـون مـن جـهـاز إرسـال فـي كوكب بروكسيما سـنـتـوري، ومـع ذلـك فهذه بلا شك واحدة من أكثر الإشـارات إثارة للاهتمام التي رأيناها حتى الآن».

دراسة طبية: تناول بعض الفيتامينات يُسبب السرطان

لندن ـ «القدس العربي»:

سة طبية حديثة إلى أن الفيتامينات الإضافية والمكملات الغذائية ليست مفيدة دائماً للإنسان، وإنما قد تؤدي به إلى أمراض قاتلة، ما يعني أن على الناس الانتباه لما يتناولونه من فيتامينات ومكملات والالتزام بما يوصي به الأطباء وفقاً لفحوصهم وحاجاتهم.

وخلصت دراسة طبية حديثة إلى أنه يجب أن يحصل معظم الناس على جميع العناصر الغذائية التي يحتاجونها من نظام غذائي متنوع ومتوازن، على الرغم من أن بعض الأشخاص قد يحتاجون إلى مكملات إضافية، ومع ذلك فإن مكملات الفيتامينات ليست مفيدة دائماً.

وأثبتت الدراسة التي نشرت في مجلة الجمعية الطبية الأمريكية أن هناك مكملين غذائيين يزيدان من خطر الإصابة بالسرطان، وهما «B12» وحمض الفوليك. ووجدت الدراسة أن «مرضى القلب» الذين تناولوا مكملات حمض الفوليك وفيتامين «ب 12» زاد لديهم بشكل طفيف خطر الإصابة بالسرطان والوفاة لجميع الأسباب مقارنة بمرضى القلب الذين لم يتناولوا المكملات، حسب موقع «ميديك فوروم».

وقامت الباحثة مارثا إيبينغ، الحاصلة على درجة الدكتوراه في الطب، من مستشفى جامعة هوكلاند بالنرويج، وزملاؤها بتحليل بيانات من دراستين شملت ما يقرب من سبعة آلاف مريض قلب تلقوا مكملات فيتامين ب أو دواء وهمي لمدة ثلاث سنوات ونصف في المتوسط منذ 1998 إلى 2005.

وتمت متابعة المرضى لمدة ثلاث سنوات في المتوسط بعد التوقف عن تناول المكملات، وخلال هذه الفترة تم تشخيص 341 مريضاً تناولوا حمض الفوليك و«بي 12» (8.4 في المئة) بالسرطان.

وارتبط تناول حمض الفوليك و«بي 12» بزيادة خطر الإصابة بالسرطان بنسبة 21 في المئة، وزيادة خطر الوفاة من المرض بنسبة 38 في المئة، وزيادة الوفاة بنسبة 18 في المئة من جميع الأسباب.

أحدث صيحات النقل: دراجة طائرة تُحلق بصاحبها لتجنب الازدحام

لندن ـ «القدس العربي»:

كشفت شركة يابانية عن أحدث صيحة في عالم النقل الذي يشهد طفرة غير مسبوقة بفضل التطورات المتلاحقة التي يسجلها، حيث ستطرح بعد شهور قليلة دراجة نارية طائرة يُمكن أن تحلق براكبها في الجو عند الحاجة لتجنب الازدحامات المرورية.

لكن الدراجة النارية الطائرة ستباع بأسعار أغلى بكثير من أفخم وأرقى السيارات في العالم، حيث يصل سعرها إلى نصف مليون جنيه استرليني (680 ألف دولار أمريكي) بحسب ما نشرت جريدة «دايلي ميل» البريطانية.

وتقول الصحيفة إن الدراجة الطائرة التي أطلق عليها مبتكروها اسم «Xturismo» يمكنها السفر بسرعة 100 كيلو متر في الساعة لمدة تصل إلى 40 دقيقة متواصلة، على أن الشركة تعتزم طرحها بالفعل خلال العام المقبل، أي خلال شهور قليلة من الآن.

والدراجة النارية الطائرة والمبتكرة من بنات أفكار شركة متخصصة بإنتاج الطائرات بدون طيار وتتخذ من مدينة طوكيو في اليابان مقراً لها، وتم الكشف عنها بما فيها من تقنيات جديدة خلال رحلة تجريبية على مضمار سباق فارغ في سفوح جبل فوجي باليابان.

وتخطط الشركة لإنتاج مجموعة محدودة من 200 دراجة هوفر لراكب واحد، يزن كل منها 661 رطلاً (300 كغم) على أن يتم التسليم للمشترين في النصف الأول من عام 2022 بحسب ما أوردت «دايلي ميل».

وإلـى جـانـب استخدامها كـجـزء مـن الأنشطة الترفيهية، فإن الدراجة لديها القدرة على المساعدة في إنقاذ الناس من الحوادث في البحر، حسبما قال عضو برلماني ياباني.

وشهدت الرحلة الاستعراضية – التي شهدها حشد من الضيوف وأعضاء الصحافة – ارتفاع المركبة «Xturismo» على ارتفاع عدة أقدام فوق الأرض وحلقت فوق مضمار السباق لمدة دقيقة ونصف تقريباً.

وقال الرئيس التنفيذي للمشروع دايسوكي كاتانو: «نود اقتراح أسلوب حياة جديد مع هذه السيارة العائمة».

وأشار إلى أنه «مدعوماً بمحرك احتراق داخلي، يتم الاحتفاظ بهذه الدرجة مرتفعة بواسطة مروحتين أساسيتين، تقعان حيث تكون العجلات على دراجة نارية تقليدية».

في غضون ذلـك، توفـر أربـع مـراوح مساعدة موضوعة في زوايا الدراجة الاستقرار.

وتقول «دايلي ميل» إن أحد عيوب التصميم في هـذه المركبة هو الزئير الـذي يصم الآذان لمحركها وست شفرات دوارة، حيث تم تزويد المتفرجين خلال التجربة الاستعراضية بسدادات أذن لحماية سمعهم قبل الرحلة.

ووفقاً لشركة «ALL» التي أنتجت هذه الدراجة الطائرة فإنه من أجل تشغيلها يتم توظيف نفس تقنية التحكم في الارتفاع التي تستخدمها الشركة بالفعل في طائراتها بدون طيار، مما يضمن رحلة سلسة عند التحليق.

وعند الهبوط على الأرض ترتكز الدراجة الهوائية على مزلقين للهبوط، على غرار تلك التي يمكن رؤيتها في طائرة هليكوبتر تقليدية.

والدراجة الطائرة الجديدة هي مجرد واحدة من عدد من المركبات الطائرة قيد التطوير حالياً وتتطلع إلى الوصول إلى السوق قريباً، بحسب ما يقول القائمون على المشروع.

وكانت شركة «JetPack Aviation» الأمريكية، ومقرها كاليفورنيا، أعلنت في تموز/يوليو الماضي عن رحلة تجريبية ناجحة للمركبة «سبيدر» المشابهة والتي يمكن أن تصل إلى ارتفاع 15 ألف قدم وهي متاحة حالياً للطلب المسبق، على أن ثمنها يبلغ 380 ألف دولار فقط، أي نحو نصف ثمن الدراجة الطائرة اليابانية، إلا أن تسليمها لمشتريها سيبدأ بحلول عام 2023.

وفي الوقت نفسه، تقوم العديد من الشركات بتطوير مركبات طائرة تشبه السيارات بشكل أكبر، ومن الأمثلة الحديثة على ذلك «Jetson One» والتي تقوم شركة سويدية بتطويرها حالياً، وهي مركبة إقلاع وهبوط عمودية تشبه تلك الموجودة في الرسوم المتحركة الأمريكية في الستينيات.

ويبلغ أقصى مدى للمركبة السويدية حوالي 15 ميلاً، مما يجعلها مركبة ترفيهية أكثر من كونها وسيلة نقل عملية، ويتم بيعها بالتجزئة مقابل 66 ألف جنيه إسترليني (92 ألف دولار).

بكتيريا تنمو على المريخ ستتحول إلى وقود بقيمة 8 مليارات دولار

لندن ـ «القدس العربي»:

تخطط وكالة الفضاء الأمريكية إلى الاستفادة من بكتيريا يمكن أن تنمو وتتكاثر على سطح كوكب المريخ لتصبح مفيدة مع الزمن، حيث ستحول الموارد الطبيعية هناك إلى وقود يمكن استخدامه وتبلغ قيمته ثمانية مليارات دولار على الأقل.

وتخطط «ناسا» للهبوط على سطح المريخ في وقت ما في ثلاثينيات القرن الحالي، لكن الخروج من الكوكب الأحمر قد يكون مكلفاً، حيث سيكلف 8 مليارات دولار لنقل 30 طناً من الميثان والأكسجين السائل لتشغيل صواريخ العودة.

إلا أن باحثين في معهد جورجيا للتكنولوجيا اقترحوا طريقة تستخدم الموارد الطبيعية الموجودة على سطح المريخ لزراعة البكتيريا والتي يمكن تحويلها إلى وقود، بما يوفر هذه الثمانية مليارات على «ناسا» بحسب ما نقل تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية.

ويريد الفريق بناء مفاعلات حيوية ضوئية مصغرة على المريخ تستخدم ضوء الشمس وثاني أكسيد الكربون لإنتاج البكتيريا الزرقاء من أجل صنع السكريات.

وستقوم هذه المفاعلات المصممة هندسياً، والتي سيتم شحنها من الأرض، بتحويل تلك السكريات إلى دافع خاص بالمريخ للصواريخ وأجهزة الدفع الأخرى.

ولا تؤدي هذه الطريقة إلى خفض التكاليف بشكل كبير فحسب، بل يقول الباحثون إن العملية الجديدة تولد 44 طناً من الأكسجين النظيف الذي يمكن أن يدعم الاستعمار البشري.

ويقول التقرير الصحافي إن مادة (2،3–بيوتانيديول) الموجودة على سطح كوكب المريخ ليست مفهومة حتى الآن، ولكنها تُستخدم على الأرض لصنع بوليمرات لإنتاج المطاط.

وقالت وينتيتج صن، الأستاذة المشاركة في مدرسة دانيال غوغنهايم لهندسة الفضاء، في بيان: «إن مادة بيوتانيديول موجودة منذ فترة طويلة، لكننا لم نفكر أبداً في استخدامها كوقود دافع».

وأضافت: «بعد التحليل والدراسة التجريبية الأولية أدركنا أنه مرشح جيد بالفعل».

وتوضح الورقة البحثية التي أعدها الباحثون في معهد جورجيا للتكنولوجيا العملية التي ستحدث على المريخ، بدءاً من نقل المواد البلاستيكية التي من شأنها إنشاء مفاعلات ضوئية بحجم ملعب كرة القدم على الكوكب الأحمر.

وستتألف المفاعلات الضوئية من أربع وحدات، بما في ذلك منطقة نمو البكتيريا الزرقاء التي تستخدم التمثيل الضوئي (وهي عملية تتطلب كلاً من ثاني أكسيد الكربون وضوء الشمس).

وسيحتوي مفاعل منفصل على إنزيمات تقوم بتقسيم البكتيريا الزرقاء إلى سكريات، والتي سيتم تغذيتها لإنتاج الوقود المستخدم في دفع الصواريخ. كما سيتم فصل الوقود الدافع عن مرق التخمير باستخدام طرق فصل متقدمة وإنتاج وقود صاروخي نقي بنسبة 95 في المئة.

ووجد الفريق البحثي أن إستراتيجية «ISRU» الحيوية تستخدم طاقة أقل بنسبة 32 في المئة على الرغم من أنها تزن ثلاثة أضعاف من الخيار الحالي لشحن الميثان من الأرض وإنتاج الأكسجين عبر التحفيز الكيميائي.

وقالت باميلا بيرالتا يحيى، مؤلفة الدراسة المقابلة والأستاذة المشاركة في كلية الكيمياء والكيمياء الحيوية، في بيان: «تحتاج إلى طاقة أقل بكثير للانطلاق على سطح المريخ، مما أعطانا المرونة للنظر في أمور مختلفة. المواد الكيميائية غير المصممة لإطلاق الصواريخ على الأرض».

وأضافت: «بدأنا بالتفكير في طرق للاستفادة من الجاذبية المنخفضة للكوكب ونقص الأكسجين لإنشاء حلول غير مناسبة لعمليات الإطلاق على الأرض».

يشار إلى أن الجدول الزمني لوكالة ناسا للوقت الذي تخطط فيه لإرسال بشر إلى المريخ تغير على مر السنين، حيث تعتمد المهام بشكل كبير على إعادة الأمريكيين إلى القمر أولاً. ومع ذلك فإن آخر الأخبار تشير إلى أن عام 2037 قد يكون عام الهبوط على الكوكب الأحمر.

روبوت خارق لديه دماغ اصطناعي يُفكر ويتخذ القرارات بمفرده

لندن ـ «القدس العربي»:

صمم باحثون يابانيون روبوتا بخلايا عصبية تشبه الموجودة في الدماغ، نمت في المختبر لتعليمه «التفكير مثلنا». وفي التجارب التي أُجريت في جامعة طوكيو، وُضعت المركبة الروبوتية المدمجة على عجلات، وهي صغيرة بما يكفي لتناسب راحة اليد، في متاهة بسيطة.

وجـرى توصيل الـروبـوت بشبكة من الخلايا العصبية الدماغية، والتي نمت من الخلايا الحية، بحسب ما أورد تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل».

وعندما حُفّزت هذه الخلايا العصبية الاصطناعية كهربائيا، نجحت الآلة في الوصول إلى هدفها – صـنـدوق دائـري أسـود. وكلما انحـرف الـروبـوت في الاتجـاه الخاطئ أو واجـه طريقا خاطئا، كانت العصبونات في مزرعة الخلية تتشوش بدفعة كهربائية لإعادتها إلى المسار الصحيح.

وتمثل التجارب، المفصلة في ورقة بحثية جديدة نُشرت في رسائل الفيزياء التطبيقية، خطوة كبيرة في الأمام في محاولة لتعليم الذكاء للروبوتات، وفقا للباحثين.

وهذه هي المرة الأولى التي يتم فيها «تعليم» الذكاء لروبوت آلي باستخدام الخلايا العصبية المزروعة في المختبر من الخلايا الحية.

ويـقـول المـعـدون في ورقتهم البحثية: «طورنا نظام الحلقة المغلقة لتوليد إشـارة متماسكة من شبكة عصبية حية نشطة تلقائيا، وجسدّنا الشبكة باستخدام روبوت مركبة متنقلة. وعندما اصطدم الروبوت بالعوائق أو عندما لم يكن هدفه في نطاق 90 درجة أمامه، طُبّق تحفيز كهربائي من قطب كهربائي على الشبكة. ويمكن للروبوت أن يصل إلى هدفه بنجاح في أربعة مجالات مختلفة».

وعملت الخلايا العصبية الاصطناعية التي نمت من الخلايا الحية بمثابة «المستودع المادي» للروبوت لاتخاذ القرارات.

وأثناء التجربة، جرى تغذية الروبوت بإشارات التوازن الداخلي لإخباره بفعالية أن كل شيء على وشك التخطيط، وأنه يحرز تقدما نحو الهدف.

ومع ذلك، إذا واجه الروبوت عقبة، فإن هذا التوازن يُعطل بإشارات اضطراب، ما يجعل الروبوت يهتز ويعيد ضبطه.

وخلال التجارب، جرى تغذية الروبوت باستمرار بإشـارات التماثل الساكن التي تقطعها إشـارات الاضطراب حتى يتمكن من حل مهمة المتاهة بنجاح.

ولم يتمكن الروبوت من رؤية البيئة أو الحصول على معلومات حسية أخرى، لذلك كان يعتمد كليا على نبضات التجربة والخطأ الكهربائية.

وأظهر الباحثون أن قدرات حل المهام الذكية يمكن إنتاجها عن طريق «حواسيب الخزان الفيزيائي» – جسم مادي يقوم بإجراء عمليات حسابية بناء على إشارات الدماغ.

وقال معد الدراسة هيروكازو تاكاهاشي، الأستاذ المشارك في المعلوماتية الميكانيكية في جامعة طوكيو: «الهمتني تجاربنا على افتراض أن الذكاء في النظام الحي ينشأ من آلية تستخرج ناتجا متماسكا من حالة غير منظمة، أو حالة فوضوية».

ويمكن أن يساهم التقدم في حوسبة المكامن الفيزيائية في إنشاء آلات ذكاء اصطناعي تفكر مثلنا.

وقـال البروفيسور تاكاهاشي: «إن دمـاغ طفل في المدرسة الابتدائية غير قادر على حل المشكلات الرياضية في امتحان القبول بالجامعة، ربما لأن ديناميكيات الدماغ أو كمبيوتر الخزان المادي، ليس غنيا بما يكفي».

وتُحدد القدرة على حل المهام من خلال مدى ثراء ذخيرة من الأنماط الزمانية المكانية التي يمكن أن تولدها الشبكة.

ويعتقد الفريق أن استخدام حوسبة الخـزان الفيزيائي في هذا السياق سيساهم في فهم أفضل لآليات الدماغ، وقد يؤدي إلى تطوير جهاز كمبيوتر عصبي.

ويمكن للكمبيوتر العصبي محاكاة البنى العصبية البيولوجية الموجودة في الجهاز العصبي للإنسان.

اقتصاد

زيادة انكشاف مصر ماليا على العالم وخطوط الدفاع ضد مخاطرها

إبراهيم نوار

قبل أيام من الذكرى السنوية الخامسة لقرارت تشرين الثاني/نوفمبر التي اتخذها محافظ البنك المركزي المصري بتخفيض الجنيه بنسبة 50 في المئة، ورفع أسعار الفائدة لحماية قيمته، تعلقت أنظار المودعين ورجال الأعمال والمستثمرين في مصر بنتائج اجتماع لجنة السياسة النقدية وقرارها بشأن أسعار الفائدة على التمويل بالجنيه المصري يوم الخميس الماضي. وكان المودعون الذين يعيش الملايين منهم جزئيا على عائد الودائع والمدخرات، يصلون من أجل زيادة سعر الفائدة لإعانتهم على مواجهة الغلاء. وعلى العكس منهم كان رجال الأعمال يتضرعون إلى الله بأن يقرر البنك تثبيت سعر الفائدة على الأقل، وذلك لمساعدتهم على مواجهة زيادة تكلفة الإنتاج بسبب الضرائب وأسعار الوقود والمواد الأولية والايجارات والأجور. أما المستثمرون أصحاب المحافظ المالية المليئة بأذون الخزانة والسندات، فإن أهمية سعر الفائدة على الجنيه المصري بالنسبة لهم تعود إلى المفاضلة بين البقاء في السوق، أو تخفيض حصة الجنيه المصري في محافظهم، أو الخروج منه تماما. وتعتمد هذه المفاضلة على معادلة حسابية بسيطة، تقيس معدل العائد الحقيقي على الجنيه مقارنة بالعملات الأخرى، بما فيها العملات الرئيسية مثل الدولار واليورو واليوان. ويختلف العائد الحقيقي عن العائد الاسمي في أنه يأخذ في الاعتبار معدل التضخم؛ فيتم خصم التضخم من العائد الاسمي. وقد بلغ التضخم السنوي في الشهر الماضي 6.6 في المئة، وهو ما يترك أسعار الفائدة الحقيقية عند مستوى تنافسي قوي جدا في السوق، بصرف النظر عما تتركه زيادة الانكشاف المالي على الخارج من آثار اقتصادية سلبية.

وقد تصادف اجتماع لجنة السياسة النقدية يوم الخميس مع إعلان التقديرات الأولية لمعدل النمو الاقتصادي في الولايات المتحدة للربع الثالث من العام الحالي، الذي جاء مخيبا للآمال، محققا نسبة 2 في المئة فقط مقارنة بنسبة 6.7 في الربع الثاني. هذا يعني عمليا استبعاد فكرة رفع أسعار الفائدة على الدولار قريبا، على الأقل حتى يتماسك النمو. ومن ثم فإن البنك المركزي المصري لم يكن تحت ضغط لرفع أسعار الفائدة لا لظروف خارجية أو داخلية، خصوصا وأن معدل التضخم المحلي ما يزال داخل النطاق الذي حدده.

أعلى عائد حقيقي

وحتى الأسبوع الماضي كان وزير المالية المصري يفخر بأن مصر تقدم للمستثمرين أعلى عائد حقيقي في العالم، أو على الأقل واحدا من أعلى المعدلات. السبب في ذلك أن العائد الاسمي على أذون الخزانة القصيرة الأجل يصل إلى حوالي 13.2 في المئة، في حين يبلغ التضخم 6.6 في المئة، وهو ما يعني أن العائد الحقيقي يتجاوز 6 في المئة، أي ما يقرب من أربعة أضعاف العائد على سندات الخزانة الأمريكية لأجل 10 سنوات، الذي يبلغ في الوقت الحاضر حوالي 1.55 في المئة. وعلى الرغم من أن بعض بيوت التمويل العالمية تضع علامات استفهام على القيمة الاسمية للجنيه المصري، إلا أن احتمال تخفيضه تخفيضا مفاجئا وبنسبة كبيرة، كما حدث في 3 تشرين الثاني/نوفمبر 2016 ليس واردا، وليس في مصلحة المستثمرين ولا أصحاب الودائع ولا الحكومة. ولا شك في أن جاذبية الاستثمار في العملة المصرية ستظل قائمة مع قرار البنك بتثبيت سعر الفائدة الحالي على العمليات الرئيسية للبنك المركزي الذي يبلغ 8.75 في المئة. ومن المتوقع مع إدخال محفظة أذون وسندات الخزانة إلى مؤشر جي. بي مورغان في أوائل العام المقبل أن يؤدي ذلك إلى زيادة موارد الخزانة من العملات الأجنبية، بحوالي مليار دولار حسب تقدير وزارة المالية.

الانكشاف المالي

تتضمن قيمة الانكشاف المالي الكلي مجموع العجز في الالتزامات المالية تجاه العالم الخارجي، وهو ما يتضمن صافي موازين التجارة السلعية والخدمية ودخل الاستثمار. وقد بلغت قيمة العجز في التجارة السلعية في العام الماضي 42.1 مليار دولار. كما سجل ميزان دخل الاستثمار عجزا صافيا بقيمة 12.4 مليار دولار حسب بيانات البنك المركزي. واعتمادا على هذه الأرقام فإن معدل انكشاف الاقتصاد المصري على العالم يبلغ حوالي 54.5 مليار دولار بما يعادل 15 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي. هذا الانكشاف عبارة عن موارد يتم اقتطاعها من حجم الاقتصاد وتحويلها إلى الخارج. المتغيران الأساسيان اللذان ساعدا على تقليل الأضرار الناتجة عن ذلك هما تحويلات المصريين العاملين في الخارج التي بلغت 31.4 مليار دولار، وفائض تجارة الخدمات بقيمة 5.1 مليار دولار، وهو ما أدى إلى تخفيض صافي الموارد الوطنية المحولة للخارج إلى 5 في المئة من الناتج المحلي فقط بقيمة 18 مليار دولار، وهو ما يتفق مع ميزان الحساب الجاري طبقا لتقديرات البنك المركزي.

تراجع عبء الديون

وقد أدركت الحكومة فعلا تأثير زيادة العبء المالي للدين الخارجي والديون بشكل عام، فاتجهت إلى تخفيض معدل الاقتراض بشكل عام داخليا وخارجيا، وزيادة الاعتماد على الضرائب لتمويل المصروفات العامة، بحيث انخفضت نسبة الدين العام (الداخلي والخارجي) الى 87.5 في المئة من الناتج في حزيران/يونيو 2020 مقارنة بـ 90.2 في المئة في العام السابق. ويقدر البنك الدولي أنه رغم ارتفاع القيمة المطلقة للدين الخارجي إلى 131.6 مليار دولار في كانون الأول/ديسمبر عام 2020 ، إلا أن نسبته إلى الدخل القومي الإجمالي انخفضت إلى 37 في المئة مقابل 39 في المئة في عام 2019 وأقل من المعدل القياسي البالغ 41 في المئة في عام 2018. وقد أدى ذلك إلى انخفاض قيمة مدفوعات الفائدة السنوية على الدين الخارجي الطويل الأجل بنسبة 8.5 في المئة في العام الماضي لتبلغ 3.1 مليار دولار بعد كانت قد سجلت أعلى مستوى لها بقيمة 3.4 مليار في عام 2019.

خطوط للدفاع وتقليل الضرر

على هذا الأساس فإنه يتعين على الحكومة الاستمرار في سياسة تقليل الانكشاف المالي الخارجي، بتخفيض معدل نمو الدين ونسبته إلى الناتج المحلي. وهذا لا يعني أنها ستتوقف عن الاستدانة تماما. وبمقارنة أرقام البنك الدولي حتى أول كانون الثاني/يناير 2021 بأرقام البنك المركزي المصري حتى نهاية حزيران/يونيو الماضي يتضح لنا أن قيمة الدين الخارجي قد ارتفعت من 131.6 إلى 138 مليار دولار خلال النصف الأول من العام الحالي. ولا ينبغي الفزع من ذلك، وليس من الحكمة التهويل من الخطر، طالما أنه ما يزال أمام الحكومة المصرية هامش للمناورة، وطالما أن لديها أسلحة ما يزال بمقدورها أن تستخدمها، وخطوط دفاع يمكنها أن تتحصن وراءها.

وسوف أعرض هنا لأربعة خطوط دفاع رئيسية، من شأنها أن تقلل الشعور بالفزع:

خط الدفاع الأول، هو حقيقة أن مصر لم تتعثر في سداد ديونها، ولا في سداد الفوائد المترتبة عليها، وأنها لم تطلب من الدائنين أو بعضهم إعادة جدولة الديون، كما حدث في الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي. خط الدفاع الأول ما يزال قائما وقويا، وهو ما يفسر استمرار قدرة مصر على الاقتراض، طالما استمرت جاذبية أسعار الفائدة مترافقة مع قدرة الاقتصاد على النمو، رغم الظروف العالمية الصعبة.

خط الدفاع الثاني، هو انخفاض نسبة الديون قصيرة الأجل إلى إجمالي الدين الخارجي. ورغم أن ذلك لا يجب أن يكون مبررا لزيادة الدين الطويل الأجل، فإن حقيقة أن نسبة الأعباء المالية العاجلة لسداد الدين الخارجي، هي أقل من نصف متوسط النسبة في الدول النامية المماثلة لمصر، تدعو إلى قدر من الاطمئنان، لأن خط الدفاع الثاني ما يزال يعمل بفاعلية. وتبلغ نسبة الديون قصيرة الأجل حوالي 9 في المئة من الدين الخارجي المصري، في حين يبلغ المتوسط على مستوى الدول النامية ذات الدخل المنخفض والمتوسط في العالم ككل حوالي 25 في المئة.

خط الدفاع الثالث، والأهم هو استمرار ارتفاع تحويلات المصريين العاملين في الخارج. ومن الظواهر المدهشة أن معدل نمو التحويلات في العام الماضي كان يعادل تقريبا معدل الزيادة في الدين الخارجي، وأكثر من ثلاثة أمثال معدل نمو الناتج المحلي. وعلى الرغم من تكرار توقعات تراجع التحويلات، حتى من جانب خبراء البنك الدولي، فإن معدل نمو التحويلات تحدى تلك التوقعات، وارتفع بنسبة هي الأكبر في العالم. ويجب أن نشير هنا إلى أن مصر وحدها استحوذت في العام الماضي على أكثر من نصف قيمة تحويلات العاملين في منطقة الشرق الأوسط ككل، كما أنها خامس أكبر دولة متلقية لتحويلات العاملين على مستوى العالم بعد الهند والصين والمكسيك والفلبين.

خط الدفاع الرابع الذي يحمي مصر من أن تتحول ديونها إلى كارثة هو قطاع الخدمات القوي جدا، وعلى رأسه السياحة وقناة السويس، والذي ينضم إليه على استحياء في الوقت الحاضر قطاع الخدمات المالية والتجارة الإلكترونية من خلال الدور الذي المالية الناشئة المصرية مثل «فوري» في بعض الأسواق المجاورة، والدور المحتمل لفرع شركة «أمازون» العالمية في مصر خصوصا على الصعيد الأفريقي. وعلى الرغم من أن خط الدفاع الرابع أصيب إصابات بالغة خلال أزمة كورونا، ولا يعمل بفاعلية في الوقت الحاضر، إلا أنه لا يمكن شطبه نهائيا، لأنه حقيقة اقتصادية قائمة، تنتظر استثناف التشغيل بقوة في الأجل القصير، متى ما تحسنت ظروف مواجهة الجائحة في مصر والعالم. خط الدفاع الرابع الممتد عالميا في قطاع الخدمات والنقل وطرق الإمدادات واللوجيستيات، هو أكبر كثيرا من مجرد السياحة وقناة السويس، وهو ما يزال تحت مستوى الحد الأدنى من التشغيل، ويمكن أن يضيف إعادة تشغيل بنيته الأساسية القائمة فعلا، بافتراض انحسار جائحة كورونا، إلى موارد مصر بالعملة الأجنبية ما يقرب من 15 مليار دولار على الأقل، قابلة للزيادة سنويا بلا سقف ولا حدود قصوى، وهو ما سيساعد على تمويل التنمية بموارد محلية ويقلل حاجة مصر للاقتراض. وقد حقق صافي ميزان تجارة الخدمات مع العالم في العام الماضي فائضا بقيمة 5.1 مليار دولار، ساعد إلى جانب تحويلات العاملين في الخارج على استمرار صمود الاقتصاد المصري.

غزة: جفت الزيتون يشكل مصدر رزق وفير للعاطلين عن العمل

إسماعيل عبدالهادي

يشكل موسم الزيتون وقطفه إلى جانب الاستفادة من تفل الزيتون الجفت مصدراً موسميا وفيرا لكسب الرزق، حيث يعمل هذا الموسم على توفير فرص عمل مؤقتة للعاطلين عن العمل، في وقت ترتفع فيه معدلات البطالة ونسب الفقر، جراء الحصار الإسرائيلي المفروض على قطاع غزة منذ أكثر من 14 عاماً على التوالي، وغياب فرص العمل أمام الشباب.

وينتظر غالبية العاطلين عن العمل في قطاع غزة وخاصة الفقراء منهم، موسم جني ثمار الزيتون بفارغ الصبر، للحصول على جفت الزيتون وهو النواة التي يتم هرسها داخل معاصر الزيتون المنتشرة في القطاع، حيث يتهافت الباحثون عن الجفت منذ ساعات الصباح الباكر على تلك المعاصر، من أجل الحصول على كميات وفيرة منه، باعتباره مصدرا بديلا للطاقة.

ويلجأ الكثير لشراء جفت الزيتون، خاصة أصحاب المصانع والأفران وأصحاب مزارع الدجاج من أجل التدفئة وفي المواقد المنزلية أيضاً، كما يستخدم بديلاً عن غاز الطهي خاصة لانخفاض أسعاره مقارنة بالغاز، حيث ينشط الطلب على الجفت مع بداية عمل معاصر الزيتون في تشرين الأول/أكتوبر من كل عام.

وتتخذ العديد من العائلات أيضاً من جفت الزيتون مصدر رزق لها، حيث تقوم ببيع الجفت بعد شرائه من معاصر الزيتون والترويج له في الطرقات وأزقة المدن والمخيمات في قطاع غزة، ليكون مصدر دخل لهم، فيما نجح مهندسون في إنتاج جفت الزيتون المعدل والمجفف ليوفر للسكان بدائل آمنة للتدفئة.

ويقول المواطن وليد مصلح إن موسم قطف الزيتون يعتبر «مصدر رزق بالنسبة لي، حيث أنني أحصل على كميات وفيرة من الجفت كل يوم، وأذهب إلى بيعها لمصانع مختصة تقوم على إعادة تصنيع الجفت على شكل قوالب أسطوانية، تمهيداً لبيعه من قبل تلك المصانع للمواطنين والمهتمين به».

وبين مصلح لـ«القدس العربي»: أن الإقبال على شراء الجفت يتزايد بشكل ملحوظ من قبل المواطنين وأصحاب المطاعم، لما يوفر ذلك من سحب في كميات غاز الطهي والكهرباء، حيث أنه يعتبر وقوداً بديلاً لأصحاب المصانع والمزارع، وسعره زهيد جداً مقارنة بثمن غاز الطهي والمازوت المستخدم بالمصانع».

وأوضح أن رزقه من بيع جفت الزيتون ينشط في المناطق الريفية بمحافظات جنوب قطاع غزة، مستغلاً في ذلك اعتماد الأهالي بشكل كبير عليه في التدفئة وإشعال أفران الطابون التي يشتهرون بها، في حين إن ثمن ما يجنيه من رزق يومي، يصل إلى 100 شيكل أي ما يعادل 10 دولارات أمريكية.

وأضاف بأن الجفت بات كنزا للمواطنين والمنشآت الصناعية والزراعية في قطاع غزة، خاصة في ظل الحصار الإسرائيلي، وانقطاع التيار الكهربائي لفترات طويلة، إضافة لأزمة الوقود وغاز الطهي وارتفاع أسعاره.

وتتعدد طرق تخزين الجفت، سواء بين وضعه في مكابس خاصة يتم تشكيله خلالها بشكل أسطواني أو عبر دوائر صغيرة، ويتم تعريضها لأشعة الشمس المباشرة حتى تجف وتصبح جاهزة لتكون مصدراً للطاقة البديلة، أو من خلال وضعه فقط تحت أشعة الشمس من دون أي تصنيع.

في سياق ذلك، يقول المهندس تامر أبو مطلق إن جفت الزيتون يوفر مصدر رزق للكثيرين في غزة خلال موسم جني ثمار الزيتون، إلى جانب أنه أثبت فعاليته القوية من خلال استخدامه للطهي والتدفئة نظراً لحرارته العالية، وصار يعتبر بديلا عن غاز الطهي ومصادر الطاقة الكهربائية.

وبين أبو مطلق لـ«القدس العربي»: أن الجفت يمر بعملية تصنيع بسيطة بعد الحصول عليه من المعاصر، حيث تبدأ بجمعه وتعريضه لأشعة الشمس حتى يجف بشكل تام، ولا يتسبب بانبعاثات ضارة عند إحتراقه من خلال إضافة بعض المواد، ومن ثم يجري تصنيعه بوضعه داخل آلات متخصصة، ليخرج في مرحلته النهائية على هيئة مكعبات أو أسطوانات سريعة الاشتعال.

وأوضح أن جفت الزيتون كان يشكل عبئاً بيئيا كبيرا، خاصة أن مخلفات عصر الزيتون غير قابلة للتحلل، ويتسبب تراكمها في أضرار بيئية كبيرة على الأراضي الزراعية والمياه الجوفية، إلى أن ازداد توجه السكان نحو استخدامه بعد الأزمات المتتالية التي تعرض لها القطاع.

وأشار إلى أن جفت الزيتون يتميز بأن فترة الاحتراق فيه أطول مقارنة بالحطب، لافتاً إلى أن الجفت يوضع في أكياس ويتم بيعه لمزارع الدواجن بشكل أساسي، لأنها أكثر جهة تستخدم الطاقة البديلة الى جانب أصحاب المصانع اليدوية، خاصة مصانع المفتول ومصانع البلاستيك وتدويرها وأيضا للاستخدام المنزلي.

وتعد صناعة الجفت وليدة في غزة رغم أن القطاع يشتهر بزيت الزيتون وتصديره للخارج منذ مئات السنين، ولكن هذه الخطوة هي فكرة منقولة عن الدول الأوروبية وبعض الدول الشرق أوسطية، التي تشتهر بزراعة الزيتون وتستخدم الجفت كبديل للتدفئة، على اعتبار أن درجات الحرارة في هذه البلدان منخفضة بشكل كبير.

مدن وآثار

النبطية المدينة اللبنانية الغارقة في أسرار التاريخ

عبد معروف

تعتبر مدينة النبطية، واحدة من أشهر مدن جنوب لبنان، نظرا لموقعها الجغرافي الاستراتيجي، وما فيها من معالم أثرية وسياحية وحضارية، وقربها من القلاع والحصون التاريخية والأثرية، وإطلالتها على مناطق واسعة داخل فلسطين المحتلة.

تقع في منطقة تتوسط مدن وقرى سلسلة جبال لبنان الجنوبي، وهي حلقة وصل بين الساحل والجبل والداخل، تبعد حوالي 70 كلم عن بيروت وتطل عليها قلعة الشقيف التاريخية من جانب، وترنو إلى الساحل اللبناني من بعيد من جانب آخر، إنها النبطية المدينة الغارقة في أسرار التاريخ، قديمه وحديثه.

ويعود تاريخ مدينة النبطية إلى عهود ومراحل زمنية موغلة في القدم، فقد مرت بعصور حجرية عدة، أقدمها العصر الحجري المشطوب، وقد دلت على ذلك الحفريات التي وجدت فؤوسا حجرية وأدوات مصنوعة من الحجر الضراني على عمق سبعة أمتار يعود تاريخها إلى ما بين 8 آلاف و15 ألف سنة قبل الميلاد.

ومـرّت النـبطـية بـالـفـترة النّيولونية والتي تدل عليها عدة مغاور، أشهرها مُغر محلّى، شمال المدينة ومغارة عش الغراب في حي البياض، وعلى تلة الخريبة تم العثور على بقايا مدينة بيزنطية تقدر مساحتها بحوالي 35 دونمًا. وتوجد فيها خزانات مياه تحت الأرض ورؤوس أعمدة قديمة وعملات نحاسية مختلفة وبقايا زجاجية وفخارية تعود إلى عهد إله الجبل «الجبلس» في الحقبة البيزنطيّة. وعلى مقربةٍ من عين الضّيعة هناك قبر النورية والتي كانت أرضًا لمعبدٍ قديم على عمق 1.5 متر من سطح الأرض والتي وجد فيها بقايا فُسيفساء ملوّنة. أما في وادي فخر الدين شمال غرب النّبطية، أكتشف طريق مرصوف يعتقد أنه جزء من الطريق الرّوماني المُقدّس الذي سار عليه السّيد المسيح من الجليل الأعلى في فلسطين إلى صيدون.

قوافل الأنباط التجارية

وتذكر كتب التاريخ أن قوافل الأنبـاط التجارية – والتي كان مركزهم مدينة بترا في الأردن – أخـذت تغدو وتعود بين مناطق الداخل وساحل صيدا ومرفئها البحري وأقاموا في المكان الذي حمل اسم النبطية محطة قوافل تجارية، ثم أماكن للسكن بصورة مؤقتة، ثم استوطنوا بصورة نهائية في المكـان فأطلق على المنطقة الـتي استوطنوا فيها بالنبطية فيما بعد.

وتعلم سكان النبطية القديمة من الأنباط أعمال الفلاحة والزراعة والـري، وأقـام السكان مزارعهم في مناطق عين الجمل وعين قبيس ووادي فخر الدين وفي المرتفعات الغربية والشرقية، وفي النبطية الفوقا وخراجها كانت الإقامة للمزارعين الذين مارسوا أعمال الفلاحة والزراعة، ثم تعززت تلك الأساليب بعدما توطنت قبائل عـاملـة فـي النبطية والجـنـوب اللبناني بشكل عـام، وأعطت اسمها لتلك الربوع ليصبح جبال عاملة ثم يختصر باسم جبل عامل، وما يزال.

كما مـرت النبطية بالعصر الفينيقي والروماني ثم البيزنطي، ويتبين ذلـك من خـلال ما تواجد مـن مـغـاور وكـهـوف فـي الحـي الـغـربـي والـشـرقـي والجـنـوبـي، وبعض القطع الأثرية من أجران ضخمة وأحجار الرحى والمدافن والنواويس، وكذلك العثور على أجـزاء من الطرق المرصوفة في وادي فخر الدين.

في كل حـال تحقق من خلال تلك المكتشفات بما لا يقبل الشك أن الأجيال البشرية التي تنتمي إلى العصور التاريخية القديمة، قد تواجدت وعاشت في النبطية وما حولها، وفي العصر الفينيقي كـان فـي جـوار النبطية مركز لهم، اتخذ منه ملك صيدا تبنيت مصيفا يقصده للراحة صيف كل عـام، وعُـرف فيما لاحقا باسم كفرتبنيت، وفـي محلة الخريبة المطـلـة عـلـى النبطية مـن جهة الغرب، عثر على بعض الفخاريات والـخـزف الملون تعود إلى العهد الفينيقي، ويعتقد بـأن الطريق الرومـانـي «الـمـقـدس» الـذي سار عليه السيد المسيح من الجبل إلى صيدون، يقع في خراجها، وقد عثر على بقايا من تلك الطريق في وادي فخر الدين الواقع في الشمال الغربي من المدينة.

حاضرة جبل عامل

وكـانـت النبطية فـي العصور الوسطى تمثل حاضرة جبل عامل وقاعدة بلاد الشقيف أو المملكة الشقيفية التي كانت تتبع لواء صفد، وفي العصر العثماني كان حكام النبطية الصعبيون يتخذون النبطية وقلعة الشقيف مركز حكمهم على البلاد، وفي نهايات الـقـرن الـتـاسـع عشـر أصبحت قائمقامية صغيرة، وخلال الحرب العالمية الأولـى خضعت للحكم العثماني، وبعد الانتداب الفرنسي أُتـبـعـت لـقـضـاء صـيـدا، وبعد الاستقلال استمرت كذلك، وفي سنة 1953 أصبحت قائمقامية تابعة لمحافظة جنوب لبنان، وعام 1975 أنشئت محافظة جبل عامل قاعدتها النبطية.

استمرت النبطية بصمودها بفعل أهـلـهـا وتصميمهم على البقاء رغم شراسة الاعـتـداءات الإسرائيلية بدءاً من العام 1974م مروراً باجتياح آذار/مـارس 1978 واجتياح حزيران/يونيو 1982 مـرورا بحرب الأيـام السبعة في تموز/يوليو 1993 وحرب عناقيد الغضب في نيسان/إبريل 1996 ثـم حـرب تمـوز/يـولـيـو 2006 حيث قـدمت النبطية عشرات الشهداء والـجـرحـى، بالإضافة إلى الخسائر المادية التي قدرت

بملايين الدولارات وتهجير عشرات العائلات التي تهدمت بيوتهم.

أصل اسمها

أصل تسمية النبطيّة روايتان، إحداهـمـا مـا أشـار إلـيـه الشيخ سليمان ظاهر في مقالة له في مجلّة «العرفان» (المجلّد الثامن، الجـزء التاسع، حزيران 1923) من «أنّ النبطيّة نسبة إلى نبط (الأنباط) والذين تركوا حضارة عريقة في مملكة بترا، جنوب شرق الأردن». وهو ما يؤكّده د. يوسف مـروّة الـذي قـال: «الدليل أيضاً في المعاجم أنّ الجرامقة قوم من الأنـبـاط، وبلدة الجرمق القريبة من النبطيّة فيها آثار تدلّ على أنّها من الأنباط». وأضاف «في العصر المملوكي كانت النبطية عبارة عن سوق تجاريّة، أي أنّ سوق الاثنين فيها قديمة تعود إلى عهد المماليك».

أمّـا الباحث علي مزرعاني، مـؤلّـف كـتـاب «النبطيّة ذاكـرة المكان والـعـمـران» فلفت إلـى أنّ الاعتقاد السائد أنّ تسمية النبطيّة استُمدّت من اللغة العربيّة وهي تعني نبط الماء، أي تفجّر وسال، وذلك لوجود ينابيع مياه عديدة فيها، وأضـاف مزرعاني إنّ عمر الوجود البشري في النبطيّة يعود إلى حوالي 2000 عام قبل الميلاد. وتـابـع: «دلّـت الآثـار الـموجـودة في المدينة على قدم استيطانها السكني، أقدمها العصر الحجري المشطوب الذي يعود تاريخه إلى حوالي الألف الثامن قبل الميلاد، وآثاره عبارة عن أدوات وفؤوس حـجـريّـة». ويشير مزرعاني أنّ الرحّالة إدوار روبنسون الذي زار المنطقة في العام 1852 دوّن في كتابه «يوميّات في لبنان»: «وصلنا النبطيّة، وهي قرية كبيرة في وادٍ فسيح خصب، أو حوض تنزح مياهه للشمال الغربي إلى الزهراني».

ولـفـت مزرعـانـي إلـى أنّـه مع الفتح العربي الإسلامي عام 634 م، استوطنت قبيلة عاملة اليمنيّة جنوب لبنان، حيث عُرفت المنطقة لاحـقـاً بـجـبـل عـامـل وقـاعـدتـه النبطيّة. وتابع: «بعد بناء قلعة الشقيف بـالـقـرب منها، بـدأت الـدسـاكـر بالانتشار في محيط القلعة وعلى الطرقات المؤدّية إليها، وخاصّة في وادي النبطيّة الذي كان ممرّاً قديماً وطبيعيًا للقوافل، ولوجود عيون مياه متفرّقة فيه ووجـود أراض خصبة للزراعة، ما دفع العديد من السكّان إلى الاستـقـرار. وقـد ازداد الاهتمام بالمنطقة بعد سيطرة المماليك، فجعل الملك الظاهر من النبطيّة نيابة كدمشق، ومـن ثـمّ اتّـخـذت أسرة آل صعب المعروفة بالصعبيّة مركزاً لتجمّع العشائر العامليّة في عهود الإقطاع التي توارثت الحكم فترة العهد العثماني».

سوق الاثنين

شهدت مدينة النبطية نشاطا اقتصاديا ملحوظا خلال الحكم العثماني وأدت إلى تنشيط الحركة التجارية بسبب تـوافـد التجار الأجانب، ومنها انطلقوا بتجاراتهم إلى الداخل في جبل عامل تحديدا، واسـتـتـبـع ذلـك تـوطـيـد النفوذ التجاري للطليان والفرنسيين في سائر البلاد والنبطية خصوصاً، الأمـر الـذي نـتـج عـنـه ازدهـار اقـتـصـادي وتـجـاري ونهضة عمرانية بين 1851 و 1864 فنمت الثروة في النبطية وفي مناطق أخرى في جبل عامل وكان للقطن والتبغ العاملي سوق رائجة في مصر وغيرها من البلدان، مما أدى إلى ازدهار سوق النبطية التجاري، فبات من أهم الأسـواق الشعبية في جبل عامل وجنوب لبنان على الإطلاق، حيث يتوافد إليه الناس كل نهار اثنين من الجهات القريبة والبعيدة ويجتمع فيه بين الخمسة والستة آلالاف نسمة، بين بائع وشـار، وكـان الـوافـدون من كل الـمـذاهـب والأجـنـاس، وبانتهاء يوم السوق يبدأ الناس بالمغادرة حيث لا يبقى أحد من تلك الجموع.

والجدير ذكره ان سوق الاثنين في النبطية قد مضى عليه مئات من السنين وما يزال يُعقد حتى اليوم.

اعتمدت النبطية منذ زمن طويل على العمل التجاري والزراعي، وشـكّـل سوقها حركة محورية في دخلها الاقتصادي حيث كان يؤمه معظم سكان المنطقة والكثير من أهالي جبل عامل، فاتسعت نشاطاتها عبر تجارهـا الذين توسعوا في عملهم المتنوع، فقدموا خدمات مزدوجة للسكان بتأمين حـاجـاتـهـم وتحـسـين مستوى المداخيل، وعلى الصعيد الصناعي عرفت النبطية بعض الصناعات عبر النحاسين والحدادين لآلات الحراثة والزراعة وكذلك الصاغة وصناعة الأحذية، وارتبطت بتلك الصناعات حركة عمالة شملت العديد من الأيدي العاملة المحلية، أما اليوم ونظرا للحالات الصعبة والانهيار المعيشي الذي يتعرض له لبنان، فقد تراجع العمل التجاري والـصـنـاعـي عما كـان عليه في العقود السابقة، واضطر العديد من شبابها إلى الهجرة والانتشار في أرجاء عالم الاغتراب.

ازدهـرت مدينة النبطية في القطاع الزراعي واتساع المساحات الـزراعـيـة مـنـذ زمـن بعيد رغم رقعتها الجغرافية الضيقة وتلالها المنحدرة، ففي القرن التاسع عشر أدخل أحد الوافدين إليها زراعة التبغ فكان الميرزا ابراهيم قد علم المزارعين زراعة التبغ التركي، ومن النبطية عُممت زراعته في القرى العاملية، وقد نتج عن تلك الزراعة الواسعة محاصيل درت مداخيل مريحة للمزارعين والعمال، وكان الركيزة الأساسية في الحركة الاقتصادية السنوية.

كـان عـدد السكان في النبطية خلال القرون الغابرة يكاد لا يزيد عن مثيلاتها من البلدات في جبل عامل وجـنـوب لبنان، فأحيانا كان يصل إلى بضع آلاف ويزيد وينقص تبعا للظروف الاقتصادية والأمـنـيـة، وقـد تميزت النبطية خلال العصور الوسطى بحالة من السيولة السكانية، وبعد الفتح العثماني بدأ عدد السكان بالتزايد ليصل في النبطية إلى ثلاثة آلاف، وخـلال العقود الأولى من القرن الماضي كان العدد أقل من خمسة آلاف نسمة. والـيـوم فـإن عدد السكان المسجلين فقط حوالي مئة وعشرين ألف نسمة، يتوزعون في أحيائها القديمة، كحي السراي والبياض والميدان والمسيحيين، والأحـيـاء الـجـديـدة في كفرجوز والـرويـس والمسلخ وعـين قبيس وكسار زعتر وخلة الهوا وتلة فخر الدين وتـول وغيرها، وأصبحت المدينة بمثابة نبطية كبرى تشمل النبطية الفوقا وميفدون وشوكين وزبدين وحبوش وكفررمان.

تتميز النبطية بكثرة مغتربيها في المهاجر وخاصة في أفريقيا الغربية، وليس مبالغة إذا ما قلنا بان من النادر ان تخلو أسرة واحدة في النبطية من مغترب واحد على الأقل وهناك شباب أسر بكاملها في الاغتراب. وتشير كتب التاريخ إلى أن مدينة النبطية في جنوب لبنان، لها جذور في عمق التاريخ، وموغلة في القدم، وتروي معالمها وآثارها التاريخية حكايات عصور من الزمن.

رياضة

من سيفقد وظيفته المرموقة قريباً بعد اقالة كومان من تدريب برشلونة؟

كومان رحل أخيراً من تدريب برشلونة

لندن- «القدس العربي»: عادل منصور

كما كان متوقعاً، اضطر رئيس برشلونة جوان لابورتا، للتخلص من الكابوس الهولندي رونالد كومان، بإعلان بيان طرده من «كامب نو»، بعد ساعات تعد على أصابع اليد الواحدة، من الهزيمة الموجعة، التي مني بها الفريق على يد رايو فاييكانو بهدف نظيف في إطار منافسات الجولة الحادية عشرة للدوري الاسباني، والتي جاءت بعد 3 أيام من الخسرة على السقوط أمام العدو الأزلي ريال مدريد بهدف مقابل اثنين في كلاسيكو الأحد الماضي، ليصبح أيقونة البارسا كلاعب في تسعينات القرن الماضي، أولى ضحايا أسبوع القمم والدربيات الكبرى في بلدان كرة القدم في أوروبا، وسط توقعات ومراهنات على إقالة المزيد من أصحاب المناصب المرموقة قبل تجمع اللاعبين الدوليين في عطلة نوفمبر / تشرين الثاني.

رهان خاسر

شاء القدر أن تكون ليلة الـ28 من أكتوبر / تشرين الأول، التي شهدت طرد الرئيس السابق جوسيب ماريا بارتوميو من منصبه في العام الماضي، تكون نفس ليلة الإطاحة بكومان هذا العام، كأنها رسالة بأن «ما بني على باطل فهو باطل»، ونتذكر كيف قامر رونالد كومان بمستقبله ومنصبه المضمون ووضعه الجيد مع المنتخب الهولندي، مفضلا الدخول في رهان وتجربة محفوفة بالمخاطر، بالموافقة على قيادة فريق يحتاج معجزة للعودة إلى وضعه ومكانته الطبيعية، وقبل هذا وذاك، يحتاج فترة ليست بالقليلة، لتجاوز صدمة فضيحة القرن أمام بايرن ميونيخ، تلك المباراة التي أعادت برشلونة إلى العصور الوسطى، وجعلته يفقد الكثير من هيبته وكبريائه، كفريق كان يضرب به المثل في «التيكي تاكا» وكرة القدم الممتعة للعين ومخيفة للمنافسين، إلى شبح يعيش على أطلال الماضي، خاصة في مباريات دوري أبطال أوروبا، التي لم تعد كالسابق، ليتجرأ الجميع على الكيان، بعد ظهور الفوارق الشاسعة بينه وبين كبار القارة.

والمثير للريبة بحق، أن كومان ضحى بفرصة قيادة منتخب الأراضي المنخفضة في اليورو، الذي تأجل لصيف 2021 بسبب الموجة الأولى لجائحة كورونا، وضحى كذلك بتوليفة اللاعبين السحرية، التي أحسن توظيفها لإعادة منتخب بلاده إلى الساحة العالمية، بعد الوصول إلى الحضيض الكروي في فترة ما قبل وبعد الفشل في الترشح لنهائيات كأس العالم في روسيا 2018، وأثبت ذلك بشكل عملي، بافتكاك بطاقة الترشح لنهائي النسخة الأولى لدوري الأمم الأوروبية، والتي خسرها أمام كريستيانو رونالدو ورفاقه في المنتخب البرتغالي، وسبقها ضمن التواجد في يورو 2020، مع ذلك، ضرب بمقولة حبيب الملايين عصام الشوالي عرض الحائط «المكان اللي جابلك الرزق بلاش تبدل فيه بلاش تغير فيه... لماذا تغير المكان يا ولدي»، ليجني ثمار ما زرعه، بنسف السمعة التي اكتسبها في فترته مع هولندا، بعد فشله الذريع في إقناع أكثر المؤيدين له بالاستمرار في منصبه لفترة أطول.

مشروع غامض

سيذكر كاتب التاريخ، أن كومان عاش في صراعات ومشاكل منذ يومه الأول في «كامب نو» وحتى لحظة إقالته، أو بالأحرى، يمكن تذكر مشاكله وتصريحاته عن الأزمات، أكثر من عدد المباريات التي ظهرت فيها بصمته، لعلنا نتذكر بداية افتعال الأزمات، بحرب التصريحات الباردة مع هداف الفريق السابق لويس سواريز، وكان ذلك، تنفيذا لتوجيهات الإدارة السابقة، لتفعيل خطة تقليل ميزانية الأجور، وكان السفاح واحداً من الأسماء المطلوب التخلص من راتبها الباهظ، لكن طريقة الانفصال، أقل ما يُقال عنها «لم تكن لائقة» بما قدمه النجم الأوروغواني مع الفريق، وذلك بإبلاغه بالبحث عن مستقبله في مكان آخر عبر مكالمة هاتفية. ولأن المصائب لا تأتي فرادى، تفاجأ كومان بمعركة حامية الوطيس بين ليونيل ميسي والرئيس السابق بارتوميو، بعد عرقلة محاولة البرغوث في الرحيل، وما حدث في تصريحاته النارية، التي مهدت الطريق لجمع تصويت الاستفتاء لسحب الثقة من الرئيس ومجلسه المعاون.

وسط هذا الضجيج، لم يكن الفريق يتقدم قيد أنملة إلى الأمام، بتقديم محتوى لا يختلف كثيرا عن الباسكي إرنستو فالفيردي، بل أقل من حيث النتائج، خاصة على مستوى الليغا، بترك المنافسة على اللقب بين الثنائي المدريدي الريال والأتلتي، حتى في دوري الأبطال، ودع المسابقة من دور الـ16، بهزيمة مذلة في ذهاب «كامب نو» برباعية مقابل هدف، منها هاتريك للفرنسي كيليان مبابي، والاكتفاء بتعادل إيجابي بهدف لمثله وأداء مشرف في «حديقة الأمراء»، وكالعادة، ظل ليو، صانع الحدث إما بالتسجيل أو صناعة الفرص، فقط يمكن القول، إنه يحسب للمدرب الهولندي، أنه منح بيدري فرصته بشكل حقيقي، ليعبر عن نفسه كمشروع نجم مستقبلي بامتياز، وبدرجة أقل، أعاد القليل من بريق عثمان ديمبيلي الموسم الماضي، قبل أن يدخل في غيبوبة الإصابات طويلة الأجل هذا الموسم، ومثله مواطنه أنطوان غريزمان، ولو أنه انقلب على الأخير مع بداية الموسم الجديد، وطالب النادي بالتخلص منه، لعدم الحاجة لخدماته في التشكيلة الأساسية، ليأتي الهولندي لوك دي يونغ ليجلس على مقاعد البدلاء براتب لا يقارن بما كان يتقاضاه الأنيق الفرنسي، أما غير ذلك، فعلى المستوى الشخصي، لا أتذكر المزيد من بصماته الجيدة، حتى الشباب الذين قدموا أوراق اعتمادهم للحصول على دقائق أكثر، وفي مقدمتهم يوسف ديمير، تفنن في تحطيمهم معنويا ونفسيا، باستبعادهم بعد كل تألق، على عكس ما يفعله كارلو أنشيلوتي مع إدواردو كامافينغا وميغيل غوتيريز وباقي جواهر ريال مدريد المستقبلية.

إقالة متأخرة

كان الاعتقاد السائد بالنسبة

الجميع مقتنع بان اقالة سولشاير من تدريب مانشستر يونايتد مسألة وقت

لعشاق البلو غرانا، أن الرئيس الجديد سيقوم بإعفاء كومان من منصبه بعد انتهاء موسمه الأول، وذلك كما أشرنا أعلاه، لعدم ظهور ملامح المشروع الذي جاء من أجله ولا حتى بصمته، فقط إنجازه الوحيد كان الظفر بكأس ملك إسبانيا، بعد اكتساح أتلتيك بلباو بالأربعة في نهائي «لا كارتوخا»، ويبدو أن هذا التتويج، كان السبب الرئيسي في حصول كومان على بعض الوقت في منصبه، أو ربما لعدم قدرة الخزينة على تحمل قيمة الشرط الجزائي في عقده، بالإضافة إلى تحمل راتب المدرب الجديد، لكن كما يقول المثل: «تعددت الأسباب والنتيجة واحدة»، بظهور الفريق لا بأداء ولا شخصية تعبر عن هويته والطريقة المفضلة للجماهير، مع الاعتذار لعشاق النادي العظيم، كأنك عزيزي القارئ تشاهد فريقا شابا غير مؤهل للمنافسة على أقل البطولات المحلية، صحيح هناك فاجعة وغصة في القلب من قلة الجودة في القائمة المتاحة لكومان، مقارنة بباقي الأجيال في العصر الحديث، لكن لا أحد يشعر بتأثير المدرب ولا بصمته على أداء اللاعبين فرديا ولا في المنظومة الجماعية. ربما أمام المنافسين الكبار، يكون له العذر والحجة في تبرير الهزائم، بحكم فارق الجودة والخبرة، لكن ماذا عن منافسين مثل رايو فاييكانو؟ أسوأ من ذلك، الاكتفاء بتحقيق 3 انتصارات في آخر 10 مباريات، علما أن الفريق انحنى في نصف هذه المباريات أمام بايرن ميونيخ وبنفيكا بالثلاثة في دوري الأبطال، وأمام أتلتيكو وريال مدريد ثم هزيمة منتصف الأسبوع، ليضطر لابورتا للتراجع عما قاله قبل هزيمة الهنود الحمر بأن «كومان لن يرحل مهما حدث»، أملا في إنقاذ ما يُمكن إنقاذه مع الرجل المخلص الذي تنتظره الجماهير لإعادة الهيبة والشخصية التي يبحث عنها برشلونة منذ الاستغناء عن لويس إنريكي عام 2017، وحتى وقت كتابة هذه الكلمات، لا تظهر المؤشرات أن الرجل القادم، على الأقل في المستقبل القريب سيكون المايسترو تشافي هيرنانديز، بعد رضوخه لضغوط مشجي ناديه السد القطري، لكي يبقى في منصبه لنهاية الموسم.

الضحية الجديدة

واحد آخر استنفد رصيده الاحتياطي لدى إدارة وجماهير ناديه، هو النرويجي أولي غونار سولشاير، بعد تدهور أوضاع مانشستر يونايتد معه بطريقة غير مسبوقة، آخرها الإذلال غير المقبول جماهيريا أمام العدو التاريخي ليفربول، في مباراة كلاسيكو عطلة نهاية الأسبوع الماضي، التي انتهت بخماسية كانت قابلة للزيادة، في ما اعتبرها الإعلام البريطاني بمثابة «القشة التي قصمت ظهر البعير»، كإشارة الى أنها كانت شعرة معاوية بين الإدارة والمدرب الاسكندينافي، الذي يثبت من مباراة لأخرى، أن أفكاره وخططه لا تتماشى مع طموح النادي وجماهيره، خاصة بعد وصول حجم الإنفاق لأكثر من نصف مليار جنيه إسترليني في حقيبته، وهو دعم يكفي لرؤية الفريق على قدم المساواة بالمنافسين الحقيقيين مانشستر سيتي، ليفربول وتشلسي، لكن على أرض الواقع، لا جديد يذكر ولا قديم يعاد، حتى في وجود الأيقونة كريستيانو رونالدو، ما زال الفريق يظهر بأسلوبه «القبيح» بالنسبة لمشجعيه، بالإفراط في الاعتماد على الهجمات المعاكسة، وترك الأمور للاجتهاد الفردي لكل لاعب في الثلث الأخير من الملعب، من دون خطط متفق عليها، أو تنوع في طرق شن الغارات، بالكاد نسخة طبق الأصل من برشلونة كومان، أشبه بالكتاب المحفوظ للمشاهد العادي، فما بالك للمنافسين، الذين يحضرون أيام للتعامل بأريحية مع أسلوب اليونايتد المكشوف، بتحضير بطيء من الخلف إلى الأمام، مع نقل كلاسيكي للكرة من قدم لقدم، من دون البحث عن حلول أو إبداع، باستثناء إرسال العرضيات من اليمين واليسار، بحثا عن رأس رونالدو، أو يأتي الحل من هجمة مرتدة منظمة، نادرة، ناهيك عن التباعد الغريب في الخطوط الثلاثة، والفجوة العميقة بين الوسط والدفاع، التي تسببت في كوارث أمام ليفربول، ودوما تخلق مشاكل، بالتسبب في تعقيد الأمور على الفريق، باستقبال هدف من أول محاولة أو هدف مبكر، ما أصاب المشجعين بنوبة ملل غير مسبوقة، بتحول الأمل والتفاؤل في يوم مباريات الفريق، إلى كابوس مدته ساعة ونصف ساعة، ولعل مشهد الخروج الجماعي بين شوطي مباراة الريدز، يعبر عن الحالة التي وصل إليها الفريق في عهد الابن غير البار للسير أليكس فيرغسون.

ظهور زيدان

صحيح سولشاير لم يتم الاستغناء عنه بشكل رسمي حتى هذه اللحظة، لكن أغلب المصادر الموثوقة، اتفقت أنه يقضي أيامه الأخيرة في «مسرح الأحلام»، حتى لو نجح في ما وُصف إعلاميا «الفرصة الأخيرة»، والحديث عن آخر ثلاث مباريات قبل العطلة الدولية أمام توتنهام وأتالانتا ومانشستر سيتي، وذلك لحرص الإدارة على الاستقرار في هذه الفترة المعقدة، وأيضا ليحصل أصحاب القرار على وقتهم بشكل كاف، قبل رسم إستراتيجية المشروع مع المدرب الجديد، وأغلب المصادر ترجح اسم الإيطالي أنطونيو كونتي، حتى أن بعض الصحف، ادعت أنه توصل بالفعل إلى اتفاق نهائي مع مسؤولي اليونايتد، ولا يتبقى سوى الإعلان الرسمي عن تعيينه، وهذا سيحدث بعد دقائق من إعلان بيان التخلص من سولشاير، لكن هناك مصادر أخرى، تؤكد أن الفرنسي زين الدين زيدان، ما زال الهدف الأهم بالنسبة للإدارة الأمريكية، لكن حجر العثرة يكمن في مماطلته وإصراره على استكمال ما تبقى من عطلته المفتوحة مع الأسرة، للتخلص من ضغوط عمله الشاق مع ريال مدريد في ولايته الثانية، وفي كل الأحوال، أصبح أولي بحاجة لمعجزة لشراء المزيد من الوقت بعد العطلة الدولية الأخيرة، وبدرجة أقل يواجه معه في بلاد الضباب البرتغالي نونو اسبيريتو سانتو، خطر الطرد، في ظل استمرار مسلسل صعود وهبوط الديوك من مباراة لأخرى، آخرها الهزيمة المحرجة أمام فيتيسه آرنهيم في دوري المؤتمر الأوروبي، ثم الخسارة من وستهام بنفس النتيجة 1–0، من دون خلق ولو فرصة واحدة على مرمى الحارس لوكاس فابيانسكي، لكنه كان محظوظا بحفظ ماء وجهه، بانتزاع بطاقة التأهل للدور ربع النهائي لكأس الرابطة الإنكليزية، بفوز عصيب على بيرنلي بهدف لوكاس مورا.

خارج البريميرليغ، يواجه الأرجنتيني ماوريسيو بوتشيتينو خطر الإقالة العاجلة، لاعتراض فئة عريضة من المشجعين على أداء وصورة الفريق تحت قيادة البوتش، من باب أنه لا يطوع هذا الكم الهائل من الأساطير والمواهب المتفجرة لخدمة المنظومة الجماعية، والدليل على ذلك، الفاعلية والأرقام الخجولة للثلاثي الحلم (MNM) ليونيل ميسي ونيمار جونيور وكيليان مبابي، هذا بخلاف المعاناة العامة في تحقيق الانتصارات في حقبة البوش، على عكس تطلعات وطموحات الجماهير، برؤية فريق الأحلام يتفنن في إذلال خصومه بنتائج عريضة، كما كان الوضع في حقبة توماس توخيل ومن سبقه في تحويل باريس سان جيرمان إلى ما يبدو عليه الآن، وجزء كبير من هذا الاختلاف بين بوتشيتينو وبين النادي وجماهيره، يرجع لعدم تطابق مدرسة البوش مع إيقاع الجمهور الباريسي السريع، حيث يعتبر ماوريسيو من المدربين، الذين يحتاجون فترة ليست قصيرة لبناء المشروع بالصورة المطلوبة منه، والدليل على ذلك وصوله إلى قمة النجاح في آخر موسمين في أعوامه الخمسة التي قضاها في الجزء الأبيض من شمال لندن. في المقابل، لا يطيق الجمهور الباريسي الانتظار كثيرا، لرؤية أحلامهم تتحقق على أرض الواقع في ظل وجود هذه الفرصة التاريخية، بجمع ثلاثي هجومي لا يمكن إيقافه مع تشكيلة مدججة بصفوة نجوم اللعبة في كل المراكز، لذا قد تصدق التوقعات الفرنسية، بانتهاء العلاقة بين بوتشيتينو وباريس سان جيرمان في المستقبل القريب، ليسلم الراية لزين الدين زيدان، بعد تقلص فرصه في تولي قيادة منتخب فرنسا حتى انتهاء ارتباط ديديه ديشان مع اتحاد الكرة، بعد الفوز بالنسخة الثانية لدوري الأمم الأوروبية، وهناك مصادر فرنسية، تزعم أن زيزو لن يقطع الإجازة، إلا لتولي قيادة منتخب فرنسا أو الإشراف على كوكبة نجوم «بي إس جي»، والسؤال الآن: هل سينجح بوتشيتينو في نسف هذه الشائعات ويفلت من مقصلة إقالة المدربين المنتظرة قبل العطلة الدولية؟ أم سيحدث العكس وتكون فرصة لعودة كونتي وزيدان أسماء أخرى بعيدة عن الأضواء منذ شهور؟ دعونا ننتظر.

بوتشيتينو يرزح تحت ضغوط هائلة في باريس سان جيرمان

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10432 الأحد 31 تشرين الأول (أكتوبر) 2021 – 25 ربيع الأول 1443 هـ

هل حان الأوان لهروب رياض محرز من قيود الفيلسوف؟

النجم الجزائري محرز مع مدربه غواردیولا

لندن – «القدس العربي»:

بينما يعيش فخر العرب النسخة المصرية محمد صلاح، أوج وأعظم لحظاته في مسيرته الاحترافية مع ليفربول، وصوره وأخباره تتصدر أغلفة الصحف والمؤسسات الإعلامية من مشارق الكوكب لمغاربه، هناك على مسافة لا تزيد على 35 ميلاً من الجزء الأحمر للميرسيسايد، يقضي فخر العرب الآخر النسخة الجزائرية رياض محرز، فترة عصيبة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، بعد التراجع الملموس في دوره وحضوره مع فريقه مانشستر سيتي، جراء المبالغة في تجاهله وتهميشه على مقاعد البدلاء من قبل فيلسوف العصر بيب غواردیولا.

بداية محبطة

بالعودة إلى الوراء 75 يوما، سنتذكر ضربة بداية محارب الصحراء مع السكاي بلوز، حين بدا وكأنه سيبدأ حملة 2021–2022 من حيث انتهى الموسم الماضي، بعد اختياره ضمن القوام الرئيسي الذي خاض معركة توتنهام الافتتاحية، التي خسرها حامل اللقب بهدف نظيف، في ما كانت المواجهة الرسمية الأولى لداية بيب السوداء نونو اسبيريتو سانتو، منذ تلك اللحظة، وتحديدا منذ استبداله في آخر 11 دقيقة، تبدلت أوضاعه من النقيض إلى النقيض، وصلت لحد تسجيل واحد من أسوأ الأرقام في مشواره في بلاد الضباب، بالجلوس على مقاعد البدلاء في ست مباريات على التوالي، وذلك في الفترة بين الجولتين الثانية والسابعة، بدأت بمنحه 15 دقيقة أمام نوريتش، و29 دقيقة في نزهة أرسنال في الجولة الثالثة، ثم جمده المدرب الكتالوني في المباراة العاطفية والخاصة بالنسبة للنجم الجزائري، باللعب أمام جماهيره ورفاقه القدامى في ليستر على ملعب معجزة 2016 «كينغ باور». وما زاد الطين بلة، تكرار نفس الموقف البارد، في قمة القمم أمام ليفربول في الجولة السابعة، بينهما حصل على 23 دقيقة أمام ساوثهامبتون وأقل من 10 دقائق في المواجهة الثأرية ضد تشلسي، في ما مجموعه 76 دقيقة بداية من الأسبوع الثاني وحتى السابع، وهو أمر لم يحدث مع رياض من قبل، وفي نفس الوقت لا يقارن بأرقامه في نفس الفترة الموسم الماضي، الذي استهله باللعب في 6 مباريات في التشكيلة الأساسية، مقابل مباراة واحدة كبديل على مستوى البريميرليغ، فقط يبقى دوري الأبطال القاسم المشترك الجيد بين موسمه الحالي والماضي، باللعب في أول 3 مباريات في مرحلة المجموعات، بإجمالي 171 دقيقة الموسم الماضي، وكل دقائق الحملة الحالية (270 دقيقة)، لكن بوجه عام، يصعب الاختلاف على أن حصيلة مشاركاته في الدوري الإنكليزي الممتاز، لا تليق لا باسم ولا نجومية لاعب بحجم قائد أبطال أفريقيا، خاصة بعد ارتفاع سقف طموحه، بالطمع المشروع في منافسة عظماء العصر على جائزة «الكرة الذهبية»، بفضل ما قدمه من سحر وفاعلية في الأوقات المفصلية الموسم الأخير، سواء في الصراع لاستعادة درع البريميرليغ أو في رحلة الحصول على أول تأشيرة لعب في نهائي دوري أبطال أوروبا.

ضحية الشو الإعلامي

معروف أن مانشستر سيتي، وقع مع أغلى صفقة في تاريخ المملكة المتحدة، بنقل الدولي الإنكليزي جاك غريليتش من أستون فيلا إلى ملعب «الاتحاد» مقابل 100 مليون جنيه إسترليني، وبالطبع، لا يُعقل أن يقوم غواردیولا بإهدار المال في الهواء، أو بمعنى آخر، يصعب عليه تجميد هذا المبلغ الخرافي على مقاعد البدلاء، وهذا ما جاء على حساب محرز، الذي تراجع ترتيبه بين المركزين العاشر والثاني عشر، بالمشاركة في 770 دقيقة في كل البطولات، مقابل 936 للوافد الجديد، وذلك بعد أن كان يتأرجح بين المركزين الخامس والسابع من حيث عدد دقائق اللعب في نفس الفترة الموسم الماضي، ولك أن تتخيل عزيزي القارئ، أن هذا يحدث مع واحد من ضمن الثلاثة الأكثر تأثيرا في الثلث الأخير من الملعب منذ بداية 2021 وحتى وقت كتابة هذه الكلمات، بالمساهمة في هز شباك الخصوم 26 مرة، بواقع 16 هدفا من توقيعه الشخصي، بالإضافة إلى 10 تمريرات حاسمة، بخلاف أهدافه العشرة التي سجلها في آخر عشر مباريات بقميص منتخب الخضر هذا العام.

وهذا يفسر سبب دخوله قائمة المرشحين الأوائل لنيل الجائزة الفردية المرموقة، وقولا واحدا، كان بالإمكان أفضل مما كان، لو سارت الأمور كما خطط لها محارب الصحراء، بالحصول على فرصته كما ينبغي، ليعبر عن نفسه مثل الصديق المنافس أبو صلاح وروبرت ليفاندوسكي والثنائي الخارق كريستيانو رونالدو وليونيل ميسي وكل المرشحين بجدية للظفر بجائزة المجلة الفرنسية، لكن لأن نسبة لا يستهان بها من المصوتين لاختيار لاعب العام، تتأثر بالضغط الإعلامي وتوجه «السوشيال ميديا»، فضلا عن اعتماد مظلم البريميرليغ، بجانب مواجهة محتملة في الدور الرابع لكأس إنكلترا، وزيارة «فيكاريج رود» في وسائل الإعلام العالمية، بتحول صيغة ومحتوى ما يكتب عنه، من مرشح محتمل وفوق العادة للملامسة «البالون دور»، على الأقل حتى نهائي الكأس ذات الأذنين، إلى مادة دسمة للشائعات والقيل والقال، بتقارير مُحدّثة من حين لآخر تشكك في استمراره مع مانشستر سيتي، إذا لم تتحسن أوضاعه في المرحلة القادمة.

مستقبل غامض

السؤال الذي يفرض نفسه: إذا كان بيب يتجاهل محرز بهذه الطريقة في الربع الأول من الموسم؟ فكيف سيكون الوضع بعد عودة المحارب من أداء الواجب الوطني مع بداية العام الجديد؟ في الغالب سيعاني الأمرين أكثر من أي وقت مضى، حيث ستجبره الظروف للابتعاد عن 6 مباريات على أقل تقدير، إلا إذا استطاع القيدوم جمال بلماضي ورجاله الدفاع عن لقبهم حتى المباراة النهائية لأمم أفريقيا في الكاميرون في يناير / كانون الثاني 2022، هنا ستمتد فترة غياب رياض لـ9 مباريات، وستكون البداية بمباراة برينتفورد، المقرر لها في الـ29 من ديسمبر / كانون الأول، ثم آرسنال في الجولة التالية في أول أيام العام الجديد ومواجهة الدور الثالث لكأس الاتحاد الإنكليزي في الثامن من نفس الشهر، وهذا سيحدث بمجرد انضمام النجم الكبير لمعسكر منتخب بلاده، قبل حتى بدء مباريات مرحلة المجموعات للكان، التي سيخوض خلالها الفريق السماوي معارك من نوعية تشلسي يوم 15 من الشهر الأول في العام الجديد، وساوثهامبتون على مستوى البريميرليغ، بجانب مواجهة إنكلترا، وزيارة «فيكاريج رود» في الأسبوع الخامس عشر للدوري الإنكليزي الممتاز، في حال بقى المنتخب الجزائري في الكاميرون حتى اليوم الأخيرة للبطولة الأفريقية. وسيكون محرز في موقف لا يُحسد عليها، إذا لم تتأثر نتائج الفريق بفترة غيابه المنتظرة، وبلغة المنطق والعقل، يمكن القول، إن بيب لديه من الخيارات والبدائل ما يكفي لتغطية غياب محرز أثناء وجوده في أدغال الماما أفريكا، والحديث عن مواهب بحجم فل فودن، وبيرناردو سيلفا، وجاك غريليش، وكيفن دي بروين، وباقي الأسماء التي يعرف الفيلسوف كيفية تطويعها لخدمة المنظومة الجماعية، كما فعلها عشرات المرات من قبل، بإيجاد حلول للخروج من ورطة غياب اللاعب رقم (9)، حين كان يفتقد طيب الذكر سيرخيو أغويرو وغابرييل جيسوس معا، وهذه ميزة لا تتوافر لدى أشرس المنافسين، في مقدمتهم ليفربول، الذي لا يملك بدائل على نفس مستوى الفرعون محمد صلاح، وبالمثل الثنائي الأفريقي الآخر المشارك في الكان ساديو ماني مع السنغال ونابي كيتا مع غينيا، وبدرجة أقل حامل لقب دوري الأبطال، الذي يملك تخمة من الأسماء غير المستغلة على مقاعد البدلاء. الشاهد، أن مهمة رياض بعد العودة من أمم أفريقيا، ستكون أكثر تعقيدا من الغرائب التي تحدث معه في الوقت الحالي، آخرها الاكتفاء بمنحه دقائق تعد على أصابع اليد الواحدة أمام برايتون، واستمرار هذا الوضع لنهاية الموسم، أو بمعنى آخر إذا أُسدل الستار على الموسم الجاري من دون أن يحصل على دقائق ومشاركات تليق باسمه ومكانته، كواحد من أمهر وأفضل نجوم اللعبة في الوقت الحالي، ستكون بمثابة الإشارة إلى اقترابه من الهروب من قيود الفيلسوف.

البحث عن السعادة

يعرف المشجع البسيط قبل خبراء التحليل والنقد، أن محرز لديه من الاحترافية والأخلاق ما يكفي لتفادي المشاكل والصدامات مع مدربه وإدارة النادي، لكن كأي «سوبر ستار» يبحث عن السعادة واللعب بصفة مستمرة في عطلة نهاية الأسبوع، سيكون من حقه استخدام سلاح الضغط على المسؤولين، بإبقاء وضعه الحالي كما هو عليه، وذلك وفقا لما انفرد به موقع «كالتشيو ميركاتو»، على ذلك، تعمده المماطلة في مفاوضات تجديد عقده، كخطوة تمهيدية لإجبار النادي على بيعه في فصل الصيف القادم، تحسبا لخروجه بدون مقابل مع انتهاء عقده في 2023، أو ربما تصدق توقعات الصحافة الفرنسية، بانتقاله إلى باريس سان جيرمان، كواحد من المرشحين بقوة لتعزيز المشروع الطموح، في حال انتهى المطاف بكيليان مبابي بالهبوط في «سانتياغو بيرنابيو» الموسم المقبل، كونه لمح في أكثر من مقابلة مؤخرا إلى انفتاحه على فكرة اللعب بجانب الأسطورة ليونيل ميسي، والسؤال هنا: هل يقبل محرز بوضعه الحالي حتى نهاية عقده مع السيتي؟ أم سيفاضل بين يوفنتوس وضمان اللعب كل أسبوع وبين باريس سان جيرمان أو مشروع آخر لا يسمح باللعب 90 دقيقة كل عطلة أسبوع؟ هذا ما سنعرفه من محرز في المرحلة المقبلة.

برشلونة «المهترئ» إلى أين

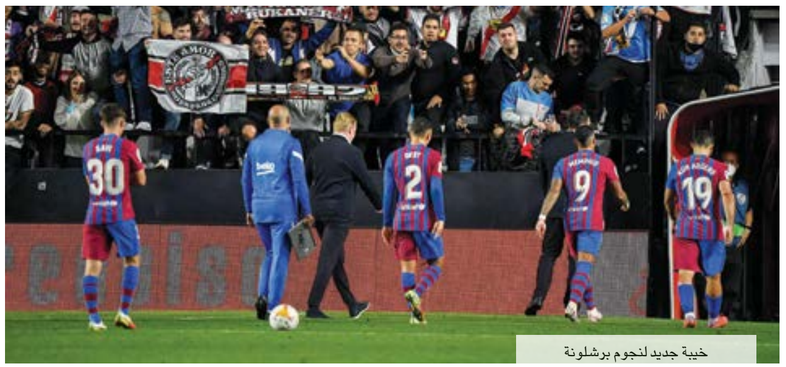
خيبة جديد لنجوم برشلونة

لندن – «القدس العربي»: جواد صيدم

مع اندثار ملامح برشلونة كرويف التي غزت الساحة الكروية ببريقها وسحرها المعهود خلال العقد الماضي، تصب أعيننا اليوم على قلعة كتالونية مهترئة تسودها الألوان الباهتة والكئيبة بعد رحيل الجيل الذي أمتعنا لسنوات طويلة.

اليوم، برشلونة بالكاد يتمكن من الخروج بتسديدة واحدة على المرمى أمام فرق كرايو فاييكانو وبنفيكا وقادش، فما الحال عند الحديث عن مواجهة فرق كبايرن ميونيخ الذي لم يتمكن الكتالوني من التسديد مرة واحدة على مرماه في ملعبه «كامب نو»! ذلك بغرار مواجهة أكبر أندية الليغا إذ تمكن الكتلان من التسديد مرتين على مرمى ريال مدريد وأتلتيكو مدريد خلال المواجهتين الأخيرتين. ولإعطائك عزيزي القارئ فكرة عن سوء حال نادي العاصمة الكتالونية يمكننا الالتفات إلى كريم بنزيمة لاعب ونجم الغريم التاريخي ريال مدريد الذي أحرز 11 هدفاً منذ بداية الموسم في قميص الأبيض في جميع المسابقات، بينما أحرز نادي برشلونة بأكمله 15 هدفاً في شباك منافسيه في كافة المسابقات حتى يومنا هذا. كما وتمكن برشلونة من الخروج مرتين فقط بشباك نظيفة من المباريات الـ13 التي لعبها منذ بداية الموسم لليوم. وإن لم تكن هذه الأرقام تعني شيئاً، فبمشاهدة شوط المباراة الأول من مباراة رايو فاييكانو الأخيرة، والتي يظهر فيها السرطان القاتل الذي انفش في أنحاء جسد الفريق الكتالوني. وعند متابعة مباريات الكتالان الأخيرة ندرك مدى تأثير ليونيل ميسي على فريقه السابق الذي لم يكن ليحلم بالوصول إلى مراحل متقدمة في العديد من المسابقات لولا وجوده خلال العقد الأخير. إذ ستر على عيوب زملائه لسنوات طويلة وتحمل عقم أدائهم في فترات عصيبة كان بأمس الحاجة إليهم فيها. وعند الغوص بتفاصيل ما يحدث في أزقة البيت الكتالوني يحتار لوم الجميع على الكارثة التي تدلي بثمارها الآن على أداء ونتائج الفريق. لكن ما يمكن قوله هو أن ما يحصل اليوم من انهيار منظومة النادي هو نتاج إهمال الإدارات السابقة التي تعاملت معه على انه هيئة أو شركة رابحة من خلال تجاهل المنظومة الكروية وتدعيم الفريق بأسماء لا تخدم المجموعة.

المشكلة الأبرز في النادي الكتالوني اليوم هو إدارته التي أتت بناء على وعود لم تتمكن من تنفيذها. إذ تمحور خطاب الرئيس الحالي جوان لابورتا حول امكانيته في الحفاظ على ليونيل ميسي وتجديد عقده خلال حملته الانتخابية وهو شيءٌ لم يحدث. ما أفقد برشلونة باختصار عموده الفقري الذي ارتكز عليه لخمسة عشر عاماً أو ما يزيد. كما يعرف لابورتا بحبه لأسلوب أسطورة النادي يوهان كرويف الذي فاز على نهجه الجيل الذهبي للفريق بكافة البطولات. لكن ما يعرفل تقدم وتطور المنظومة هو تدخل لابورتا المتكرر في أسلوب لعب الفريق. وهو ما واجهه المدرب المقال رونالد كومان، إذ أجبر على الالتزام بأسلوب لا يؤمن به ما جعله يبتعد ذهنياً عن نتائج الفريق التي استمرت بالانهيار.

اليوم، ما زال برشلونة يبحث عن مدرب جديد لتعويض الهولندي المقال كومان، ويدور الحديث في معظمه عن تشافي هيرنانديز، أحد أبرز أعضاء الجيل الذهبي في النادي. لكن قدوم تشافي يعود الى نقطة شخصية لابورتا التي تفضل إعطاء المدربين المبتدئين الفرصة على إعطاء الوظيفة لمدربين مخضرمين ذي خبرات وسجل ثري، وذلك لتسهيل تدخل الإدارة في أسلوب وطريقة لعب الفريق. وهذا النهج من الإدارة لا ينجح في تحصيل البطولات في الكرة الأوروبية الحديثة.

فما بين الفجوة التي تركها ميسي في الثلث الهجومي للفريق والتي أدت إلى اندثار الإبداع والحس التهديفي للفريق وبين الإدارة التائهة التي لم تف بوعودها عند استلام زمام الأمور ومحاولة تدارك الأزمة المالية، يستمر الكتالان في انتاج النسخة الأسوء لهم منذ عقود، إذ لا يبدو المستقبل القريب مشرقاً للقلعة الأزرق والأحمر.

بعد التضحية بالمدرب؟

Volume 33 - Issue 10432 Sunday 31 October 2021

خلدون الشيخ

هل كان كومان حقاً علة برشلونة؟

أخيراً تنفست جماهير برشلونة الصعداء بعد اقالة المدرب الهولندي رونالد كومان، بعد 14 شهراً مسمومة في النادي الكتالوني، خصوصاً في الأسابيع الأخيرة التي شهدت خسارتين متتاليتين، الاولى أمام الغريم ريال مدريد، والثانية أمام المغمور رايو فاييكانو، هي الاولى في 19 عاماً، بل أصبحت الهزيمة الخامسة في آخر 9 مباريات، والهزيمة الرابعة خارج الديار، حيث لم يسجل خارج أرضه هذا الموسم سوى هدف واحد فقط.

نعم، كل الأرقام سلبية، بل هناك أرقام قياسية كمؤشر الى حجم الاخفاق، حيث اعتبرت بداية هذا الموسم الأسوا لبرشلونة منذ 34 عاماً. لكن رغم كل هذه المساوئ هل كان حقاً كومان هو علة برشلونة؟

من البداية كانت فكرة التزاوج بين كومان والنادي مشوهة وغير طبيعية وآيلة الى ما آلت عليه من نهاية مخيبة، لسبب بسيط أن عقلية المدرب الهولندي صاحب الخبرة الكبيرة، الممتدة لأكثر من 20 عاماً، وشهدت نجاحات واخفاقات، لا تتناسب مع ثقافة النادي الكتالوني، كونها تتمحور حول أسلوب واحد يعتمد أكثر على اللعب المباشر والصلب الذي يعكس شخصيته كمدافع شرس، ولم يعرف عنه أسلوب اللعب الأنيق المعتمد على الاستحواذ وسلاسة التمرير واللعب الشيق، الذي اشتهر به برشلونة على مدى العقد الماضي، بل هو النقيض لذلك، ومع ذلك عينه الرئيس الكارثي السابق بارتوميو، ليس بهدف بناء الفريق واعادة الامجاد له، بل بهدف المساهمة في حل أزماته المادية وديونه الكارثية بإزاحة أصحاب الرواتب العالية، والقيام بالعمل القذر بالقسوة والصراحة المتناهية التي اشتهر بها الهولنديون، ففي مكالمة هاتفية استغرقت 40 ثانية فقط رحل الهداف لويس سواريز وتبعه راكيتيتش وأرتورو فيدال، بل أيضاً أبلغ ميسي بوقاحة ان عليه القيام بأدوار دفاعية لخدمة الفريق. فالهدف الأساسي من تعيينه هو محاولة الخروج من ورطة الديون الخانقة، علماً أن هيبة برشلونة ورهبته وصورته اهتزت قبل تعيين كومان بسنوات، بدأت أمام روما بخيبة الخسارة 3–0 بعد الفوز ذهابا 4–1 في 2018، وتلاها كارثة «انفيلد» عندما خسر امام ليفربول برباعية نظيفة بعد تقدمه ذهاباً 3–0، وبعدها فضيحة البايرن بالخسارة 2–8، هذه كلها كانت قبل مجيء كومان، بل لم يمنح هذا المدرب أي فرصة لمحاولة البناء وتوفير ما يكفي من المال لتعزيز خطوط الفريق، حيث فقد في مطلع الموسم الجاري تحت رئاسة لابورتا المزيد من المواهب، بل أبرزها على الاطلاق، ليونيل ميسي، وتبعه غريزمان وترينكاو وفيربو وايمرسون وبيانيتش، فقط لأجل تقليص مجموع الرواتب المهلكة. واذا قارنا ذلك بما يحدث مع مدرب مانشستر يونايتد أولي غونار سولشاير، الذي أنفق 500 مليون يورو على مواهب جديدة في السنوات الثلاث الأخيرة، والمردود المخيب، وما زال على رأس عمله، فان علينا فهم ما يمر به كومان، الذي اضطر، بالاجبار وليس كخيار، أن يضحي بخط هجومي مكون من ميسي وسواريز وغريزمان، بخط مكون من الطامح ديباي والمسن أغويرو والفقير فنيا لوك دي يونغ، عدا عن كم الاصابات الهائل لنجومه في مطلع الموسم، واضطراره للاستعانة بمواهب شابة من المفترض الا تشارك في الفريق الاول الا بعد عامين، فبيدري أنهك واستنزفت طاقته باللعب في اليورو مع المنتخب خلال الصيف بعد نهاية موسم شاق، ليلتحق بعدها مباشرة بالمنتخب الأولمبي في طوكيو حيث وصل الى المباراة النهائية، قبل ان يعود ويبدأ الموسم الجديد بعزيمة مثبطة وجسد منهك، وهو ما حصل مع المدافع الجديد ايريك غارسيا، الذي كان يتطور ويصقل في مانشستر سيتي، لكنه فجأة أصبح عنصرا أساسيا في المنتخبين الاول والأولمبي وبرشلونة، ولا أفهم لماذا يوافق البارسا على السماح بضم غافي (17 عاما) الى المنتخب الاسباني، وهو في طور التكوين.

هذه كانت كلها عوائق ومنغصات واجهها كومان، الذي لم يحظ بفرصة حقيقية لزرع افكاره مع الفريق، رغم أنه أيضاً يدان ويلام على الكثير من القرارات، منها تهميش بعض المواهب، على غرار أومتيتي ولانغليه وريكي بوتش وكوتينيو، والمبالغة في الاعتماد على المراهقين ديمير ولغافي وبيدري وفاتي، عدا عن التغيير الدائم في تكتيكاته وخطط لعبه وتغيير مراكز اللاعبين باستمرار، رغم تفهم الظروف الا انه كان يأخذ وقتاً طويلا قبل ان يستدرك أن خطته لا تنفع.

نعم كومان زرع أجواء مسمومة في النادي عبر تصريحاته القاسية والصريحة، ولومه اللاعبين، وان الاخفاق منهم، خصوصا من المهاجمين في اهدار الفرص السهلة وركلات الجزاء، ومعه حق، لكن هذا لم ينعكس ايجابا على اللاعبين المنهكين نفسياً ولا على الادارة التي تنتظر أي هفوة كبيرة بفارغ الصبر لاقالته، خصوصاً ان الفريق بات بلا هوية ولا شخصية، والأهم بلا هيبة، وقد يكون تشافي، المرشح لخلافته، يحلم باستعادة أمجاد الماضي، الا أن الجميع بات يعرف أن المشكلة الحقيقية ليست في المدرب.

@khaldounElcheik

مجتمع

أزمات لبنان تهدد حياة اللاجئين الفلسطينيين في مخيم نهر البارد

لبنان – «القدس العربي»:

لا تختلف الحياة داخل مخيم نهر البارد، عنها في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، فجميعها تشترك بمعالم البؤس وآلام اللجوء وحالات القهر وارتفاع نسبة الفقر والبطالة. لكن ما يزيد الأوضاع مأساوية داخل مخيم نهر البارد شمال لبنان، أن المخيم تعرض إلى التدمير الكامل عام 2007 بسبب اندلاع المعارك العنيفة بين الجيش اللبناني ومجموعات فتح الإسلام الإرهابية. وهذا ما أدى إلى تدمير المخيم ونزوح سكانه وحول الحياة فيه إلى جحيم دفع مئات الشباب للهجرة.

يقع مخيم نهر البارد على مسافة 16 كم من مدينة طرابلس بالقرب من الطريق الساحلي شمال لبنان، عند مصب نهر البارد في البحر المتوسط. وتقدر مساحته وقت إنشائه بحوالي كلم مربع واحد، أما اليوم فتبلغ مساحته حوالي 2 كم مربع. وأنشأ المخيم في الأساس اتحاد جمعيات الصليب الأحمر لتوفير السكن لأولى الدفعات من اللاجئين من شمالي فلسطين المحتلة.

وقد تم اختيار الأرض التي يقع عليها المخيم من قبل الحكومة اللبنانية بالاتفاق مع منظمة الصليب الأحمر الدولي التي أشرفت حينها على توزيع الخيام فنظمها في صفوف متوازية.

وتقدر الوثائق الرسمية اللبنانية أن عدد سكان المخيم قد بلغ 6.000 فرد وقت إنشاء المخيم عام1949 أما اليوم فقد بلغ عدد سكانه أكثر من 38.000 نسمة.

يتميز المخيم بنسيجه الاجتماعي ومحافظته على خصائص القرى الفلسطينية، فالأحياء مقسمة إلى حارات، صفوري وسعسع والبروي والدامون والعابسية وغيرها، وهي أسماء قرى فلسطينية لجأ سكانها إلى المخيم وبنوا فيه أحياءهم وحافظوا على خصائصهم القروية.

كما تميز مخيم نهر البارد، قبل دماره، ببنية اقتصادية استطاعت تشكيل سوق تجاري يمد القرى اللبنانية المحيطة بسلع رخيصة وصناعة محلية مثل الحديدّ والدهان والأدوات الصحية، فتحول المخيم إلى قبلة لتجار الجملة والمتسوقين من اللبنانيين والفلسطينيين والسوريين. وفي مرحلة قبل الثمانينات، كان نهر البارد محاطاً بأراض زراعية كبيرة يملكها لبنانيون من القرى المجاورة.

وبعد المخيم نهر خزانا تجاريا كان مزدهرا بأسواقه المتنوعة التي يعتمد عليها معظم سكانه في تأمين لقمة العيش الكريم ويضم آلاف المتعلمين من أطباء ومهندسين ويد عاملة ذات كفاءة ومهارة عالية لذلك يطغى عليه الطابع التعليمي والتجاري بشكل عام.

ويعتمد اقتصاد نهر البارد بشكل أساسي على التجارة حيث ينشط هذا القطاع نظرا إلى موقع المخيم على الطريق الدولي الذي يربط لبنان بسوريا، ووجود واجهة بحرية له يعمل تجار المخيم على استيراد السلع وإعادة بيعها بسعر تنافسي إلى تجار منطقة عكار بشكل خاص، وتجار شمال لبنان بشكل عام، ويساهمون بشكل من الأشكال بدفع العجلة الاقتصادية في القرى المجاورة.

في منتصف عام 2007 ونتيجة للمعارك التي اندلعت بين الجيش اللبناني ومجموعة فتح الإسلام المتطرفة، التي اتخذت المخيم مقراً لها، تمّ تشريد ما يقارب 27.000 لاجئ فلسطيني من المخيم والمناطق المحيطة به.

وتعرّض المخيم للقصف بالمدفعية الثقيلة والقنابل الجوية خلال حصار امتد ثلاثة أشهر. وقد قدّر أنّ ما يقارب 95 في المئة من كافة المباني والبنية التحتية قد دمّرت تماماً أو تضررت بشكل يتعذر إصلاحه، ممّا أجبر السكان على النزوح الى مخيم البداوي والمناطق المجاور.

لا تزال حوالي 5900 عائلة بعيدة عن بيوتها وتعتمد بشكل كامل على مساعدات وكالة الأونروا. ومنذ اندلاع الاشتباكات، تقدّم الوكالة المساعدة للنازحين من حيث الإيواء والمساعدة الغذائية والرعاية الصحية الاولوية والدعم التربوي. وأكدت أنها ستستمر في تقديم هذه المساعدات الملحّة حتى إنهاء إعادة إعمار المخيم وعودة السكان إلى بيوتهم.

أخذت الأونروا على عاتقها عملية إعادة إعمار المخيم بالتعاون والتنسيق مع الحكومة اللبنانية والدعم المالي من قبل المجتمع الدولي. وأكدت الوكالة أن آخر تقدير لكلفة بناء مخيم نهر البارد بلغ ما يقارب 345 مليون دولار أمريكي. وحتى اليوم لم يتمّ تأمين إلا 44 في المئة من المبلغ، مما يجعل النقص حوالي 183 مليون دولار.

وأمام آلام اللجوء والدمار الذي أصاب المخيم عام2007 والأزمة الاقتصادية والمالية والصحية التي تفاقمت خلال السنوات القليلة الماضية، وحالة الانهيار العام التي يتعرض لها لبنان، يعيش اللاجئون الفلسطينيون ظروفا اقتصادية ومعيشية صعبة بدأت تبرز معالمها من خلال الهجرة إلى الدول الأجنبية بعد ارتفاع حالات الفقر والعوز وتفاقم نسب البطالة.

ويؤكد أستاذ مادة التاريخ في مدارس «الأونروا» أيمن السيد لـ«القدس العربي» أن اللاجئين الفلسطينيين في مخيم نهر البارد كغيرهم من اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، يعيشون حياة اقتصادية تهدد مستقبل أجيالهم إن لم تكن هناك مبادرات دولية وعربية تعمل سريعا لإنقاذ حياة اللاجئين ليس بسبب تداعيات اللجوء والظروف الصعبة داخل المخيمات فحسب، بل بسبب الانهيار العام الذي يتعرض له لبنان.

وفي رأي السيد لا إمكانية لوقف معاناة اللاجئين الفلسطينيين في مخيم نهر البارد وفي جميع مخيمات اللاجئين الفلسطينيين، إلا بتدخل دولي سريع وعاجل من منظمات المجتمع المدني وخاصة الأونروا المسؤولة عن رعاية اللاجئين الفلسطينيين.

وحول مظاهر الأزمة يقول الإعلامي الفلسطيني وليد عبد العال «تفاقمت الأزمة المعيشية داخل مخيم نهر البارد خلال السنوات الأخيرة أولا بسبب ما نتج عن الحرب العنيفة التي اندلعت بين الجيش اللبناني ومجموعات فتح الإسلام الإرهابية منتصف عام 2007 ما أدى إلى تدمير مساحات وأحياء واسعة من المخيم اضطر خلالها أبنائه للنزوح والإقامة في الخيم وإقفال المدارس ووقف الأعمال».

وذكر عبد العال لـ«القدس العربي»: «عندما بدأ إعادة إعمار المخيم شهد لبنان أزمات اقتصادية وأمنية وصحية حادة، وانتشر فيروس كورونا واتخذت الدولة اللبنانية إجراءات صارمة للحد من الفيروس، ثم تعرضت الليرة اللبنانية للانهيار وأقفلت الطرقات واندلعت المواجهات على امتداد الأراضي اللبنانية.

هذا كله انعكس سلبا على حياة اللاجئ الفلسطيني الذي طلب منه البقاء في منزله وداخل مخيمه والالتزام بالإجراءات الأمنية والصحية التي تتخذها السلطات اللبنانية».

ويختم عبد العال، لذلك، تفاقمت الأزمة المعيشية داخل مخيم نهر البارد، وارتفعت نسبة البطالة وأعداد العاطلين عن العمل وأقفلت المؤسسات ولم يعد الشاب الفلسطيني يجد فرصة عمل، وتزايدت حالات الفقر والعوز وموجات الهجرة بحثا عن بلاد أكثر أمنا يمكن فيها إيجاد فرصة للحياة.

وفي محاولة للتخفيف من الأزمة المعيشية أطلقت العديد من المبادرات الفردية التي تشرف عليها وتديرها منظمات المجتمع المدني، وأطلق مجموعة من شبّان وأهالي مخيّم نهر البارد أخيرا، مبادرة لدعم سعر ربطة الخبز للأهالي، حيث يُصار إلى شراء كميّات من ربطات الخبز وبيعها بسعر التكلفة، كنوع من تخفيف حدّة الأزمة الاقتصاديّة التي يعيشها اللاجئون الفلسطينيون في المخيّم.

وعن المبادرة التي لاقت ترحيبا واستحسانا من أهالي المخيم، قال أحد القائمين عليها الحاج أبو الهول إنّ الحملة استطاعت بيع 2000 ربطة خبز بنصف قيمتها، أي بسعر ألفي ليرة لبنانية للربطة الواحدة، على مدى 3 أيّام من انطلاقها.

وتقوم المبادرة وفق أبو الهول على تبّرعات أبناء المخيّم، وكل من يستطيع الدعم كلّ حسب قدرته، فالبعض تبرّع بخمسين ألف وآخرون بمئة ألف ليرة لبنانية وهكذا. وهو ما يوفّر دعماً وتخفيضاً لسعرها على المُشتري الذي يدفع نصف قيمتها والمتبرّع يدفع النصف الآخر.

وتأتي هذه المبادرة، ضمن أخرى شهدها مخيّم نهر البارد وعدّة مخيّمات أخرى، للتخفيف من حدّة الأزمة الاقتصاديّة. وكان مجموعة من الشبّان المغتربين أطلقوا سابقاً مبادرة لتأمين الدواء من دول الإغتراب وإرسالها إلى محتاجيها في المخيّم.

ونبهت وكالة الأونروا من خطورة انعكاسات الأزمة الاقتصادية اللبنانية على مخّيمات اللاجئين في لبنان، وقالت في بيان لها، إنّ وصول اللاجئين بشكل عام والفلسطينيين بشكل خاص إلى مصادر كسب العيش قد تأثّر بالأزمة، كما أدى الانخفاض غير المسبوق في قيمة العملة المحلية إلى انخفاض القوة الشرائية للاجئين في حين استمرت الأسعار في الارتفاع بشكل كبير، مع تجاوز معدل التضخم 100 في المئة، إلى جانب استمرار ارتفاع معدلات الفقر.

صينية خضار بالكريمة

المكوّنات

نصف كيلو فطر طازج
كوبان من الذرة
حبتان طماطم
حباتان فلفل أخضر
رأس بروكولي
نصف كيلو صدر دجاج مشوي
4 أكواب قشطة ممزوجة بالقليل من البقدونس
2 كوب جبن موزاريلا مبشور
ملح
فلفل أسود

طريقة التحضير

نقطع الفطر إلى شرائح والفلفل والدجاج إلى مكعبات ونفصل زهرات البروكولي عن بعضها البعض.

في صينية بايركس مقاومة للحرارة، نضع طبقة من الدجاج المشوي المقطّع.

نسكب مقدار كوب من القشطة الممزوجة بالبقدونس المفروم.

نوزع طبقة من شرائح الفطر الطازج المقطع.

نضيف طبقة من زهرات البروكلي على وجه الصينية.

ننثر حبات الذرة الصفراء فوق البروكلي.

نضع طبقة من الطماطم الحمراء المقطعة إلى مكعبات متوسطة الحجم.

نسكب الكمية المتبقية من القشطة الممزوجة بالبقدونس وننكه بالملح والفلفل الأسود بحسب الرغبة. ننثر جبن الموزاريلا على وجه الصينية وندخلها إلى فرن ساخن مسبقاً لربع ساعة أو حتى يذوب الجبن ويصبح وجه الطبق ذهبي اللون.

نخرج الصينية من الفرن ونقطعها ونقدمها ساخنة.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بإرسال وصفاتكم الخاصة إلى إيميل:
recipe@alquds.co.uk

«الصودا دايت» تزيد من الوزن

أظهرت نتائج دراسة حديثة أن تناول «الصودا دايت» المخصصة للحمية بدلاً من العادية، قد يزيد من استهلاك السعرات الحرارية وبالتالي زيادة الوزن وخصوصاً عند فئة معينة من الأشخاص أكثر من غيرهم.

فعند إتباع حمية غذائية بهدف تخفيض الوزن، يلجأ العديد من الأشخاص إلى استبدال الأطعمة والمشروبات إلى ما هو مخصص للحمية وكما يعتقد أنها خالية من السعرات الحرارية بحيث تتضمن المحليات الصناعية، مثل الصودا دايت التي يسوق لها على أنها خالية من السكر أو السعرات الحرارية وتساعد في إنقاص الوزن. ولكن هل هي فعلاً كذلك؟

وكشفت دراسة حديثة وجود صلة بين المشروبات الغازية «الدايت» وتناول السعرات الحرارية. وقد أجريت الدراسة بإشراف مجموعة من الباحثين الذين يدرسون علوم الأعصاب والسمنة والطب في جامعة جنوب كاليفورنيا بالولايات المتحدة بمشاركة 74 مشاركاً يتمتعون بصحة جيدة تتراوح أعمارهم بين 18 و 35 عاماً، ويتمتع جميعهم بأوزان مستقرة، وليس لديهم تاريخ من اضطرابات الأكل أو مرض السكري.

وأفاد الباحثون أن الهدف كان فحص التفاعل العصبي لأنواع مختلفة من منبهات الطعام عالية السعرات الحرارية والاستجابات الأيضية، وسلوك الأكل، بعد أن تناول بعض المشاركين السكرالوز (مُحلي صناعي) بينما تناول البعض الآخر مشروباً سكرياً وشربت مجموعة أخرى الماء فقط.

بعد ذلك، تم تحليل استجابات المشاركين/ ات باستخدام صور الدماغ الوظيفية بالرنين المغناطيسي، وعينات الدم لقياس نسبة السكر في الدم وهرمونات التمثيل الغذائي، ومقدار تناولهم للطعام. بحسب ما نشره موقع جامعة جنوب كاليفورنيا.

الشعور بالجوع

وحسب الباحثة كاتلين بيج، وهي طبيبة متخصصة في السمنة بجامعة جنوب كاليفورنيا، فإن التجربة قد أظهرت وجود نشاط متزايد في مناطق الدماغ المسؤولة عن الرغبة الشديدة في تناول الطعام والشهية لدى كل من النساء والأشخاص الذين يعانون من السمنة بعد تناول المشروبات التي تحتوي على السكرالوز، مقارنة بالمشروبات التي تحتوي على سكر حقيقي. بحسب ما نشره موقع «ايت ذيس نت ذات» الأمريكي.

وبالنسبة لهذه المجموعات، قد يؤدي شرب المشروبات المحلاة صناعياً إلى خداع الدماغ للشعور بالجوع، مما قد يؤدي بدوره إلى استهلاك المزيد من السعرات الحرارية، في حين أن الرجال وذوي الوزن الصحي لم تكن لديهم استجابة متزايدة للجوع ولم يتأثروا بتناول التحلية الصناعية بالطريقة نفسها.

الحمل

مرحلة جديدة في حياتك المهنية ستؤتي ثمارها

الثور

إحذر الازدواجية في العلاقات

الجوزاء

إزالة الخلافات هي سر نجاحك

السرطان

تذهب مع الشريك في أسفار ممتعة

الاسد

تتسلم مركزاً جديداً يزيدك ثقة وتفاؤلاً

العذراء

تركز على مشروع شخصي أو يتعلق بالعمل

الميزان

تغير في المنحى وحديث عن لقاء أو زواج

العقرب

لا تغامر في مواجهات سلبية

القوس

الحبيب قد يصاب بالقلق إذا تعاملت معه بتهور

الجدي

لا تكن متهاوناً في الاهتمام بصحتك

الدلو

تلتقي زميلاً في العمل وتحاول أن تتقرّب منه

الحوت

حاول أن تستعيد نشاطك وعافيتك

جديد الطب

منظمة الصحة تكشف عن خطة لمكافحة كورونا بالدول الفقيرة

ناشدت منظمة الصحة العالمية ومنظمات إغاثة أخرى، الخميس الماضي، زعماء أكبر 20 اقتصادا في العالم تمويل خطة بقيمة 23.4 مليار دولار لمساعدة البلدان الأكثر فقرا على الحصول على لقاحات وأدوية كوفيد–19 وإجراء الاختبارات في العام المقبل.

وتحدد الخطة الطموحة ملامح الاستراتيجية المعروفة باسم «مبادرة تسريع إتاحة أدوات مكافحة كوفيد–19» حتى أيلول/ سبتمبر 2022 ويُتوقع أن تشمل استخدام حبوب تجريبية مضادة لفيروس كورونا تؤخذ عن طريق الفم من إنتاج شركة الأدوية ميرك اند كو لعلاج الحالات الخفيفة والمتوسطة.

وقالت الخطة إنه إذا وافقت السلطات التنظيمية على استخدام هذه الحبوب التجريبية، فقد تصل التكلفة إلى 10 دولارات للشخص الواحد.

وقال كارل بيلدت، المبعوث الخاص لمنظمة الصحة العالمية لدى المبادرة، «الطلب يستهدف (الحصول على) 23.4 مليار دولار. هذا مبلغ معقول من المال، لكن إذا قارنته بالضرر الذي لحق بالاقتصاد العالمي أيضا جراء الجائحة، فإنه ليس مبلغا كبيرا بهذا القدر».

وأقر بيلدت، رئيس وزراء السويد السابق، بأن المبادرة تواجه صعوبات للحصول على هذا التمويل، مشيرا إلى أن النرويج وجنوب أفريقيا تشاركان في قيادة جهود جمع الأموال. وقال «لذلك نتوقع استجابة قوية من (مجموعة العشرين) في الاجتماع المقرر في روما في نهاية الأسبوع». وتعمل شركات صناعة الأدوية حول العالم على التوصل إلى أدوية لعلاج مرض كوفيد–19 استكمالا لحملات اللقاحات المضادة لفيروس كورونا، والمقصود هنا أدوية أثبتت فعاليتها بدرجة كبيرة، حيث من الممكن أن تكون أداة إضافية ضمن الجهود المبذولة حاليا لوقف انتشار الوباء، والمساعدة في حماية الأشخاص الذين لم يحصلوا على اللقاح بعد، وذلك ربما لأنهم لا يستطيعون ذلك.

ولم يتم حتى الآن تطوير أي أدوية مخصصة لعلاج مصابي فيروس كورونا، والموافقة على استخدامها مع جميع المرضى.

لذلك يعيد الأطباء استخدام الأدوية المتوفرة الحالية لعلاج بعض المضاعفات الناتجة عن الإصابة بكورونا لدى بعض الحالات وعلى سبيل المثال، يتم إعطاء الكثير من المرضى الذين يتم نقلهم إلى المستشفيات، أدوية لسيولة الدم، وذلك لأن كوفيد–19 يزيد من خطر الإصابة بتجلط الدم، والنوبات القلبية، والسكتة الدماغية.

وغالبا ما يتم إعطاء المضادات الحيوية للحماية من حدوث الالتهابات البكتيرية المحتملة. وتكمن صعوبة علاج المرض في التكوين البيولوجي للفيروس، بحسب ما كتبه مؤخرا عالم الأحياء الجزيئي السويسري، إيمانويل فايلر، في صحيفة «برلينر تسايتونغ»، حيث يقول إنه في حال أصيب المرء بفيروس سارس كوفيد 2، فإنه لا تظهر عليه أعراض في البداية.

وكتب فايلر، الذي يجري بحثا في مركز «ماكس ديلبروك للطب الجزيئي» ومقره برلين: «عندما يصاب المرء بالسعال أو التهاب الحلق، فإن جهازه المناعي، في معظم الحالات، يكون قد بدأ بالفعل في محاربة الفيروس. والحال هو نفسه مع الأنفلونزا، فإن الأدوية التي تستهدف الفيروس بصورة مباشرة غالبا ما تأتي بعد فوات الأوان.»

ويعد «ريمديسيفير» الدواء الوحيد الذي حصل على موافقة تسويقية مشروطة في الاتحاد الأوروبي.

وقد قامت شركة الأدوية الأمريكية «جلياد ساينسز» بتطوير العقار وبيعه تحت الاسم التجاري «فيكلوري» حيث يتم وصفه للاستخدام في معالجة كورونا لدى البالغين والمراهقين (الذين تتراوح أعمارهم بين 12 عاما وأكثر، والذين لا يقل وزنهم عن 40 كيلوغراما) فقط، من المصابين بالتهاب رئوي يتطلب الاستعانة بأنابيب أكسجين، ولكن دون أن يتعين وضعهم على أجهزة تنفس صناعي.

وقد وجد أن عقار «ريمديسيفير» الذي تم تطويره في الأصل لعلاج فيروس إيبولا، يمنع تكرار الإصابة بمجموعة واسعة من فيروسات كورونا التي تصيب البشر والحيوانات أيضا. وهناك حاليا ثمانية أدوية لعلاج مرض كوفيد–19 في مراحل مختلفة من عمليات الموافقة عليها من جانب وكالة الأدوية الأوروبية، وتشمل عقاقير الأجسام المضادة التي يتم استخدامها بالفعل مع حالات المرض الخفيفة.

هل يمكن علاج مرض التوتر المزمن؟

يبدأ الجسم بإطلاق إشارات تحذيرية على شكل أعراض حين يواجه مشاكل جسدية أو نفسية، مثل ما يحدث في حالة التوتر. فالتوتر حالة قلق تصيب الإنسان عند الخوف أو العصبية أو حين مواجهة صعوبات أسرية أو في مجال العمل أو مشاكل اقتصادية.

ورعشة العينين وآلام المعدة والتقرحات المزمنة قد تبدو أعراضا مرضية عادية. لكنها علامات واضحة على ظهور وتمادي التوتر المزمن عند الإنسان. فإذا انتابتك هذه الأعراض، تعرف على أفضل الطرق لعلاجها.

ويعمل جسم الإنسان بنظام متناسق معقد ويمكنه التكيف مع مختلف الأوضاع البيئية والاجتماعية التي تطرأ عليه. ويبدأ الجسم بإطلاق إشارات تحذيرية على شكل أعراض حين يواجه مشاكل جسدية أو نفسية، مثل ما يحدث في حالة التوتر.

وفيما تكون أغلب أنواع القلق طبيعية ولا خوف منها وتختفي بزوال أسبابها، إلا أن التوتر المزمن يأتي على شكل نوبات متكررة تصيب الإنسان عند أبسط الأشياء، مثل عدم تحمل سماع الضوضاء أو عدم القدرة على رؤية الضوء. وفي حالات التوتر والقلق المزمنين، لا ينبغي تركهما من دون علاج، لأنه قد يسبب مضاعفات كبيرة أو نوبات انفعال شديدة، وقد ينتهي الأمر بالإصابة بأمراض القلب أو التعرض للإصابة بأمراض نفسية حادة.

وهذه بعض الأعراض الشائعة لمرض التوتر المزمن:

مغص وآلام في المعدة والأمعاء، وخاصة أثناء العمل:

المعدة والأمعاء الدقيقة حساسة جداً وتتجاوب بسرعة مع الانفعالات العصبية للإنسان وتبدأ بزيادة إنتاج هرمون الكورتيزول في الجسم. وحينها تبدأ الغدد الكظرية بالنضوب، الأمر الذي يؤدي إلى ارتفاع مستويات البروتستين في الجسم وإصابته بالحساسية المفرطة للآلام، كآلام الظهر والعضلات. ويزيد الكورتيزول أيضاً من حساسية الدماغ للآلام، الأمر الذي يرفع من وتيرة نوبات الصداع.

وعلاج هذه الحالة يكون عبر تناول سليم ومنتظم للغذاء، حتى تتمكن الأمعاء الدقيقة من القيام بعملها بصورة طبيعية. ويفضل تناول البطاطس والمعكرونة والابتعاد عن اللحوم والسكريات في هذه المرحلة. وفي الحالات المزمنة، يفضل مراجعة طبيب مختص.

رعشة العينين:

قد يكون سبب رعشة العينين غير الطبيعي نقص في بعض المواد الغذائية كالكالسيوم والمغنيسيوم، وقد يكون سببه التوتر أيضاً، إذ إن الشخص المصاب بالتوتر يمسك برأسه كثيراً عند التوتر ويسبب بذلك اختلالاً في عمل عضلات الوجه بصورة عامة، ما يسبب رعشة العينين.

ورعشة العينين بسبب التوتر غير ضار إذا ظهر في بعض الأحيان فقط. ولا ينصح بأخذ أي علاج طبي له، وإنما ينصح بالراحة وترك أسباب القلق.

الالتهابات الجلدية «هربس»:

وهي تقرحات تظهر على الأغلب في الوجه وفي الفم وهي معدية ويمكن أن تنتشر إلى مناطق أخرى ويمكن أن تتحول إلى بثور إذا أهملت. والسبب الأساسي لهذه التقرحات هو فيروس «هربس» الذي يبقى فترة طويلة في جسم الإنسان بدون أية أضرار أو أعراض، إذ يسيطر عليه جهاز المناعة في الجسم ويمنع انتشاره. لكن الإصابة بالتوتر تضعف جهاز المناعة ويبدأ فيروس «هربس» بالانتشار، خاصة في منطقة الفم.

وتقوية جهاز المناعة هو الحل الأفضل لفيروس وتقرحات «هربس» ويُنصح بتناول مواد غذائية غنية بفيتامين «سي» والزنك. وهناك أيضاً بعض الدهون الطبية المصنوعة من الأعشاب الطبيعية التي تساعد على إيقاف انتشار التقرحات، مثل لوماهيربان، بحسب ما يذكر موقع «بريفيته» الألماني.

السعال المفاجئ وعدم القدرة على الكلام:

وسبب ذلك رد فعل الجهاز العصبي للإنسان عند نوبات التوتر. وتوتر الرقبة والفك الأسفل قد يؤدي إلى اختلال في عمل الجسم ونوبات من السعال وحتى عدم القدرة على الكلام.

ويكون العلاج عبر تناول العلكة وشرب السوائل. وينصح بالخلود إلى الراحة لإزاحة عضلات الوجه. (Dw)

منوعات

«ليلة السقوط» مسلسل درامي يكشف أوراق سقوط مدينة الموصل تحت سلطة «داعش»

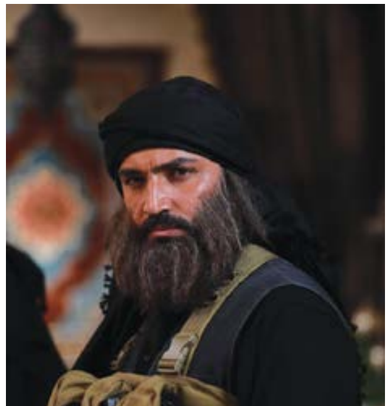

مروان ياسين الدليمي

من الوارد جدا ان تكون للأعمال الدرامية فرصة ثمينة للخروج من إطار وظيفتها التقليدية في تحقيق التسلية العابرة للمتلقي كما هو شائع في منطقتنا العربية، والانتقال إلى مستوى آخر من حيث طبيعة ما يطرحه خطابها الفني من محتوى يلامس قضايا معاصرة تتسم بحساسية بالغة، لأن القطع في تحديد أسبابها لم يحسم بعد، خاصة إذا ما تعلق الأمر بمسألة تتداخل فيها صراعات سياسية وعقائدية، تتوفر في حيثيات كوالبسها دوافع مختلفة، منها ما يرتبط بعوامل محلية ومنها ما له صلة بأبعاد إقليمية ودولية، مثلما هو الحال بقضية سقوط مدينة الموصل في العاشر من حزيران/ يونيو 2014 تحت سلطة «داعش».

وإذا ما انتقل العمل الدرامي في معاييره الفنية، شكلا ومحتوى ليلعب مثل هذا الدور فإنه بذلك سيصبح مادة فنية مهمة تصلح ان تكون أداة للمتلقي تمكنه من أن يقترب بوعيه وذائقته في فهم الواقع والتاريخ، وإذا ما توفرت فيه عناصر النجاح والتكامل الفني لربما يزاحم في تأثيره أهمية الكتب والمصادر التاريخية. ومسلسل «ليلة السقوط» يجري تصويره في مدينة أربيل بإقليم كردستان العراق، وتولى كتابته السيناريست المصري مجدي صابر والمخرج السوري ناجي طعمة، وهو الإنتاج الأول لشركة بالاحدود العراقية، وتأتي أهمية هذا المسلسل لانه يتصدى لحدث واقعي، بات من غير الممكن ان لا نصفه بانه حدث تاريخي، لانه رسم واقعا جديدا ليس للعراق فقط انما للمنطقة العربية والإسلامية، ولم يعد ممكنا تجاوز ارتداداته على المستوى الدولي.

أهمية دراما المسلسلات

إن الأعمال الدرامية وفي مقدمتها المسلسلات باتت تشكل الجزء الأكبر من اهتمامات الجمهور الذي آخذ يستهلك وقتا طويلا أمام التلفزيون وهو يتابع أحداثها التي تتوزع على أكثر من مئة حلقة في بعض النتاجات مثل التركية والمكسيكية، بمعنى أنها أصبحت تحظى بأولوية قصوى في سلم أولويات المواد التي يتابعها المتلقي عبر الشاشة أو الايتوب.

ولهذا فإن تناول موضوعة مهمة مثل حدث سقوط مدينة الموصل تحت سلطة تنظيم «داعش» وما نتج عنه من تداعيات في مسلسل تلفزيوني، سيكتسب أهميته لكونه العمل الأول الذي يقترب عبر هذه المغامرة الفنية من تعقيدات ذلك السقوط الذي نتجت عنه كوارث عسكرية ومجتمعية ونفسية ما تزال تمارس أثرها المدمر على مكونات المجتمع العراقي التي عانت صنوف الترهيب والقتل والتهجير والنزوح.

ما يعطي لهذا المسلسل «ليلة السقوط» أهميته لدى شركة بالاحدود التي تحملت مسؤولية إنتاجه، انها لأجل تقديمه بأفضل صورة وظفت مجموعة مهمة من خبراء تقنيين في الإضاءة والتصوير والأزياء والديكور ينتمون لأكثر من بلد عربي، إضافة إلى قائمة تضم المع نجوم العرب، مثل طارق لطفي واحمد صيام ورياض الخولي من مصر، وباسم ياخور وميلاد يوسف وكندا حنا من سوريا، وصبا مبارك من الأردن، وجواد الشكرجي ورياض شهيد وذو الفقار وسمر محمد من العراق، كما تولى إدارة التصوير طاقم تونسي على مستوى عالي من الاحتراف. إضافة إلى المخرج السوري ناجي طعمة، وبلغ عدد الممثلين المشاركين في العمل أكثر من 150 ممثلا وممثلة، أما كلفته الإنتاجية فقد تجاوزت خمسة ملايين دولار حسب ما أفاد لنا د. قيس الرضواني مدير الشركة المنتجة للعمل.

الاقتراب من الموضوعية

الخطوة الأبرز في هذا المسلسل انه تم إسناد كتابة السيناريو إلى الكاتب المصري مجدي صابر، ولأجل ان تقترب رؤيته الدرامية من طبيعة الأحداث الواقعية، حرصت الشركة المنتجة على ان يزور مدينة الموصل ويبقى فيها فترة من الزمن، ليكون قريبا من الأماكن التي شهدت أبرز الوقائع، حيث التقى العديد من الأشخاص الذين كانت لهم تجارب مريرة تحت سطلة تنظيم «داعش» واستمع إلى الكثير من القصص التي عاشوها أو كانوا شهود عيان لها. وعن هذه الخطوة يقول د. قيس الرضواني مدير شركة بالاحدود «كنت متقصدا ان يتولى كتابة السيناريو اسم له تاريخ في الكتابة الاحترافية، وان يكون من جنسية غير عراقية حتى أنني كنت معنيا ان يتولى الكتابة شخص غير مسلم، لكي يذهب العمل في بنائه إلى ناحية أقرب ما تكون إلى الموضوعية ولايتسلل للانحياز القسري واللامنطقي في رؤيته للأحداث، وهذه القضية بالنسبة لي كانت بغاية الأهمية، بمعنى ان تكون الرؤية الدرامية موضوعية، وان لا تنزاح بعيدا عن واقعية الأحداث التي كانت سببا في ما جرى من انهيار سريع وتدمير شامل أمام حفنة إرهابيين لم يتجاوز عددهم 350 ساعة اقتحامهم للمدينة، خاصة وان الانهيار لم يقتصر على الجانب العسكري والأمني فقط، بقدر ما شمل النسيج المجتمعي المتين الذي كانت مدينة الموصل تتميز به على مدى تاريخها الطويل» ويضيف ان «جل اهتمامنا كان منصبا من جانب آخر على الجوانب الإنسانية المشرقة التي تجلت في هذه المحنة، وكان أبطالها من جميع فئات وقوميات ومذاهب المجتمع الموصلي، وفي الحقيقة هذا هو جوهر مجتمع مدينة الموصل الذي لم تستطع وسائل الإعلام ان تستوعبه، لكننا في هذا العمل كنا حريصين على ان يكون محتوى رسالتنا يتضمن هذه الفكرة، لانها موجودة في تفاصيل الواقع المجتمعي، ولأنني أبن هذه المدينة وأعرف خصوصيتها وثراء مجتمعها الإنساني».

أربيل والموقع البديل

شاء المخرج والجهة المنتجة ان تكون قلعة أربيل موقعا رئيسيا لتجسيد ما يسرده المسلسل من تفاصيل، نظرا لما تحويه من بيوت وأزقة وفضاءات معمارية قريبة الشبه من مدينة الموصل القديمة التي جرت فيها أبرز الأحداث الواقعية، إلى جانب المستلزمات الأخرى التي يحتاجها صانعو المسلسل مثل الفنادق وأماكن السكن، إضافة إلى ما وفرته حكومة إقليم كردستان من دعم لوجستي كبير بالشكل الذي أزالت أي معوقات إنتاجية حتى انها جندت العديد من عناصر البيشمركه ليكونوا جزءا من الجاميع الكبيرة التي يقتضيها سيناريو الأحداث على مدى الحلقات الثلاثين. والأهم من ذلك ان مدينة أربيل يتوفر فيها الأمن والاستقرار وهذا ما يمنح العاملين الشعور بالاطمئنان.

فريق العمل وبعد مضي أربعة أشهر أوشك على الانتهاء من تصوير المشاهد الأخيرة، لانهم كانوا قد بدأو التصوير مع بداية تموز/يوليو الماضي، بالتالي سيكون المسلسل جاهزا للعرض في رمضان المقبل مثلما أكد لنا مدير الشركة المنتجة للعمل، متوقعا ان ينال نسبة كبيرة من المتابعة، نظرا لأن الموضوع الذي يطرحه ما زالت تداعياته تلعب دورها في رسم خرائط الأحداث الراهنة في العراق.

جحيم ومطهر وفردوس الشاعر دانتي

نايلا رومانوس إيليا: كُتِبت الكوميديا الإلهية لزمننا

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

سحرت الكوميديا الإلهية المهندسة المعمارية والفنانة اللبنانية نايلا رومانوس إيليا. شغلت مخيلتها وإذا بها تستلهم من خيال شاعرها دانتي أليغري تجهيزاً فنياً أسمته «على المقلب الآخر من الزمن». دانتي أليغري خاطب بأرقامه المنطق الذي تعتنقه كمهندسة، فحث عقلها الفني على الابتكار. وإذ بها تشغل بتجهيزها المتمثل بدوائر ونوافذ وشجرة في الأعلى ساحة مميزة من مدينة بيروت. التجهيز الذي صممته نايلا رومانوس إيليا يمثّل الصراع الأبدي بين الخير والشر، ويسعى لتجسيد رحلات الشاعر دانتي أليغري بين الجحيم والمطهر والفردوس.

بمناسبة الذكرى الـ700 لوفاة دانتي أليغري جرى رفع الستار عن هذا التجهيز الفني المميز في ساحة كنيسة مار الياس – القنطاري في بيروت، وسط حضور حاشد، وذلك بالشراكة مع المعهد الثقافي الإيطالي في بيروت. افتتاح تبعه عرض موسيقي راقص أعدّ خصيصاً للمناسبة وتمثل بعزف على آلات وترية لموسيقيين من جامعة سيدة اللويزة.

مع الفنانة نايلا رومانوس إيليا هذا الحوار:

○ تعبيراً عن الكوميديا الإلهية ساحة مار الياس ـ القنطاري بيروت تتزين بالجحيم والمطهر والفردوس، في ظل التفلت العام وهموم الناس كم سيستمتعون بهذا التجهيز؟ وهل سيغير مزاجهم للحظات؟

● سؤال يضع الإصبع على الفكرة التي أحاول إيصالها للناس. للأسف يفتقد بلدنا للساحات العامة، وإن كانت موجودة فهي تحتاج لأعمال فنية تشغلها. مبدأ الأعمال الفنية سواء في الساحات أو في الطرقات يتوجه للناس الذين يمرون بقربها، ولا يتوجه فقط لمن هم على تواصل دائم مع الفن، يقدرونه ويعرفون أبعاده. مع التأكيد بأن الفن إحساس أكثر منه فهم. صممت هذا العمل كجواب على الزمان والمكان الذي نعيشه. اخترت هذا الموضوع بالتحديد لأننا نعيش وضعاً صعباً للغاية. نعاني من فساد وتناحٍ، ومن جرائم تُرتكب بحق الناس من دون محاسبة الفاعلين. إنه موضوع الكوميديا الإلهية. وجميعنا كشعب لبناني نعاني من هذه الظروف. موضوع الكوميديا الإلهية هو الصراع الدائم بين الشر والخير، والعقاب لمن يرتكب الشر، ومن معانيها المهمة أنها تتيح الخلاص لمن يعترف بخطاياه ويرغب بالخلاص.

○ الكوميديا الإلهية ملهمة للمسرح والموسيقى والفن، أين تأثرت بها كمعمارية وفنانة؟

● شكلت الكوميديا الإلهية شغفاً دائماً لي. وعندما أعدت قراءتها ليس من زمن بعيد إكتشفت أن موضوعها يعنيني أكثر مما كنت أعتقد، خاصة في حالنا اللبنانية الراهنة. كُتبت الكوميديا الإلهية قبل 700 سنة، لكنها معاصرة لدرجة أني أشعرها وليدة الأمس، وأنها كتبت لهذا الزمن، حيث يزداد الصراع بين الماديات والروحانيات. فالمضاربات تكبر، والشر يكبر، وهذا ما بلغ ذروته لبنانياً، وترك أثره على المجتمع ككل، وأدى لإنهيار بلد بكامله. يقول دانتي أن من لا يعترف بخطاياه مصيره الجحيم وإلى أبد الآبدين، فيما المطهر ينتظر من يعترفون بتلك الخطايا، حيث يمرون بالتدريج عبر الشرفات التي وصفها وصولاً إلى جنة عدن ومن ثم الفردوس. كمهندسة معمارية تأثرت كثيراً بكيفية تخيل دانتي لهذا العالم، ووجدت قدرة كبيرة للاستلهام من هذا التخيل. التعبير عن خيال دانتي شكّل أساساً في عملي. أخبرنا دانتي بكيفية تكوّن العوالم الثلاثة الجحيم والمطهر والفردوس، وقال بأن شجاراً وقع بين الإله وجوبيتير ملك الشياطين. إثره وقع جوبيتير من السماء ورأسه نحو الأسفل مما تسبب بحفرة في الأرض. حفرة عريضة من الأعلى ورفيعة من الأسفل. وصف دانتي الحفرة بأنها تتشكل من تسع دوائر كبيرة من الأعلى، وتصغر بالتدريج وصولاً إلى منتصف الأرض، حيث ترمز كل دائرة إلى خطيئة محددة. مع العلم أن مزيداً من الانحدار نحو الأسفل يعني خطايا الفساد والخيانة، ومزيداً من النزول نحو الدائرة الأصغر يعني مزيداً من العقاب. فالدائرة الأصغر تعني الخطيئة الأخطر والعقاب الأكبر. ويأتي جبل المطهر من الجهة الأخرى حيث تقع الهاوية للمرتكبين. يظهر قياس وشكل جبل المطهر وكأنه فضاء الجنّة. في التجهيز الذي أنجزته تبدو جهنّم وحولها دوائر، تليها دوائر من مادة الإسمنت، تحيط بها، ومن ثمّ الشرفات المستديرة التي تكوّن جبل المطهر. يتيح شكل التجهيز للمتفرج الجلوس على حافة إحدى شرفات المطهر، والتأمل، وسيلاحظ أن إحدى الشرفات ضيقة للغاية، وفي آخرها شجرة صغيرة ترمز لجنة عدن. وتماماً كما توجد تسع دوائر في جهنم وفي أسفلها الشيطان، فللمطهر تسع شرفات وفي أعلاها جنة عدن. إذاً التَطَهُّر من الخطايا يساهم بالإرتفاع من شرفة إلى أخرى وصولاً إلى جنة عدن. ومن هناك تشاهد الدوائر الكبيرة المصنوعة من الـ«ستانلي ستيل» والتي ترمز للفردوس. فدانتي ومن خلال خياله الجيومتري وضع الأرقام والأشكال، وكان بعضها كما الكرات المتحركة التي تدور حول الأرض.

○ كيف حكم الرقم 9 عملك وهو عدد دوائر الجحيم ومصاطب الجنة والأجرام السماوية التي توّجت الفردوس؟

● كانت الأرقام محورية في عملي لأني رغبت بتجسيد خيال دانتي وكما وصفه، حيث توجد دوائر تسع لجهنم. وفي داخل كل برميل إن صحّت التسمية صممت تسع دوائر، والعاشرة منها ترمز إلى الشيطان في الأسفل. جذبني إلى هذا العمل دقة النظام الذي اتبعه دانتي. انطلقت من الفكرة التي تدور حولها الكوميديا الإلهية، ووجدتها تقدّم إجابات لوضعنا اللبناني، ومن ثمّ تتبعت التفاصيل كما وصفها دانتي، فاستعملت أرقامه وأشكاله بالتمام. وصف دانتي جهنم بالمستديرات، وهي نفسها كانت للمطهر إنما بمنحى إيجابي. ووصف دانتي كرات تسع تدور حول الأرض، وفي التجهيز الذي نفذته تسع مستديرات تعربش بعضها على الآخر. وأشار أن الإله يسكن فوق تلك الكرات، والمستديرة العاشرة في عملي صُنعت من مواد لها مغزى رمزي. فمادة الـ«كورتيل» كانت لتجهيز جهنم، وتتكون من حديد شكله صدِء على الدوام. لجأت لهذا المعدن كرمز للزمن الطويل. وبحسب ما ورد في القصيدة حمل باب جهنم كتابة تقول «ستفقدون كل أمل لدى الدخول إلى هنا». لماذا؟ لأن دخول جهنّم أبدي، والصدأ يعطي نوعاً من الإحساس بالوقت. وصُنعت الشرفات المستديرة من الأسمنت، وبعضها باللون الطبيعي، وبعضها الآخر شكله صدِء، وذلك بناء على وصف دانتي للمطهر بالجبل. أما الدوائر التسع التي عبّرت عن الفردوس صُنعت من الـ«ستانلي ستيل» والدائرة العاشرة حيث يسكن الإله، يصفه دانتي بالمكان الذي لا يُلمس، لهذا صُنعت من «سانلي ستيل» اللامع، وكل ما حولها ينعكس عليها وبالتالي يستحيل رؤيتها. إنها رمزية مادة العمل.

○ دانتي يرسل الخاطئين إلى أدنى دوائر الجحيم، هل من مساحة متبقية في تلك الدوائر، والخاطئون على هذه الأرض يستحيل إحصاءهم؟

● تضحك وتقول: نعم شعرت خلال العمل وكأن المكان المرصود لجهنم غير كاف. فالشكل يشي بأن أحدنا يُسحب نحو الأسفل حيث المرآة. إنها مرآة ترمز إلى الشيطان الذي يفترض أن يبقى كما الجليد وإلى الأبد. ووجود المرآة يمنح شعوراً بأن الأسفل لا يزال بعيداً. من جهتي آمل أن المكان رحب في جهنّم ويتسع لكل من يجب أن يكون فيه. وفي المقابل آمل أكثر أن يعي هؤلاء ما يقومون به ويعترفون بخطاياهم ويدخلون المطهر.

أليغري ينتصب تجهيزاً جميلاً في القنطاري

والمضاربات والشر يكبران وبلغا ذروتهما في لبنان

○ سيبقى الراعي السخي والمجهول شاغلاً للمخيلة في زمن التباهي بالمال. لكن ما هي الكلفة؟

● هل الرقم مهم؟ ربما تكون بكلفة سيارة من نوع «فيراري»؟ من المهم الإعلان أن كثراً تبرعوا. من جهتي تبرّعت بعملي. كذلك مهندسة الإضاءة. ومن نفّذ التجهيز على الأرض قرر أن لا يخسر فقط. الكلفة ليست باهظة مطلقاً في أيام البطر التي نعيشها. الأهم أن هذا التجهيز باق وهو للجميع، لبيروت وسكانها.

○ هل يلزمه صيانة؟

● نبحث بأن تتولى الشركة التي نفّذته الصيانة للسنوات القليلة المقبلة ومن ثمّ سنتعاون لمتابعة ذلك، والبحث جار للوصول إلى حل على المدى البعيد.

○ يُحسب لرعية مار الياس احتضانها للمشروع وجعله جزءاً من كيان الكنيسة، برأيك هل هو بعض من دور الكنيسة؟

● تمّ المشروع بحضانة «أبونا عسّاف» الذي يرعى شؤون الكنيسة. والساحة الملاصقة للكنيسة هي مساحة عامة من مدينة بيروت. ولنتمكن من نصب التجهيز في هذا المكان سلكنا طريق القانون ونلنا العديد من الموافقات الرسمية. وتمثّل دور الكنيسة بأنه شكّل المحرك الذي كان يرافقنا. فالقيمون على الكنيسة لمسوا أهمية وجود مثل هذا الإنجاز بساحة عامة ملاصقة لها. وكذلك أهمية وجود ساحات عامة على امتداد المدينة. وهكذا بات هذا التجهيز وكأنه جزء من الكنيسة. ولاشك بأن الساحة ستصبح جاذبة للراغبين بالتصوير وبخاصة المقبلين على الزواج. وستشكل فسحة لموظفي الشركات المتعددة الموجودة في المحيط.

○ كيف كانت ردود الفعل لدى افتتاح الساحة؟

● تميز الحضور بشغف كبير للمشاركة في احتفالية منبثقة من الكوميديا الإلهية وفي الذكرى الـ700 لوفاة كاتبها دانتي أليغري. وترافق الإفتتاح مع عرض فني كان في غاية الجمال، وأتى معبراً عن الموضوع بخاصة الموسيقى والرقص. بات التجهيز جزءاً من المدينة وملكاً للجميع.

○ هل من ساحة أخرى تناديك في بيروت؟

● لم نتمتع كفاية بالمنجز الذي نحن بصدده، والوقت مبكر للبحث عن جديد آخر.

○ الحضارة الفنيقية جزء من اهتمامك الفني والبحثي. هل يختلف اللبنانيون حول تلك الحضارة أم يلتقون؟

● من خلال الأبحاث التي قمت بها، وجدت أن المسيحيين في لبنان هم أكثر إنجذاباً للحضارة الفينيقية من المسلمين. مع العلم أن اهتمامي توجه تحديداً نحو اللغة حيث اللاتينية المنبثقة من الفينيقية، وكذلك العربية. والواضح أن المدن الفينيقية بدأت من أرضنا وهنا تمّ احتضانها. ويحمل الحمض النووي الخاص بنا سواء كنا مسلمين، أم مسيحيين أم دروزاً طبعة فينيقية. فنحن ومنذ العصر الفينيقي نجوب العالم.

○ تعلمين في بيروت الآن. هل تشكل مصدر وحي لك؟ وهل لا يزال «شعاع الأمل يلمع في الأفق»؟

● إثر تفجير الرابع من آب/اغسطس 2020 مررت بكوما فنية لسنة متواصلة، مؤخراً تخلصت منها وعدت لدخول سكة العمل. لا شك بأن هذه المدينة بمشاكلها وتعقيداتها تشكل مصدر إلهام فني. أشعر أني محظوظة بلبنانيتي لأن الأوضاع القائمة في هذا الوطن تجد تجلياتها في الفن. التفاؤل موجود في أعمالي جميعها حتى تلك الخاصة بالحرب الأهلية. الرسالة التي أرغب إيصالها للناس هي التفاؤل والإيجابية، وهذا ما يعكس شخصيتي. ألمس المصاعب، إنما أضعها في إطار إيجابي.

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير: سناء العالول
Editor In Chief: Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741-0208 (6 خطوط) + 44 0208-741 8902 +
مكتب القاهرة: 43 شارع قصر النيل ـ الطابق الأول ـ شقة رقم (2)
هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان ـ الرباط
هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 هاتف/فاكس: 5066089 (009626)
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk ❋ www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) ❋ Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco ❋ Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 ❋ Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الثالثة والثلاثون العدد 10432 الأحد 31 تشرين الأول (أكتوبر) 2021 – 25 ربيع الأول 1443 هـ
Volume 33 - Issue 10432 Sunday 31 October 2021

كاميروني يتغلب على الفرنسيين على أرضهم وفي لغتهم

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

توج الكاميروني إريك سلفادور تشويو بطلا للعالم في سكرابل باللغة الفرنسية، خلال البطولة العالمية للعبة الألواح هذه التي أقيمت في فرنسا، وذلك بعد نهائي كاميروني بنسبة 100 في المئة ، بين زميلين يعرفان بعضهما البعض منذ سنوات، ومارسا اللعبة عدة مرات معاً في ياوندي ودوالا.

في مواجهة إريك سلفادور تشويو، قائد فريق سكرابل الكاميروني، أميدي أسومو، رئيس الاتحاد الوطني الكاميروني للسكرابل نفسه. فاز الأخير بالجولة الأولى، لكن منافسه وزميله إريك سلفادور تشويو حسم الجولتين الثانية الثالثة في 20 دقيقة.

وقد صنعت كلمتان الفرق «Kawaï» (ظريف باللغة اليابانية) مع حرفين بقيمة 10 نقاط لكل منهما k و w و «ترتيب» في تسعة أحرف.

وتعد هذه هي المرة الأولى التي تفوز فيها الكاميرون بلقب «مونديال سكرابل» بالفرنسية، وذلك بعد أن توجت بطلة لأفريقيا للعبة ثلاث مرات. وبالنسبة لأميدي أسومو، رئيس الاتحاد الوطني الكاميروني للسكرابل، فإن هذا النهائي الكاميروني 100 في المئة يمثل عرضًا رائعًا للانضباط المنتشر في القارة.

ويوضح الأخير قائلا: «إنها لعبة حيوية للغاية، وليس فقط في الكاميرون. السنغال هي ثاني أهم اتحاد فدرالي للسكرابل بعد فرنسا. لديكم كوت ديفوار وبنين وغابون. يأتي العديد من الأبطال من دول أفريقية. تمارس لعبة سكرابل على نطاق واسع في جميع البلدان الناطقة بالفرنسية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى».

وتحظى لعبة سكرابل، التي ابتكرها الأمريكي ألفريد بوتس في مطلع الأربعينيات من القرن الماضي، بالعديد من المتابعين في القارة الأفريقية. وهي لعبة تتطلب إتقانًا كبيرًا في الإملاء والقواعد والقدرة على حفظ أكبر قدر ممكن من المفردات.

ويأمل الاتحاد الكاميروني أن يستضيف بطولة سكرابل الأفريقية المقبلة في عام 2022. في غضون ذلك، يشير أميدي أسومو بابتسامة: «إنه لمن دواعي سروري دائمًا التغلب على الفرنسيين على أرضهم وفي لغتهم» كما تنقل عنه إذاعة فرنسا الدولية.

تركيا: العثور على رأسي تمثالي إلهي الحب والنبيذ

اكتشف علماء آثار أتراك رأسي تمثالين لـ«إلهة الحب والجمال» الأسطورية أفروديت و«إله النبيذ» ديونيسوس خلال عمليات تنقيب في ولاية كوتاهيا.

ويواصل العلماء أعمال التنقيب في مدينة آيزانوي الأثرية الواقعة في منطقة جافدار حصار، وتم إدراجها في القائمة المؤقتة لليونسكو للتراث العالمي في عام 2012.

وقال منسق أعمال التنقيب بجامعة دوملوبينار، رئيس قسم الآثار البرفسور غوكهان جوشكون، إن العمل في مدينة آيزانوي متواصل من دون انقطاع بفريق مكون من 100 عامل و27 فنيًا.

وأضاف أنهم عثروا على رأسي تمثالي «أفروديت» و «ديونيسوس» خلال عمليات التنقيب في المدينة الأثرية التي يعود تاريخها إلى 5000 عام، وتبعد 50 كم عن مدينة كوتاهية. (الأناضول)

سياح يزورون جزيرة لا بالما الإسبانية لمشاهدة البركان الثائر

انتهزت أولغا رينوسو فرصة عطلة عيد كل القديسين للتوجه لجزيرة لا بالما الإسبانية ومشاهدة بركانها الثائر. ومثلها مثل الزائرين الآخرين، أرادت أن تساعد أهل الجزيرة الذين دمر البركان بيوتهم وأفسد محاصيلهم. ويحرص الزوار والسائحون على مساعدة لا بالما من خلال إنفاق المال لدعم اقتصاد الجزيرة.

قالت رينوسو وهي من جزيرة فورتفنتورا القريبة «يمكننا المساعدة بطريقة مستترة بالقدوم إلى هنا لمشاهدة البركان الذي هو شيء فريد، لكننا نساهم أيضا بإنفاق المال بالفنادق والمطاعم وتأجير السيارات».

وقيدت خطة الطوارئ الخاصة بالبراكين في جزر الكناري (بيفولكا) التحرك على الطرق القريبة من البركان حتى يمكن لفرق الأمن والطوارئ أن تعمل مع توافد الزائرين خلال عطلة عيد كل القديسين.

لكن خطة بيفولكا خصصت خدمة حافلات مجانية لنقل الناس لمنطقة البركان لمشاهدته من مسافة آمنة.

ومنذ بدء ثورة البركان في 19 أيلول/سبتمبر، غطت الحمم قرابة 2200 فدان من الأراضي ودمرت نحو ألفي مبنى والكثير من زراعات الموز.

واضطر أكثر من 7000 من السكان للنزوح عن ديارهم. (رويترز)